

هذه بلادنا

٦١

قفار

تأليف

الدكتور عبدالرحمن الفريح

الطبعة الأولى

الرئاسة العامة لرعاية الشباب

وكالة شؤون الشباب

الإدارة العامة للنشاطات الثقافية

الرياض ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

ح) جامعة الملك سعود، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفريخ، عبد الرحمن

قفار - الرياض

٢٤٤ ص؛ ٢٤ X ١٧ سم (سلسلة هذه بلادنا؛ ٦١)

ردمك: ٨-٧٧-٦٩٥-٩٩٦٠

رمذ: ٢٠٤٣-١٣١٩

١- قفار (السعودية) - تاريخ

٢ - المدن والقرى - السعودية

ب - السلسلة

أ - العنوان

١٩/٤٦٩٦

ديوي ١٤٩٤، ٩٥٣

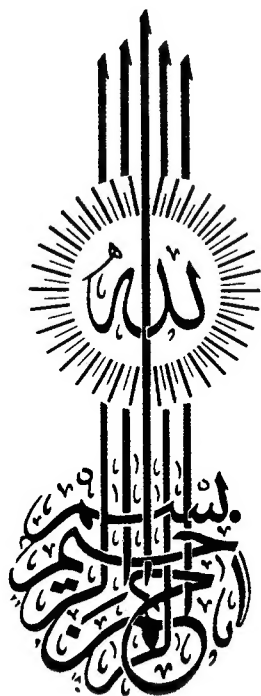
رقم الإيداع: ١٩/٤٦٩٦

ردمك: ٨-٧٧-٦٩٥-٩٩٦٠

ردمذ: ٢٠٤٣-١٣١٩

مطابع جامعة الملك سعود ١٤٢١هـ





تقديم

يُسعدني أن أقدم هذا الكتاب من سلسلة هذه بلادنا التي تهدف الرئاسة العامة لرعاية الشباب من ورائها إلى إمداد المكتبة السعودية وأوعية المعلومات الحديثة بالمؤلفات الوطنية التي تبرز تاريخ هذا البلد العزيز ضمن سلسلة من الكتب العلمية المبسطة ولإبراز صورة وملحات من الحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد، مع إلقاء الضوء على النواحي الثقافية والموروث الفني ولعلنا بهذا العمل نسهم في تشجيع البحث والباحثين لربط الماضي بالحاضر وتسجيل ما طرأ عليه من معطيات العصر الحديث لتكون نبزاً هادياً لشباب الغد وتقديم ما يساعدهم على معرفة الحقائق ويفخرون بما قدمه السلف وإتاحة الفرصة لهم لصنع مستقبل بلادهم.

ومن حسن حظ القائمين على البحث في هذه الأيام وفرة المراجع والمعاجم وسهولة الوصول إليها، والتي تساعد على تلمس الطريق وتوفير له الوقت وتسهل له مهمة البحث ليصل إلى ما يريد بعكس ما كان عليه الحال في الماضي القريب، حيث إن المؤرخ يجوب البلاد من شرقها إلى غربها في سبيل الحصول على أية معلومة عن تاريخ بلاده وكثيراً ما كان يأخذ الحقائق مشافهة من الشعراء والرواة وذلك لندرة المصادر المباشرة التي تتحدث عن أي بلد من البلدان أو موقع من المواقع.

وإنه من الأفضل لأية أمة من الأمم أن تكتب تاريخها بنفسها عن طريق أبنائها المخلصين، الذين أتيت لهم فرصة التعلم والوصول إلى أرفع الدرجات

العلمية، وذلك بالرجوع إلى أمهات الكتب، والبحث والتنقيب في المعاجم، والاتصال بالمعمرين من أبناء هذه البلاد، نستطيع الكتابة عن أي جزء من أجزاء الوطن بصورة مبسطة ومباشرة تساعد الأجيال الحاضرة والقادمة بإذن الله تعالى على التعرف على تاريخ أمتهم وفي متناول أيديهم دون تعب أو عناء.

وإنني أتمنى لهذه السلسلة النمو والازدهار وللإدارة العامة للنشاطات الثقافية التي تقوم بإصدارها التوفيق..

الرئيس العام لرعاية الشباب

سلطان بن فهد بن عبد العزيز

سلسلة كتب (هذه بلادنا)

هذه السلسلة هي مجموعة من الكتب ليس المقصود منها مجرد النشر فقط، ولكنها جاءت امتداداً طبيعياً لنشاط الإدارة العامة للنشاطات الثقافية في مجال المحاضرات. فقد عملت الإدارة على تنويع برامج المحاضرات، واختارت من الموضوعات الشيقة ما يهم جميع المواطنين، وليس هناك من شك في أن كل إنسان يشعر بالحنين إلى البقعة التي نشأ فيها، ويهمه أن يتبين تاريخها. فإن كان صغيراً يهتم أن يعرف أمجاد بلاده وتاريخ أسلافه، وإن كان كبيراً فإن حديث الذكريات يشجيه ويذكره بأفراحه وأتراحه ومراتع صباه، ومن هنا كان اختيار تاريخ البلاد موضوعاً لتلك المحاضرات التي سيتم تجميعها في سلسلة من الكتب إن شاء الله.

وسوف يحتوي كل كتاب من هذه السلسلة على بحث قام بإعداده أحد المتخصصين، يتحدث فيه عن تاريخ بلدة أو إقليم من بلدان وطننا الحبيب، وعن أهمية تلك البلدة وتقاليدها التراثية وعاداتها وأنواع الفنون بها، وملامح النهضة العمرانية والزراعية، وأوجه الحياة فيها، وذلك بعد الرجوع إلى المراجع التي تحدثت عن الموضوع، والالتقاء بأهل البلدة من المعمرين والشيوخ في سلسلة من المحاضرات والندوات، ودارت حولها المناقشات، ثم تأتي مرحلة تجميع هذا البحث على ضوء المناقشات، ويتم عرضه قبل طباعته على بعض ذوي الاختصاص لمراجعته وإجازته.

وتهدف الإدارة من وراء ذلك إلى تطوير برامج المحاضرات، وتشجيع

ملكة البحث والتأليف ، وإمداد المكتبة السعودية بالمؤلفات الوطنية ، وإبراز تاريخ المملكة في سلسلة من الكتب العلمية المبسطة تُسجل التراث الفكري ، الفني في أرجاء الوطن .
والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

الإدارة العامة للنشاطات الثقافية

المقدمة

الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون. وبهذه المواهب تميز الإنسان بجنسه على الحيوان، ويقدر سعة حظ الفرد من هذه المواهب يتفاضل بنو الإنسان. والثمرة العملية لهذه المواهب في السلوك السوي الذي يحقق الراحة والطمأنينة والحياة الطيبة مع السعادة الأبدية؛ ولهذا قرر الإمام أبو محمد بن حزم في كتابه مداواة النفوس وشتى كتبه: أن العقل هو استعمال النفس والجوارح في طاعة الله، واكتساب الفضائل الدنيوية والأخروية. والصلاة والسلام على هادي الأئمة، ونبي الرحمة، ومعلم الأئمين الكتاب والحكمة: محمد بن عبدالله، وعلى آله، وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وهو المبلغ حكم ربه: أنه لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى. وهذا الحكم ذاته فيه إيماء إلى أن للعرب فضلاً ذاتياً في مواهبهم وصفاء نفوسهم وكريم أخلاقهم. إلا أن هذا الفضل الذاتي فضل دنيوي لا قيمة له إذا فُقد الدين. ومع متانة الدين يبقى للعرب فضلهم الذاتي، ويبقى لهم شرفهم الطارئ منذ كرمهم الله بحمل الرسالة إلى الناس كافة. والعربي الذي لم يلتزم بدين ربه منحط عن شرف باذخ، ومقام سامق أراد الله له؛ إذ جعله كالإناء الذهبي لأجل فضله الذاتي. لخصائصه الخلقية بفتح الخاء وضمها؛ ليستوعب الحنيفية السمحة تصوراً وسلوكاً.

قال أبو عبدالرحمن: أما بعد فلقد كتبت سفري الضخم بعنوان: «العرب نسباً

وشرفاً» الذي يحق له أن يكون مقدمة لكل عمل لي في علم الأنساب. وكل عمل لي في أنساب القبائل وتواريخها فإنما دافعه جمع الشذرات، وتقريب الناد؛ لاستثمار أي دلالة في هذا الحقل. لعله أن يتيسر في مضممار القبائل وتواريخها أسفار منتظمة بعد انقطاع في عصور الأمية. يكون هذا الإنتظام بالعمل النقلي تارة في جمع الشوارد، وبالعمل الفكري تارة. وذلك بدقة الاستنباط، والتعامل مع هذا الحقل التاريخي الذي استسهله الشُّداة، وتولج فيه أشباه العوام. لعلها تتلاشى الأمية الفكرية والتاريخية في تاريخنا المحلي.

ويحد من هذا الطموح أن النشاط في تحقيق أنساب العرب وتواريخ القبائل - منذ جند لها شيخنا حمد الجاسر مجلته ومؤلفاته - استغل استغلالاً رديئاً من أناس لعلهم لا يزنون عند الله جناح بعوضة. صاروا يتباهون بالأنساب، ويفتخرون بالعظم الرميم. مع العلم أن الاتصال المتسلسل أو المنقطع إلى جد جاهلي في هذا العصر: لا يحقق علماً رجحانياً. ودعك من كونه يقينياً، بل حجة أهل الأنساب أضعف من حجة نحوي، وإنما المؤكد عروبة القبائل. فاليقين بعروبة هذه القبيلة شيء واليقين بأنها من عدنان أو قحطان شيء آخر.

والظاهر أن القبائل منذ عصور الجاهلية الأولى إلى القرن الخامس أو السادس تقريباً الأصل فيها الانتساب إلى أبٍ واحدٍ. والامتزاج بالحلف والتناصر هو الحالة المستثناة. ثم بعد ذلك إلى هذا العصر صار التحالف هو الأصل إلا في قبائل قرّت في أماكنها ولم تزايلها كمعظم قبائل اليمن، وقبائل السراة منذ بلسمر وبلحمر وبني شهر وبني عمرو وبلقرن وغامد وزهران... إلخ.

وكذلك ما ألبّ السراة من جهة الشرق كناهس وشهران وخثعم وأكلب وبني سلول... إلخ.

ويحد من هذا النشاط أيضاً الحساسية المفرطة عند بعض القبائل في تفريع الأفضاخ الحديثة وإرجاعها إلى قبائلها وشعوبها وعمائرها، وكذلك حرص كل فخذ أن يدّعي بأن شيخة القبيلة فيه، أو انفته من الاعتزاء لمشيخة القبيلة الحقيقية. لهذا نزعت في مؤلفاتي عن الأنساب وتواريخ القبائل إلى ما يرضي طموحي

في إشاعة تاريخنا العربي، والاعتزاز به، دون أن يكون في هذا العمل موضع قدم لتبأؤ حامل يفاخر بالعظم الرميم ذلك أن عملي تجلية لفضائل الأمة العربية مجتمعة بين الأمم بدافع من الشرع، وآثاره من العلم المدون بين هجمات الأممية والشعوبية، وليس مباهاة بين الأمة العربية ذاتها فيما بينها، فهذا أمر لا يرضاه ديني ومسؤوليتي التاريخية، لا سيما أن الأمة العربية قبل الإسلام لا حضور لها عملياً أو دولياً حتى أصبحت البلاد العربية تركة عربية بهوية الإسلام وفضله، كما أصبحت الأمة الأممية ذات علم وديوان وكتاب وكشف واختراع.

إن الشعور القبلي يكرر مأساة الجاهلية الأولى، فيفتخر التميمي بتميميته، ويفتخر المذحجي بمذحجيته، ولا يحملون همّ أمة واحدة، وهذا الشعور انفصال عن التاريخ العربي المعتبر الذي يبدأ بالإسلام، ويتلاشى بمقدار ما يبعد العربي عن النبي صلى الله عليه وسلم.

كما أنني حرصت على ما يتعلق بربط القبائل الحديثة بقبائلها القديمة، والبعد عن تفرعات الأنساب الحديثة ما ظللت ألمس في هذا التفرع حرجاً، إلى أن أرتاح إلى تفرع من سبقني من النسابين المعاصرين، وأحيل العهدة عليهم وهذا في النادر.

ولو أهملت هذا الجانب كله ما نقص من طموحي شيء؛ لأن التفرعات الحديثة تتراوح أعمارها ما بين قرنين وثلاثة قرون من عصور العامة والأممية. حيث الاعتماد في الأغلب على المأثور الأسطوري، والذاكرة العامة، والاستفاضة، ودلالات شعر عامي يُستأنس به ولا يكون مصدر ثقة ويقين؛ لأن الشاعر عامي وليس عالماً ولا مؤرخاً ولا متصل السند بالآثار المكتوبة.

واليقيني منها ما بُني على الوثائق والمشافهة المتصلة السند بالأباء والأجداد؛ ولهذا تظل التفرعات الحديثة من مسؤولية المثقفين الواعين من أبناء كل أسرة وبطن؛ لأن الناس مؤتمنون على أنسابهم ما لم يدعوا الشرف.

وقبائل العرب اليوم على قسمين:

قسم يحمل اسماً قديماً في كتب النسب المدونة المطبوعة والمخطوطة،

مثل : تميم، وعنزرة، وهذيل، وباهلة، وبني شهر . . . إلخ.
وقسم يحمل اسماً حديثاً توجد الإشارة إليه منذ القرن السابع أو السادس على
أبعد تقدير مثل الدواسر، وعتيبة، ومطير، والضفير. والذي استجد إنما هو اسم
القبيلة، أما القبيلة ذاتها فلا بد أن تعود إلى إحدى القبائل المعروفة قديماً، أو إلى
عدة قبائل معروفة قديماً بطريق الحلف.

وكتب الأنساب منذ ابن الكلبي وأبناء جيله إلى عهد ابن حزم وابن عبد البر
فالجواني فالأشعري ملتحمة السلسلة تذكر القبائل القديمة وتفرعها.
ثم وُجدت كتب أنساب تكميلية تبدأ بالقرن السابع الهجري منذ ابن فضل الله
العُمري إلى ابن خلدون والقلقشندي. فهؤلاء هم الذين ذكروا معظم أسماء القبائل
الحديثة، فبعضها لم يصلوا نسبه بقبيلة قديمة، وبعضها عزوه إلى قبيلة قديمة دون
تفريع كالقول بأن الضفير من بني لام.

ويظل المؤرخ المعاصر المتعطش يتصيد الإفادات عن هذه القبائل الحديثة
من كل مصدر يستجد من مؤلفات المتأخرين كإفادات الجزيري في درر الفرائد
المنظمة. هذه هي مشكلة الأنساب، وهي أحد ركائز تاريخنا المحلي.
وضمن تاريخنا المحلي البحث في البلدان جغرافياً، وهذا أمر وصفي لموصوف
ماثل، وهو أقل إشكالاً.

والركيزة الثالثة في تاريخنا المحلي ذكر الأحداث في تاريخ البلدان وأهل
البلدان. ولقد استعرض ابن بسام في كتابه «تحفة المشتاق» أحداثاً تاريخية معظمها
نادر، وأقدمها منذ القرن الثامن، والاطمئنان إلى صحة هذه الأحداث يعكر عليه
أمران :

أولهما: أنه لا يذكر مصادره عن أحداث سبقته بقرون، لا في الحدث نفسه،
ولا إجمالاً في المقدمة، وعلى فرض أنه سطا على كل كتاب ابن عيسى المفقود
كما ذكر شيخنا حمد الجاسر: فابن عيسى معاصر أيضاً، فلا بد من ذكر المصدر
سواءً كان شفويّاً أم خطياً.

وثانيهما: أن الصفة واحدة في المناخات التي يذكرها، فكثيراً ما يقول تناوخ

بنو فلان وأحلافهم مع بني فلان وأحلافهم، وبقوا في المناخ شهرين أو ثلاثة أشهر، ثم مشى بعضهم إلى بعض بالسيوف، فانهزم آل فلان، وانتصر آل فلان، وقتل فلان وفلان. ولا تجد شواهد شعرية، وتبحث عند القبيلة عن أكثر الأعلام فتجدهم غير معروفين.

ويعمق الشك لدى الدارس أن فترة القرن الثامن والتاسع والعاشر هي الفترة الأشد غموضاً من تاريخ نجد لا يُعلم لها في المصادر المأثورة تاريخ منتظم. وإذا تمعنت في تاريخ الجزيرة العربية وجدته على ثلاثة أنحاء من الانتظام: النحو الأول: تاريخ الحجاز واليمن، فهذا تاريخ متصل منذ التاريخ المدون إلى اللحظة الراهنة.

والنحو الثاني: تاريخ المخلاف السليماني وتاريخ الأحساء والبحرين وعمان، فهذا تاريخ منتظم في الأغلب ويعتريه كثير من الانقطاع. والنحو الثالث: تاريخ عسير ونجد، فهذا تاريخ منقطع لم يكد ينتظم إلا منذ قيام الدولة السعودية.

وتتميز نجد بتاريخ ليس بالمنتظم مطلقاً، وذلك بالنسبة للقرن الحادي عشر والثاني عشر، ويساعد على وصل بعض منقطعته وثائق علماء نجد ومؤلفاتهم ورحلاتهم ودلالة الشعر العامي.

أما ما قبل ذلك فتاريخ المنطقة الوسطى من الجزيرة مطمور، وهو ثري إلا أنه مهمل ويدل على ثرائه أن الهجري لما عرّج على هذه المنطقة في فترة وجيزة جداً شحّن كتابه النوادر والتعليقات بمعارف في التاريخ والأنساب والأعلام والأدب واللغة لا تكاد تجدها عند غيره، ولا يخالجك شك في صحتها.

والدليل على أنه مطمور أن شيخنا حمد الجاسر - وهو من هو؟ متابعه وجلداً وتخصصاً مع طول أمدٍ - لما كتب عن والي اليمامة ابن العربي لم يجد ما يبل الغلة سوى دلالات الشعر الفصيح.

وفي مناسبات محدودة الأمد يجد الدارس بعض الدلالة التي يُفرح بها كالكلام عن دولة الأخيضرين؛ لأن المؤرخين خارج الجزيرة ذكروهم.

وهكذا تُلْتَقَطُ التّف عن نجد غير المنتظمة من مصادر غير محلية في مناسبة الحديث عن تولية وال الإمامة، أو تجهيز غزوة، أو مرور رحالة كناصر خسرو، أو كلمة تتعلق بالبلدان (وقلما تعلقت بأهل البلدان) كنصوص الحازمي ولغدة والهمداني والبكري وياقوت... إلخ، أو ترجمة شاعر نجدي كما فعل الأستاذ عمران العمران في كتابه من أعلام الشعر اليمامي.

وحاول الدكتور صالح الوشمي - رحمه الله - في كتابه عن الإمامة، والدكتور عبدالله السيف في كتابه أن يتصيدا الإفادات المبددة، ولكن مهما بلغ جهد هؤلاء فلن يوجدوا معدوماً إلا أن تظهر مصادر خطية لا تزال تحت طي الخفاء، أو تستجدّ دلالة من الحفريات والآثار.

أما التاريخ المصنوع المزيف كإمتاع السامر وما يصدر معه من بالوعة واحدة: فإن ذكاء الباحث ووقته أجلّ من أن يُشغل بالأساطير.

وحاول الدكتور عبداللطيف ناصر الحميدان أن يصل ما انقطع من تاريخ العصفوريين والجبريين فأتى بالجديد الممتع.

ومن المعاناة لتاريخنا المكتوب لا سيما منذ مطلع القرن الثامن الهجري التي نسميها بعصور العامة: وجدنا أن تاريخنا المحلي غير مكتمل في تصوره لنقص مصادره، ومن ثم ضعُف فيه الجانب التفسيري والتعليقي.

ومن الممكن أن يعود لتاريخنا المحلي ألقه إذا استفيد من المصادر التالية:

١- تدقيق المراجعة للتاريخ المحلي المطبوع، وتكملته بالتاريخ المحلي الكثير الذي لم يطبع.

٢- استيعاب الوثائق المحلية.

٣- الاستفادة من رسائل العلماء ومؤلفاتهم سواء أكانت مطبوعة كالرسائل

والمسائل النجدية، أم مخطوطة ككتب ابن عمرو وردود ابن سحمان.

٤- استيعاب الوثائق الخارجية عن بلادنا في الهند وتركيا ومصر والبرتغال.

٥- مراجعة التاريخ المحلي للبلدان المجاورة والبلدان ذات العلاقة كالعراق

وفارس.

٦- استيعاب دلالة الشعر العامي القديم، لا سيما القصائد التاريخية التي لم تطبع.

٧- الإفادة من كتب الأجانب ورحلاتهم.

٨- استيعاب الإفادة من النقوش والحفريات والآثار.

قال أبو عبد الرحمن: ومراعاة لظاهرة فقر تاريخنا المحلي اهتمت الرئاسة العامة لرعاية الشباب بهذه السلسلة عن تاريخ البلدان ووصفها جغرافياً وبيئياً، راسمة في منهجها تجاوز التفريعات في الأنساب تجنباً لحساسية هذا الموقف.

ولقد بذل أخي الدكتور عبدالرحمن الفريح غاية الوسع في ارتياد مجاهل التاريخ عن المدينة الأثرية الحافلة «قفار» إلا أن التاريخ القديم المجهول لهذه المدينة مرتبط ارتباطاً وثيقاً لا انفكاك منه بالتاريخ التميمي في المنطقة، والتقاط شذرات التاريخ غير المتصلة عن تميم في المنطقة أضاف إلى مشروع الفريح عن قفار عبئاً ثقيلاً تحمّله برحابة صدر الباحث الدؤوب وجلده.

وإن كان لي من ملاحظة على عمل أخي الدكتور عبدالرحمن فهو أنه نقل عن شيخنا حمد الجاسر أن حماداً الذي ينتسب إليه كثير من الأسر التميمية من رجال القرن الثالث الهجري، ونقل عن تاريخ ابن ماضي أن مزروعاً من ذرية حماد انتقل من قفار إلى سدِير عام ٦٣٠هـ، وعن الأزهرى أن ذلك عام ٦٠٠هـ.

ونقل قول الشيخ حمد الجاسر: إن مزروعاً من أهل القرن السابع الهجري، قدم من قفار، وهو الأب التاسع لماضي المقتول في عام ١٠٧٥هـ.

وقال: «وترجم الأستاذ أحمد العريفي لرميزان بن غشام التميمي المتوفى عام ١٠٧٩م، ونقل ما أورده الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام في كتابه علماء نجد من أن مزروعاً (جد رميزان) هو مزروع بن حُميد بن حمّاد، ينتهي نسبه إلى عبدة من بني عدي بن جندب من بني العنبر من بني عمرو بن تميم، ونقل تعليق الأستاذ حمد على ما ذكر ابن بسام عن مزروع، وأن مزروعاً هذا غير المذكور في نسب آل ماضي؛ إذ ليس بين هذا وبين عدي بن جندب الفخذ المعروف قبل الإسلام سوى ستة أباء، أي قرنين من الزمان.

وقال الأستاذ أحمد: «قال ابن عيسى وابن بشر وغيرهما: وفي سنة ١٠٧٥ هـ سار الشريف زيد بن محسن شريف مكة المشرفة إلى نجد وقتل أمير روضة سدير ماضي بن محمد بن ثاري. وماضي هذا هو جد ماضي بن جاسر بن ماضي بن محمد بن ثاري بن محمد بن مانع بن عبدالله بن راجح بن مزروع بن حميد بن حماد الحميدي التميمي. جاء جده مزروع التميمي هو ومفيد جد آل مفيد من قفار».

قال أبو عبدالرحمن: كل من نقل عنهم الدكتور معاصرون، فإن كانت دعوى أن حماداً من أعيان القرن الثالث الهجري مستندة إلى نقل فيجب أن يُبين، وإن كان عن اجتهاد فيجب بيان أن التحديد اجتهاد معاصر، وليس نقلاً عن مصدر قديم، ثم يُبين وجه الاجتهاد.

وهكذا دعوى انتقال مزروع من قفار سنة ٦٠٠ أو ٦٣٠، فلا يقبل هذا التحديد من معاصر دون مستند، ولا بد من تمرّض الخبر، أو بيان وجهة النظر الاجتهادية المعاصرة فيه^(١).

وإذا ثبت أن مزروعاً الأب الثامن لماضي المقتول في عام ١٠٧٥ هـ، فسيكون من أعيان آخر القرن الثامن وأول التاسع؛ لأن ثمانية آباء يمثلون ثمانية أجيال محسوبة ب ٢٤٠ مطروحة من ١٠٧٥. وهذه القاعدة في حساب الأجيال، وتقدير عصور الأعلام قاعدة استقرائية مطردة غير منخرمة، وقد أقمت براهينها في كتابي العرب نسباً وشرفاً.

وإذا كان حماد الجد الثالث المباشر لمزروع فهو من أعيان آخر القرن الثامن. ومن جهة ثانية فيمتنع حيثنذ أن يكون عدي بن جندب أباً سادساً لحماد. وتعيين الآباء القدماء أجداداً للأسر الحديثة لا يقبل إلا بنقل محقق عن مصادر متصلة، أو ضرورة استنتاج.

وتحدث الدكتور عن الشيخ عثمان بن منصور، وذكر الثناء العاطر عليه، ثم

(١) خبر انتقال مزروع جد المزاريع من قفار تمّ الاعتماد فيه على ما ذكره ابن لعبون وابن بشر وابن عيسى، ولم يكن الاعتماد على من ذكرهم الشيخ الظاهري وحسب (المؤلف).

أورد ما ذكره القاضي من المآخذ عليه في كتابه فتح الحميد الذي شرح به فتح المجيد للإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب .
وذكر في موضع آخر هجاء ابن مشرف له ، وما ذكره الهندي في زهر الخمائل من ردود عليه .

قال أبو عبد الرحمن : لابن منصور ترجمة حافلة في كتاب صدر عن هذه السلسلة وهو كتاب الحوطة لأبي محمد عبدالله بن معجل رحمه الله ، وكتاب ابن منصور فتح الحميد موجود مخطوطاً ، وقد تعددت صورته ، ووزع بين طلبة العلم ، وليس فيه أي مأخذ عقدي وحذا لو تتبع الدكتور ما كتبه الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ في الرد عليه ؛ ليعرف وجه الخلاف .

وكنت أود من الدكتور عبدالرحمن لو زاد البحث تمحيصاً وتدقيقاً من التاريخ التركي والوثائق التركية وراجع أهل الاختصاص من أمثال الأستاذ سعيد صابان وغيره عن حقيقة الحملة التركية التي قيل إنها قبل حملة إبراهيم باشا ، وأنها بقيادة الدجيني .

ونقل الدكتور عبدالرحمن عن كتاب القهوة لعبد الرحمن السويدي أن قفاراً من القرن التاسع الهجري إلى النصف الأخير من القرن الثالث عشر قاعدة الشمال . وهذا مصدر معاصر عن واقع قديم ، فلا بد من الاجتهاد في البحث ، فإذا انقطع الجهد دون معلومة فلا بأس من الإحالة إلى السويدي على أن يقول في الحاشية : «والمؤلف الفاضل معاصر ، ولم يسند معلومته إلى مصدر» .

ومن النصوص التي أوردها الدكتور - وهي تحتاج إلى تعقب منه - نقل فالين عن كوسال دي بريسفال أن عدنان ولد حوالي سنة ١٣٠ ق.م . وهذا غير مقبول بأي احتمال تاريخي ؛ لأن من ذريته بني حنيفة وقد تشكلوا ووجدوا قبيلة قبل المسيح عليه السلام بقرون ، ووردوا باسم حنفايا في التوراة ، وقد وردت أحداث العدنانية في التاريخ العربي القديم في عهد موسى بن عمران ، كما أن الأجداد الجاهليين تبعد أنسابهم إلى عدنان بعداً يستغرق قروناً قبل المسيح عيسى عليه السلام .

إن قفاراً بلا ريب المقر الأخير لمتحضرة تميم وريفها بعد أن دخلت باديتها في بوادي الجزيرة وخارجها، ولهذا لما ذكر الدكتور منازل تميم في أرض الجبلين قال: «ومما تقدم يفهم أن استيطان بني تميم في قفار إن لم يكن نزوحاً من الديار الحنظلية - حزن يربوع - فهو بلا شك مما يلي الحزن في شقيه الشمالي من الحفر، وماوية، وأم العُشر، والطُنب، والصليعاء. وهذه بلاد عنبرية ومازنية تحدث عنها الأستاذ حمد الجاسر في معجم شرق الجزيرة العربية باستفاضة، ونقل عدداً من روايات الإخباريين القدماء وأصحاب المعاجم التي تتحدث عن أولئك القوم».

قال أبو عبدالرحمن: لو علمنا بداية انضواء تميم في الحواضر، واختفاء اسم تميم علماً على بادية معينة لكنا نعلم شيئاً عن تاريخ قفار. وحسبنا القول ها هنا أن لقفار تاريخاً حافلاً بلا شك قبل العصور التي لامسها بحث الدكتور الفريح؛ لأن تجمع أشتات الحواضر من قبيلة مثل تميم كثيرة العدد جمهورية الصوت إلى حاضرة مثل قفار في سعتها وخصبها سينتج ولا بد تاريخاً حافلاً. ولعله يظهر من طي الخفاء ما يزيد علمنا التاريخي بقفار امتداداً من دلالة حفريات، أو وثائق، أو إشارة مؤرخ لم تلتقطها لماحية المعني بقفار بعد. والله الموفق والمعين. وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين، وصلوات الله وسلامه على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين، وسلام على عباده المرسلين.

وكتبه لكم
أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري
- عفا الله عنه -

الموقع والطبيعة

- ١- موقع فمار
- ٢- جبل أجأ
- ٣- وادي حائل
- ٤- فمار والهيما
- ٥- الأحياء القديمة في فمار والآثار
- ٦- المناخ
- ٧- شهرة فمار التاريخية
- ٨- فمار في اللغة
- ٩- جبولوحة فمار

١- الموقع

تقع قفار في سفح أجأ الشرقي، وأجأ ليس جبلاً واحداً بل هو سلسلة جبال تمتد من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي بما يقرب من ١٠٠ كم في عرض بين ٢٥ و ٣٥ كم، وتتخلل هذه السلسلة شعاب كثيرة، وفي داخلها بعض القرى الصغيرة والنخيل والعيون.

وهواء أجأ من أطيب الأهوية، وارتفاع أعلى قمة فيه ١٣٥٠ متراً عن سطح البحر.

وأشهر الممرات في أجأ التي تخترق الجبل «السلف» الذي يُفضي إلى قفار، وغريه (صيحان) يفضي إلى موق غرب جبل أجأ، وقد نشأت في أعلى بلدة قفار في جنوبها الغربي بلدة حديثة هي «الوُدي» تقترب الآن من مدخل السلف، جنوب مخطط قفار السكني.

ومن الممرات في أجأ أيضاً (بيض) وهو يشق الجبل من الشرق إلى الغرب، و(المختلف) يشق الجبل من الشرق إلى الجنوب، بمقابلة بزاحة مغرباً فيخرج إلى بلدة (جفيفاء).

وأجأ في اللغة بوزن فعل بالتحريك، مهموز، مقصور، والنسبة إليه أجىء وهو علم مرتجل لاسم رجل سمي به الجبل، ويجوز أن يكون منقولاً ومعناه: الفرار، يقال: أجأ الرجل إذا فر.

قال جرير:

رعان (أجأ) مثل الفوالج بينهم ورمل خبت أنقاؤه وخمائله

٢- جبل أجأ

وفي سبب التسمية أورد الأستاذ حمد الجاسر - يرحمه الله - في المعجم رواية هشام بن محمد الكلبي عن أبيه: أن سلمى بنت حام بن حي من عمليق أحبها أجأ بن عبدالحى من بني عمليق والرسول بينهما حاضنة يقال لها العوجاء فهرب بها وحاضتها إلى الجبلين قوم من عاد فلحق بهما قومها وصلبوا أجأ على الجبل الذي عرف باسمه، وسلمى على الجبل الذي عُرف باسمها إلى الشرق من جبل أجأ بما يقرب من ٨٠ كم، وصلبوا العوجاء على جيبيل في جنوب جبل مُحجّر الذي يعرف الآن باسم جبل المُسمى في غرب منطقة حائل.

ورواية ابن الكلبي في أصل التسمية وردت في عدد من معجمات البلدان كياقوت، والبكري، وعلق الأستاذ حمد الجاسر عليها بقوله: إن هذه الرواية يكفي أنها عن ابن الكلبي الذي لم يكتف بالتأليف عن أنساب العرب حتى ألف كتاباً عن أنساب البلدان^(١).

وابن الكلبي، وأبوه، والهمداني، وابن أعثم الكوفي، والهيثم بن عدي الطائي من المتهمين بتلفيق بعض الأخبار تعصباً لليمن.

وعُرف في بني أسد - وهم من أهل الجبلين قديماً - بطن يقال له بنو سلمى، وفيهم قال الشاعر:

إنّ بني سلمى قوم جُلّه شم الأنوف لم يذوقوا الذلة
وفي أجأ وسلمى قال زيد الخيل الطائي:

ونحن الجالبون سباء عبسٍ إلى الجبلين من أهل القصيم
فكان غدوّها للحي كعب وكان رواحها لبني تميم

وأورد الأصمعي في «الأصمعيات» لأوس بن غلفاء التميمي قوله:

جلبنا الخيل من جنبي أريك إلى (أجأ) إلى ضلع الرجام

(١) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، مادة أجأ.

جانب من آثار قنار بالقرب من إجا



ومنها:

وإنك من هجاء بني تميم كمزداد الغرام إلى الغرام
هم تركوك أسلح من جباري رأيت صقراً وأشرد من نعام^(١)

وقال الحطيئة يمدح بني رياح من بني حنظلة من تميم:

كأن المضلعات علون سلمى فصبن على البواذخ من ذراها
وكانوا العروة الوثقى إذا ما تجردت الأمور إلى منتهاها^(٢)
إذا اعوجت قناة القوم يوماً أقاموها لتبلغ منتهاها
وقال قيس بن جروة الطائي:

ومن أجأ حولي رعان كأنها قنابل خيل من كميته ومن ورد
والرعان: جمع رعن وهو أنف الجبل، والقنابل: الجماعات من الخيل
جمع قنبل، والكمية والورد من صفات الخيل.

وهذا البيت من قصيدة يخاطب بها قيس بن جروة عمرو بن هند ملك
الحيرة، والمعنى: ألم تنظر يا بن هند ما بيني وبينك من الهضاب التي تشبه الخيل
في كثرتها؟ وكان عمرو بن هند أوقع بالطائيين في الجبلين، بمشورة في بعض
الأقوال من زُرارة بن عدس التميمي، ثم أوقع بتميم في يوم مشهور من وقائع
العرب هو يوم «أوارة». وترتب على هذا يوم آخر من أيام الجاهلية هو يوم
«الهييماء» في موقع «قفار» الحالي بين بني تميم وطيء وقد يقال ليوم «الهييماء»
يوم طيء، وفيه قُتل بشر كثير، وذكره علقمة الفحل التميمي^(٣) بقوله:

(١) الأصمعيات، ص ٢٣٢.

(٢) ديوان الحطيئة.

(٣) علقمة من شعراء الجاهلية، غلب امرأ القيس على امرأته أم جندب الطائية فلقب
بالفحل، بعد أن غلبه في الشعر، وحكمت له أم جندب بذلك. وأنكر كليمان هوار هذه
القصة غير أن الدكتور الطاهر أحمد مكي أثبتها وبين فساد استدلال هوار على بطلانها،
ويرى الدكتور المعيني أن علقمة هو رأس مدرسة الصنعة، صنعة الشعر التميمية، وكان
الباحثون قبله يقفون بها عند أوس بن حجر.

أحمد الطاهر مكي: امرؤ القيس حياته وشعره ص ٤٧، المعيني، شعر بني تميم، ص ١٥.

أصبن الطريف والطريف بن مالك وكان شفاء لو أصبن الملاقطاً^(١)
وكان عمرو بن ملقط الطائي قد فرَّ من وجه عمرو بن عمرو بن عُدس
- فارس تميم - وابن مُلْقَط هو الذي أغرى الملك ببني تميم^(٢).
أما قيس بن جروة فهو «عارق الطائي» وعُرف بذلك لقوله:
لأنتحين للعظم ذو أنا عارقة

و(ذو) تحل محل اسم الموصول في لغة طيء، قال أحد الطائيين في بني
تميم:

فإن بيت تميم ذو سمعت به به تنمّت وأرست عزها مضر^(٣)
أي بيت تميم الذي سمعت به.

وفي جبل سلمى ورد قول جرير في مهاجاته مع الأعور النبهاني الطائي:
وأطلعت القصائد طود سلمى وجدّ صاحبي شعبي انتقامي
وقال:

تبْلَغ بني نبهان مني قصائداً تُطالِع من (سلمى) وهن وعور^(٤)
وقال الفرزدق:

على أن حدث لو أن (سلمى) أصابها بمثل بني أرفضَ منها هضابها
وقال:

أصبنا بما لو أن (سلمى) أصابها لهدت ولكن تحمل الرزء دارم^(٥)
وقال النمر بن تولب العكلي التميمي:

زبتك أركان العدو فأصبحت (أجأ) و(جبة) من قرار ديارها

(١) أصبن: الضمير يعود إلى الخيل.

(٢) أحمد جاد المولى وآخرون: أيام العرب في الجاهلية، يوم أواره. وأواره هو جبل وارة
بالكويت.

(٣) وفاء السنديوني: شعر طيء.

(٤) ديوان جرير.

(٥) دارم بطن من حنظلة من تميم ومنهم آل زُرارة بيت من البيوتات الأربعة (بيوت الأرستقراطية
العربية) في العصر الجاهلي.

قصور آل حيادة وجبل أجا



وأورد أبو تمام في الحماسة قول أحدهم:
لنعلم الفتى بأكناف حائل غداة الوغى أكل الردينية السمر

٢- وادي حائل

حائل هو الوادي الذي تقع «قفار» على ضفته الغربية، بينه وبين جبل (أجأ) وقيل: أن هذا الوادي إذا سال حال بين أجأ وسلمى، ومنه أخذت حائل اسمها، وكان يُقال لها قديماً: قُرْبَة حائل نسبة إلى الوادي، ومع مرور الزمن أغفل الناس اسم القُرْبَة، وأخذت اسم الوادي الذي تقع عليه، وقال الهجري عن حائل: إنه وادٍ يفلق بين الرمل وأجأ ليس ثم وادٍ غيره يصب في الحزن - حزن بني يربوع^(١). وقال الأستاذ حمد الجاسر بعد أن تحدث عن هذا الوادي أن اسم حائل لم يطلق على حائل المدينة إلا في عصر متأخر، وكانت الشهرة إلى ما قبل قرنين من الزمان لبلدة قفار^(٢).

ويُعرف الجبلان؛ أجأ وسلمى - في الأشعار - بالجبلين، وبالجبل.
قال عبيد بن رشيد:

حضر الجبل والبدو ناتي صليبين يتلننا جمالات سود الجدايل
وقال العزى راعي البرّة:

حضر الجبل ردّوا لهند عجيبة هند مفاتيح الفرج عند الأكراب
وقال منصور الناصر من أهل قفار:

يوم الجبل لابه وكله قرابه وحنا العدا لو هي بعيد نزوره
وقال ابن صقيه:

علّم على التسعين وانظر بالاعيان تشوف منقاد الجبل لا تضاحيت
انحر تميم مذبحه قرّح الضان أصل الكرم فرعه ليوث عناتيت

(١) قال الأستاذ حمد: قد يكون هذا قبل تراكم الرمال الحاجزة بينه وبين الحزن. حمد

الجاسر: المعجم الجغرافي، مادة حائل، وبنو يربوع بطن شهير من تميم.

(٢) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، مادة حائل، والحزن من أشهر بلاد تميم.

وقال العوني:

يحسب أنه قضت واسوا بنا الظنا ما دروا بالجبل عيالها فيها

وقال زيد الدعجاني العتيبي في بني تميم:

يوم ضرب المدافع بالجبل له رزيم مدفع (الترك) حطمتوه فوق الصفاة

وقال العوني:

وضفى على عكّاش مثل الهماليل وردت لصبيان الجبل والنحايل

وقال أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري:

كلها دار الجبل ما هي خفيه نفحة التاريخ يا فرحة وطنا

وقال سعدون العواجي:

لاجيتهم في ربة الشيخ جلاس قل بالجبل جتنا قفار وحایل

وقال حسن بن طليحان الشمري:

أهل الجبل عموم حضر وبدوان فازوا وحازوا طيبهم بالجداره

بني تميم وشمر طيبهم بان مشاعل توضي بليل ونهاره

أهل العصام أجا وسلمى ورماني وأهل القرى واللي سكن في مداره

ورمان هو الجبل الثالث بعد أجا وسلمى. وفي جبل رمان أمواه مشهورة

الذكر في الشعر العربي القديم، منها (غُضُور) في الطرف الجنوبي الغربي من

رمان، ويقال لماء (غُضُور) الوشل، قال أبو القمقام الأسدي:

أقرأ على (الوشل) السلام وقل له: كل الموارد مذ هجرت ذميم

وماء غُضُور في جبل رمان وقد يقال لأرضه: برقة «غُضُور»، وبها يوم

جاهلي من أيام العرب لغطفان، وأسفل الماء بلدة عامرة الآن لتميم من أهل

قفار، والبلدة تقع إلى الشمال من وادي (الثلبوت) الذي يعرف الآن باسم (الشعبة)،

وهو من أعظم روافد وادي الرمة الشهير.

وفي أوائل عصر صدر الإسلام كان «الثلبوت» لغطفان لبني جُحاش، قوم

الشِّمَّاح بن مُزَرَّد الشاعر، وقد أكثر الجحاشيون من التغني بما يطلقون عليه اسم (أحزة الثلبوت)^(١).

وفي الطرف الجنوبي الشرقي من رَمَّان خارج الجبل يوجد ماء «فرتاج» شرق وادي (الرحبة)، الذي تقع عليه بلدة وسيطاء الحفن، وهي من البلدان المتفرعة من قفار، بل لقد قيل: إنها «قفار الثانية»^(٢). وفي ماء فرتاج قال بشير بن خليفة العنبري التميمي:

كأنما نظرت دوني بأعينها عين الصريمة أو غزلان فرتاج
وقيل: إن أرض فرتاج ملتقى بلاد الحليفين، والحليفان هما: أسد وغطفان، وإذا عُدَّتْ معهما طيء قيل لهذه الثلاث مجتمعة الأحلاف، أو الأحاليف، قال أوس بن حجر التميمي:

كأننا والأحلاف هؤلاء في حقبة أظفارها لم تقلم
وقد قاد حصن بن حذيفه الفزاري الأحاليف - وهو غطفاني^(٣) - لحرب عامر وتميم في «النسار» بعلية نجد، وفي ذات الشقوق بـ«حزن يربوع» أوقع ضُمرَةَ النهشلي التميمي^(٤) بالأحاليف هؤلاء.

(١) قال الشِّمَّاح:

أنا الجحاشي شِّمَّاح وليس أبي بنخسة لدعي غير موجود
ابن الأثير: الموضع، ٨٥. قال ابن السكيت في شرحه لبيت لبيد:
بأحزة الثلبوت يَرُبُّاً فوقها قفر المراقب خوفها آرامها
الثلبوت ماء لذبيان - من غطفان - ديوان لبيد، ص ٢١٢.

(٢) السويدي: رَمَّان، ص ٨٥.

(٣) حصن من آل بدر أحد بيوتات الأرسطراطية العربية في الجاهلية والإسلام قُتل أبوه في حرب داحس والغبراء، أما هو فقتله بنو عامر في الحاجر في جنوب شرق حائل.

(٤) البكري: معجم ما استعجم، مادة النون وفي الأحاليف قال دريد بن الصمة:

وقلت لهم إن الأحاليف أصبحت مخيمة بين الستار وثهمد

وقال زهير بن أبي سلمى في سيد الأحاليف حصن بن حذيفة:

إذا حلَّ أحياء الأحاليف حوله بذى لجب هداته وصواوله

وقيل لعبد الملك: إن الناس يوم النَّسَار أطوع لخصن بن حذيفة من بعض غلمانك لك.

أما جبل أجأ فإن أعلى قمة فيه هي الفرع في مقابل قفار، وصفها «ألوس موزل» فيما نقل عنه حمد الجاسر بقوله: ثم اختفت جبال الفرع المهيبة التي يلفها شعاع ذهبي بين الماردية والكشرية، فيما وراء بساتين قفار. والماردية: كأنها منسوبة إلى المارد، شعب من شعاب أجأ الشرقي، يمر بشمال قفار، وينتهي إلى وادي حائل (الأديرع).

والكشرية: بكسر الكاف، وإسكان الشين المعجمة، بعدها راء مكسورة، فياء النسبة فتاء مربوطة، أحد شعاب أجأ فيه بئر ونخيلات، تقع جنوب عُقدة بجوارها، وفي هذا الشعب غار واسع، كأنه منحوت وسيله ينتهي إلى وادي حائل (الأديرع).

وإلى الجنوب من الكشرية يوجد (الرصف) وهو من أجمل المنتزهات الطبيعية في جبل أجأ، وسيلُهُ يُقضي إلى وادي حائل (الأديرع) شمال قفار. وإلى الجنوب من الرّصف، في مقابل قفار من الغرب شمال السّلف، يقع شعيب العُميري أو شعيب آل سُلمي، الذي يخترق قفار من الغرب إلى الشرق، ويقسمها إلى نصفين شمالي وجنوبي، وينتهي سيلُهُ إلى وادي حائل (الأديرع)، وهو في أعلاه يعرف باسم «الحذيفيات» شعاب بين الرصف والسلف. ويعرف جبل أجأ باسم مناع، وقيل مناع هضبة في جبل أجأ ويقال المناعان، وهما جبالان، ومناع بوزن نزال، وفي القاموس مناع كقطام، أي امنع، معدول عنه، أنشد أبو عبيدة في كتابه أيام العرب لرجل من بني تميم:

مناعِها من إبلِ مناعِها أما ترى الموت لدى أرباعِها
وزعم الكسائي: أن بني أسد يفتحون مناعها ودراكها، وما كان من هذا الجنس. ونقل الأستاذ حمد الجاسر ما أورده البكري عن مناع، كما نقل عن «موزل» قوله: إن جبال أجأ مشهورة بمناخها الصحي وكانت ملجأ لقبيلة طيء من هجمات ملوك الحيرة والفرس. وكان لممر عُقدة شهرته من هذه الناحية فهو يقع إلى الغرب من حائل، ومدخله محصن بالبناء بطريقة تمكن رجالاً قليلي العدد من صد الأعداء من الدخول فيه.

وبعد هذا رجح الأستاذ حمد أن مناع يطلق على جبل أجأ لمنعته^(١).

٤- قفار والهيما

قال الأستاذ حمد الجاسر عن قفار: إنها قديمة جداً ولكنها مجهولة التاريخ، جاء ذلك في تعليق له على حديث للأستاذ عبدالعزيز الرفاعي عن قصيدة (أنيف النهشلي التميمي) أو أنيف بن زبان الطائي في مجلة العرب، ورجح أن تكون قفار هي «المنتهب» الواردة في أخبار العصر الأموي.

وورد في المصادر القديمة من كتب البلدان أن (الهيما) التي أصابت فيها تميم طيئاً مورد قديم في الجبلين، وقال البكري: إن الهيما مويهة لبني أسد، ونقل الأستاذ حمد تعريف البكري وعلق عليه بقوله: إن الأسدين يخالطون الطائيين في المنازل وأن بني تميم يجاورونهم، أي يجاورون الأسدين مشيراً بذلك إلى بلاد تميم في شرق وشمال شرق الجبلين^(٢).

وقد وردت (الهيما) في شعر متمم بن نويرة التميمي، ومن هنا أراد الأستاذ حمد أن يوفق بين ورودها في شعر متمم، وهو تميمي، وما أشار إليه البكري من أنها لبني أسد فأشار إلى ما سلف ذكره من تجاور تميم وأسد.

على أن كل ما ورد عن الهيما، قديماً وحديثاً، لا يعين على الجزم بتحديد مكانها، وأنها هي قفار، سوى ما يفهم من خبر الإغارة (إغارة التميميين على طيء) أن (الهيما) داخل الجبلين، وأن تميمياً أصابوا الطريفيين: طريف بن مالك، وطريف بن عمرو، ومنازل هؤلاء في جبل أجأ في طرفه الجنوبي، وما ورد في مفاخرات الشعراء من تميم كالفرزدق، والبُعَيْث، وأنهم حדרوا طيئاً من بلادها وأن طيئاً اعتصمت بالجبل.

ويحسن هنا إيراد خبر الواقعة موجزاً لكي تتضح الصورة التي تعين على تحديد موقع (الهيما)، فقد ورد أن عمرو بن هند ملك الحيرة، أصاب نسوة

(١) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، مادة مناع.

(٢) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، مادة الهيما.

وأذواداً لطيء مع أنهم أحلاف له، وقيل إن ذلك تمّ بتدبير من زُرارة بن عُدس التميمي، وأن طيئاً حفظت ذلك لزُرارة، فأغرت عمرو بن هند بالإيقاع بيني تميم، وفتلت له في الذروة والغارب، واستغل عمرو بن ملقط الطائي مقتل ابن الملك على يد بني دارم من تميم وقال:

من مبلغ عمراً بأن المرء لم يخلق صباره

وحادث الأيام لا يبقى لها إلا الحجارة

فاقتل زُرارة لا أرى في القوم أوفى من زُرارة

وعند ذلك غضب الملك وعزم على الفتك ببني دارم، قوم زُرارة، وأوقع بهم في «أوارة» بأرض كاظمة، وهتف الطائيون لذلك.

وحين أدركت المنية زُرارة قال قبل أن يموت - في رواية أبي الفرج الأصفهاني، التي ينقلها الدكتور «حنّا» -: إنه لم يبق لي عند أحد من العرب ثأر إلا وقد أدركته غير تحضيض الطائي ابن ملقط الملك علينا حتى صنع ما صنع، فأيكم يضمن لي ذلك من طيء؟ فقال عمرو بن عمرو بن عُدس - وهو فارس تميم - أنا لك بذلك يا عم^(١).

وما أن هلك زُرارة حتى قاد عمرو الخيل، والتقى بالطائيين في (الهيماء) وظفر بالطريفيين الطريف بن مالك، والطريف بن عمرو، وفرّ من أمامه عمرو بن ملقط، والعرب تُسمي ذلك اليوم يوم (الهيماء) ويوم (طيء). . . . وورد في كتاب الأيام أن تميمًا قتلت بشرًا كثيرًا من الطائيين، وفي ذلك قال علقمة الفحل التميمي وكان ممن حضروا الواقعة:

ونحن جلبنا من ضريبة خيلنا نجنبها حد الآكام قطائطا
سراعاً يزل الماء عن حجاباتها نكلفها غولاً بطيئاً وغائطا

(١) عمرو بن عمرو بن عُدس فارس تميم في الجاهلية وزوج دخنتوس بنت لقيط بن زُرارة بن عُدس، أغار على عيس في ثنية أقرن فأصابهم، وفي منصرفه من الغزو أدركه العبيسون، وقتلوه، وكان له ابن أمه عيسية فقتل الابن خاله العبسي بأبيه التميمي، انظر أبو عبيدة، أيام العرب.

تحت ييس الماء عن حجاباتها ويشكون آثار السياط خوابطا
فأدرکہم^(١) دون (الهيماء) مقصرا وقد كان شأواً بالغ الجهد باسطا
أصبن^(٢) الطريف والطريف بن مالك وكان شفاء لو أصبن الملاقطا
إذ عرفوا ما قدموا لنفوسهم من الشر والشر مرد أراھطا
فلم أر يوماً كان أكثر باکیا وأكثر مغبوطاً يحل وغابطا
يقول الدكتور «حنّا» مقدم ديوان علقمة، بشرح الأعلام الشتمري: إن عمرو
ابن عمرو بن عُدس أدرك الطائيين، وإنه في البيت ما قبل الأخير يبدي الخلق
العظيم فهو لا يبدأ الآخرين بالعداء، ولكن الويل لهم إذا ما اعتدوا ويقول - أي
علقمة - إن الشر يهلك صاحبه، وإن الطائيين بأيديهم عذبوا، واستحقوا الجزاء
نكالا لما قدموا، ويقول في البيت الأخير: إن القتل والأسر استمر في ذلك
اليوم، وكثر الغنم والسي، فمن حزين لما أصابه، ومن فرح مسرور بما صار إليه
حاله، ومن يتمنى حال المسرور^(٣).

وتعود شهرة هذا اليوم، وهو ملحق بيوم (أواره) كما في كتاب أبي عبيدة،
إلى شدته فالغزاة يطلبون ثأراً لا مغنماً، إضافة إلى أنه تنفيذ لوصية زعيم هالك،
هو زُرارة، وهو صاحب مكانة مرموقة عند قومه وعند العرب، وقد أعدت تميم
لهذا اليوم بجلب الخيل من (ضريّة) يتقدمها الفرسان والشعراء.

والمصادر تقول إن (الهيماء) مورد قديم في الجبلين، لا خارجها، وسبقت
الإشارة إلى أن طيئاً تتحصن بالممرات في أجاً كما ذكر «موزل» عن (عقدة)،
و(عقدة) إلى الشمال الغربي من قفار داخل الجبل، وورد أيضاً أن (السلف) من
الأمكنة الحصينة عند الطائيين، والسلف ريع في الجبل، يقابل أعلى قفار في
جنوبها الغربي، وقيل عن السلف إن ذا الحصريين، وهو طائي قديم، كان
يتحصن به، هو وقومه، وذكره الشعراء بذلك.

(١) يقصد أدركهم عمرو.

(٢) أي أصابت الخيل.

(٣) ديوان علقمة الفحل.

ثم إن آل طريف الذين أُصيبوا في غزوة تميم طائيون، من أهل أجأ، ودارهم في ذي القصة، وذي القصة في أعلى وادي سقف في الحضر في أجأ. يضاف إلى هذا أن وقعة الهيماء جاهلية قديمة قبل أن يتفرق فرعا طيء: الغوث وجديلة^(١)، والذين أُصيبوا في الوقعة هم أجداد أوس بن حارثة بن لأم زعيم جديلة، حينما أصبح لجديلة زعامة، وحين انقسمت طيء إلى قسمين، وانتشرت في الجبلين، مع ملاحظة أن ليس للطائيين وقائع خارج بلادهم إلا أن يكونوا مع الأحاليف.

فالذي يفهم مما تقدم أن وقعة (الهيماء) داخل الجبلين، وأنها بالقرب من أجأ، حيث منازل الطريف، وبالقرب من الأمكنة الحصينة في بلاد طيء، وهي الممرات الضيقة في أجأ، وأن أقرب وصف للهيماء هو (قفار) حيث أدركت تميم الطائيين عصرًا كما في قصيدة علقمة. وليس بالقرب من أجأ في السهل أمواه جاهلية إلا (بُزَاخَة)، ولو كانت الوقعة في بُزَاخَة لعُرفت باسمها، أما قول البكري: أن الهيماء موبهة لبني أسد فلا يصطدم بكونها قرب جبل أجأ لأن للأسديين حق الاختصاص ببعض الأمواه في سفح أجأ الشرقي كـ «بُزَاخَة» وفي سفح سلمى الغربي كـ «السَّبْعَان»، حتى بعد انتشار الطائيين في الجبلين، وقد أشار إلى ذلك الأستاذ حمد الجاسر في حديثه عن وقعة بُزَاخَة في حروب الردة^(٢). وبقي مما يؤيد أن وقعة الهيماء بقرب الجبل ما أشار إليه شعراء تميم، كقول البعيث المجاشعي:

ونحن حدرنا طيئاً عن بلادها ونحن رددنا الحوفزان مكلّماً
وكفخر الفرزدق على الطرماح بن حكيم الطائي حيث يقول: لا عز لطيء

(١) والغوث أشهر والنسبة إليهم غوثي، قال الفرزدق في قصة له مع طائية بالمدينة المنورة:
تقول ابنة الغوثي مالك هاهنا وأنت تميمي من الشرق جانبه
ومازرت (سلمى) أن تكون حبيبة إلي، ولا دين بها أنا طالبه
ديوان الفرزدق.

(٢) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، مادة بُزَاخَة، وفي بُزَاخَة حدث يوم جاهلي من أشهر أيام العرب، قتل فيه زيد الفوارس التميمي المحرق الغساني، وهو من أيام تميم على الغساسنة.

تلوذ به إلا الجبل تندس به، وأنها متى تهبط منه تغير عليها خيل تميم «العناجيج التي تعض على الشكيم»^(١).

هذا وتجدر الإشارة إلى أن ياقوتاً الحموي قد خلط بين (الهييماء) و (اللهيماء) وظنهما وقعة وموقعاً واحداً مع أن الأول في بلاد الجبلين، والثاني في شرق الجزيرة حدثت به وقعة بين بني مجاشع من - تميم - وبكر بن وائل^(٢)، وورد في معجم ما استعجم للبكري أن هناك موقعاً آخر يعرف بـ (الهييماء) حدثت به وقعة بين كنانة وهذيل، وهذا الموقع في الحجاز حيث بلاد هاتين القبيلتين واسمه الصحيح (الدهيماء) كما في كتاب الخيل للغرناطي^(٣)، ولعله ورد مُصحفاً في معجم البكري^(٤) كما ورد مصحفاً عند أبي عبيدة^(٥).

هـ - الأحياء القديمة في قفار والآثار

تقع قفار جنوب غرب مدينة حائل، وتكاد تلتحم بها في سفح جبل أجأ الشرقي، في مقابل طريق السلف أشهر الممرات الأجيّة الأربعة المتقدم ذكرها،

(١) ديوان الفرزدق.. وقد اشتهرت تميم قديماً بالخيّل المعروفة بالنجابه والفراهة، وكان أكثم

ابن صيفي التميمي يقول لطبي: عليكم بالخيّل فإنها حصون العرب، وقال جرير:

إن الجياد يبتن حول قبابنا من آل أعوج أو لذي العقّال

وآل أعوج وذو العقّال فحلان قديمان: الأخير منهما لبني حنظلة من تميم، وقال بشر بن

أبي حازم أو الطرماح الطائي:

وجدنا في كتاب بني تميم أحق الخيل بالركض المعار

أما أبيات الفرزدق فمطلعها:

تقول الأرض إذا غضبت عليهم أطائي يسب بني تميم؟

(٢) ياقوت: معجم البلدان، مادة الهييماء.

(٣) الغرناطي: الخيل، ص ٥٨.

(٤) البكري: معجم ما استعجم، مادة الهييماء.

(٥) أبو عبيدة: أيام العرب قبل الإسلام، يوم أواره، وانظر للهييماء والهييماء في معجم

شمال المملكة ومعجم شرق الجزيرة (البحرين).



السير آلن مونرو السفير البريطاني السابق في زيارة لقلعة غياض في
١٤١٢/٤/٢٠هـ (٢٧ أكتوبر ١٩٩١م)

والوارد ذكره في كثير من الأشعار القديمة والحديثة قال حمير بن فريح بن عيادة،
من أمراء قفار:

لا غاب عنكم مير التميمات ليله جيتوا مع السلف مثل هافي نسوره
وينخزل من (السلف) طريق يؤدي إلى (جو) على يمين المتجه من قفار
غرباً، في وسط جبل أجأ، وحول (جو)، وهو من أبهى المناظر الطبيعية، في
حائل تدور أخبار حادثة مفادها أنّ أهل قفار القدامى سكنوه، قبل أن ينزلوا السهل
شرق جبل أجأ في أرض فسيحة رحبة، لم تعرف بلاد الجبلين مثلها في وفرة
المياه، وجودة المزروعات حتى شبهها الشعراء ببلاد الشام. قال القضاعي، وهو
من أهل الروضة بحائل:

أعز عندي من مجالس فلسطين وإلا قفار بعترته يوم حينه
و (جو) الذي نزله المتقدمون من أهل قفار له ذكر في الشعر العربي القديم،
قال عبدة بن الطيب التميمي^(١):

وأرحلنا بالجـوَّجـوَّادة بحيث يصيد الآبدات العسلقُ
نقل هذا الأستاذ حمد الجاسر عن ياقوت الحموي، وقال جو أكبر أودية أجأ
وأشهرها، ينحدر من أعلى الجبل متجهاً نحو الشمال، وترفده شعاب أخرى^(٢).

يوجد في قفار عدد من المحلات الشهيرة، وورد في كتاب نبذة من تاريخ
نجد أن لكل قبيلة محلة تُعرف بها في قفار^(٣)، وأشهر هذه المحلات:

١- محلة سديس، وسديس في الأصل جليل شمال قفار^(٤)، وجنوب مدينة
حائل، ومما هو شائع لدى الرواة، من حُفاظ العامة، أن الأرض الواقعة غرب

(١) عبدة من مخضرمي الجاهلية والإسلام، وقيل أن مرثيته لقيس بن عاصم المنقري تعد من
أجود المراثي العربية القديمة، ومطلعها:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحمنا

(٢) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، مادة جو.

(٣) ضاري الرشيد، نبذة في تاريخ نجد، ص ٣٥.

(٤) وسديس هو الهضبة السفلى الواردة في قول ابن ماضي.

من الضبط العالي اليه السلف حدها إلى الهضبة السفلى تدارج نهورها

سديس كانت محل استيطان قديم، وأن أهل قفار اضطروا ساكني هذه الأرض إلى النزوح عنها. وأضافوا بأن نزاعاً حصل على سديس فيما بعد، وفي ذلك ورد قول أحد أهالي قفار:

ثار الطوب من جرعاً سديس ألا يا ويل من هو في نحرها
٢- الهيزعية: وتقع إلى الجنوب من سديس، وهي قفار القديمة، ذات أطلال توحى بتعاقب الشهور والأيام، وإن كانت ذات نخيل نامية إلى الآن، أما في سالف العصور فقد كانت خضرة نضرة، بل هي مضرب المثل في النماء، وجودة الثمار، والظلال الوارفة، والمياه الوفرة، ومن شعر العامة في الهيزعية قول أحدهم يشيد بها مفخراً ومتباهياً:

كل النبق تنعاف غير نبقتنا يفضخ هميم القلب زيننه وليينه
تلقى خطاة البنت اليا ذواقتنا تلقى خطاة البنت تذهل جنينه^(١)
٣- غياض: وتقع محلة غياض إلى الجنوب من الهيزعية مباشرة، وهي بلدة مستقلة بأسوارها الضخمة، وقلاعها الشهيرة التي لا يكاد يوازيها شيء من الحصون المنيعة في الجزيرة العربية، في جودة البناء، وضخامة الحوامي.

قال أحد المتخصصين في الآثار من أبناء حائل في دراسة عن غياض^(٢): «إن هذه القلاع والحصون في قفار تشبه المباني الحصينة في القاهرة وبكين، وأشار إلى براعة التصميم التي تظهر من خلال الأسوار الثلاثة، والأول منها يحيط بقلعة غياض الرئيسة ذات البرج العالي حيث مقر الأمير والخاصة وبها دور عند كل دار بئر أما الثاني فيحيط بالمساكن الكثيرة الواقعة خارج القلعة الرئيسة، وبه آثار مبان مهدمة، ومقابر لا تحصى، والصور الثالث الذي لا تزال آثاره تشاهد في شرق قفار يحيط بالمزارع، وهو مشرف على وادي حائل «الأديرع».

وهذه الأسوار في محلة غياض تعد عند أهل قفار، بل عند أهل الجبلين عموماً، مفخرة من مفاخر التاريخ، تدور حولها أحاديث المجد، والعزة، والمنعة
(١) كانت الهيزعية لآل عيادة من تميم وأكلت إلى غيرهم بالشراء، والنبق هي التّبك في العربية، ومعناها القور.

(٢) هو الأستاذ خالد الصالح من منسوبي إدارة التعليم بحائل متخصص بدراسة الآثار.

في وقت كانت تسيطر عليه الفوضى والاضطرابات، وتبقى القوة، والقوة وحدها، السبيل الوحيد للاستقرار والاطمئنان.

ومحلة غياض للحمران من تميم^(١)، وفي الطرف الجنوبي الغربي من غياض توجد محلة (البُدَيْعة) وهي لآل مفيد، ولا تزال البديعة حية عامرة تشاهد من الطريق المتجه من حائل إلى المدينة المنورة على طريق قفار المنخزل منه شرقاً. أما غياض فهو أطلال مهجورة تماماً.

٤- الغفيلية: وهي محلة لا سكن بها تكاد تتوسط قفار على طريق يقسم البلدة إلى نصفين شمالي وجنوبي، والغفيلية لآل عمير وآل عمران الذين نزحوا من قفار إلى الروضة في جبل رمان، وبسبب الغفيلية نشب نزاع دام بين أهلها قبل انتقالهم منها وفي ذلك قال أحدهم:

بنت الصويرية عوى دونه الذيب لا واحلولا يا منايح بناتي
حطيت من دونه عقاد ولهايب وصكيت دونه يا عطيب الهواتي
والصويرية نوع من أنواع النخيل تشتهر به قفار قديماً، والعقاد جمع عقدة وهي: الأسوار المحكمة، واللهوب المرتفع الشامخ.

وقد آلت الغفيلية إلى أحد أمراء حائل من آل الرشيد، أما أهلها فكانوا قد انتقلوا منها إلى الروضة قبل ذلك وفيهم قال الشاعر:

عميرات عدّوا بتميم وتناسلوا من زارهم تمسح عليه قبور

٥- محلة آل حمّاد: وهذه المحلة تنسب إلى آل حماد، أشهر البطون التي عُرفت قفار في تاريخها القديم بها، وتعد أملاكهم من أوسع الأملاك، وأغناها، في قلب البلدة وشرقها، وقدر الأستاذ حمد الجاسر في كتابه جمهرة أنساب الأسرة المتحضرة في نجد أن (حماداً) الذي ينتسب إليه كثير من تميم قد عاش في

(١) لأبناء علي الأحمر من تميم. . . وقيل لآل غياض من تميم. ويبدو أن محلة غياض هي منزلة قفار وهي عامة لتمييم وسميت المحلة باسم القصر.

القرن الثالث الهجري^(١)، أما ذريته في قفار فقد كانوا أصحاب صولة وجولة بحيث غدا لفظ (أولاد حماد)^(٢) عزوةً للمتسبين إلى هذا الجد في قفار، وغيرها من البلدان النجدية، وأشار تركي بن فواز بن ماضي في قصيدة له إلى هذا الجد قائلاً:
 تر فرعهم ياذا حسين ومرشد والأصل (حماد) لكل الحمائل^(٣)
 وقبل هذا كان عبد العزيز بن جاسر بن ماضي قد بعث بقصيدة تربو على التسعين بيتاً إلى أهل قفار، ذكر فيها تفرعاتهم، وإن (آل حماد) في الذروة والسنام منهم، فقال في عام ١٢٣٥هـ:

واختص لي مجنى حميد ومرشد (أولاد حماد) لمثلي ذخورها
 ورد هذا في تاريخ آل ماضي للأمير تركي بن ماضي المطبوع في عام ١٣٧٩هـ، ونص مؤلفه فيه على أن مزروعاً (جد المزاريح) وهو من ذرية حماد، قد انتقل من قفار إلى سدير في عام ٦٣٠هـ، لكن الأزهري حدد رحلة مزروع بعام ٦٠٠هـ، وقد أنجب مزروع أربعة أولاد أصبح كل واحد منهم جد قبيلة^(٤).
 ٦- الضبط: في جنوب غرب قفار، وهو من أحدث المحلات التي عرفت في قفار القديمة، وقد سمّاه عبدالعزيز بن ماضي الضبط العالي لارتفاعه في أعلى البلدة، وقال في قصيدته^(٥):

(١) حمد الجاسر: جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، مادة الحاء . . ويرى الدكتور رشيد العمرو أن آل حماد أهل قفار غير آل حماد أهل سدير وغيرها وإن كان البطان من تميم.
 (٢) قال ابن صقيه:

منهم بواد (بريك) جند عرفناه أولاد حماد الأسود العنايف

(٣) تركي بن ماضي: تاريخ آل ماضي، ص ١٩. والقصيدة في عام ١٢٥٨هـ.

(٤) عبدالعزيز الأزهري: بنو تميم ومكانتهم في التاريخ والأدب، ص ٤٨.

(٥) وهي الملحمة القفارية وفيها يقول:

وغب أربع تبهش بقرب الرفاقة
 عسى الحيا بالوسم يعتاد دارهم
 تيمية دم المعادي طهورها
 بنو حقوق من الماء نشورها
 وطالعت في نادي تميم صقورها
 إذا أصبحت في بدلان كسابة الشنا

من (الضبط العالي) إلى السِّلَف حدّها إلى الهضبة السفلى تدارج نهورها
وحيث نضبت آبار قفار كان هذا الموقع من بين مواضع قليلة لم يشح ماؤها،
وقد أشارت شاعرة من شوارع الجبلين، هي مزنة بنت فراج بن سُلمي التميمي،
إلى الضُّبط في قصيدة مثيرة فقالت:



أحد شوارع قفار الحديثة بقرب سلسلة جبال أجأ

الماء غدوا به عن عمامي خوالي يا لعن أبوكم اذبحوهم ولو بوق^(١)
الماء غدوا به متعبين المحالي مثل العساكر (بالضبط) لجته فوق

٧- محلة آل عيادة: وتقع في الطرف الغربي من قفار على ضفة شعيب قفار الجنوبية، الذي يقال له شعيب آل سُلمي وقد يقال له شعيب العُميري، وهو ينطلق من جبال أجأ مخترقاً قفار من الغرب إلى الشرق حتى يصب في وادي حائل (الأديرع) فيقسم قفار إلى نصفين: شمالي وجنوبي، ومحلة آل عيادة تقع فيما يعرف باسم (الضبط) الوارد في قصيدة عبدالعزيز بن ماضي، وتكاد مباني هذه المحلة تقترب من جبل أجأ، وتُرى بعض أطلالها على يمين المتجه من حائل جنوباً مع طريق حائل - المدينة المنورة، أما أكثريتها فهي يسار الطريق، وهي أسوار شامخة تشبه إلى حد كبير أسوار غياض، ويوجد بداخلها آبار كثيرة دارسة ودور وأشجار أثل ضخمة، وهي مهجورة تماماً ما عدا بئر ومزرعة في طرفها الجنوبي.

وإلى الجنوب من محلة آل عيادة في «الضبط» نفسه توجد محلة الخشيم وهي «الفرعة» في أعلى قفار القديمة، إلى الشمال من قفار الحديثة^(٢).

٨- محلة آل سُلمي: وتقع هذه المحلة على ضفة شعيب قفار الشمالية وهو الشعيب الذي ينسب لهم، وهي في مقابل محلة آل عيادة، يفصل بينهما الوادي، وإلى الشرق من محلة آل سُلمي توجد محلة البُدَيْعة التي سبق الإشارة إليها، أما الضفة الجنوبية فتقع عليها محلنا الغفيلية، والركدة إلى الشرق من محلة آل عيادة، والركدة لآل بكر من تميم.

٩- محلة آل خوير: وهذه المحلة في الطرف الجنوبي الشرقي من قفار وإلى الغرب منها أملاك آل عفيضان وهم من آل خوير، وإلى الشمال منها أملاك آل عفنان توازيها من الغرب إلى الشرق متصلة بمحلة آل حماد الكبيرة.

(١) أعمامها آل سُلمي وأخوالها آل عيادة، والعشيرتان من بني عمرو بن تميم وآل عيادة في (الضبط) جنوب وادي آل سُلمي، وآل سُلمي شمال الوادي.

(٢) ذكر الدكتور رشيد العمرو بعد اطلاعه على مسودة هذا الكتاب أن أملاك الخشيمات أكثر من أملاك غيرهم في محلة الضبط وذكر لذلك نسبة مئوية، والضبط حي واحد من أحياء قفار الكثيرة ومن الصعب الوقوف عند كل حي لمعرفة توزيع الأملاك فيه.

وفي طرف هذه الأملاك الشرقي مما يلي ملك آل يعقوب دويرات الجص وهذه نزلها أناس من آل بقار ثم ارتحلوا.

٦- المناخ

تقع قفار في منطقة ترتفع عن سطح البحر «٩١٥» متراً وتشتهر باعتدال مناخها، فنادراً ما ترتفع درجة الحرارة فيها عن ٣٧ درجة مئوية. وتنزل الأمطار في فصلي الشتاء والربيع بكميات جيدة تسيل من الجبال والمرتفعات إلى الأودية والسهول، كما تسقط أحياناً الثلوج في فصل الشتاء. وتقع قفار على ضفة وادي حائل الغربية، والوادي يعرف الآن باسم الأديع، ويبلغ طوله ١٦٠ كم، وتمتد فروعه من جبل حضن الواقع جنوب أجأ، ثم تجتمع فيه جميع سيول أجأ التي تنحدر إلى الشرق، وترفده أودية صغيرة تأتي من الجنوب وتجتمع كلها على مقربة من مدينة حائل شرقها ثم يتجه الوادي نحو الشمال الشرقي. ويقع وادي حائل من أعلى فروعه إلى حيث ينتهي قرب بقعاء بين خطي الطول ٤١ - ٤٠ درجة و ٤٢ - ٤٠ درجة وخطي العرض ٢٧ - ٢٨ درجة و ٢٨ - ٢٠ درجة.

٧- شهرة قفار التاريخية

لقفار مكانتها التاريخية المرموقة منذ الجاهلية وزادت هذه الشهرة خاصة من القرن التاسع الهجري حتى القرن الثالث عشر عندما كانت قاعدة الشمال، ومعظم سكان مدينة حائل والقرى التابعة لها قد انتقلوا إليها من قفار، وقد انتزعت منها مكانتها مدينة حائل في النصف الأخير من القرن الثالث عشر الهجري^(١). قال فالين الفنلندي: إن الكتاب العرب يقولون إن جميع العدنانيين - باستثناء قريش في مكة - عاشوا عيش بدواة وظلوا وحدهم يملكون نجداً إلى حين أخذت

(١) السوياء: القهوة العربية.



منظر الثلوج في منطقة حائل

القبائل القحطانية بالهجرة من اليمن إلى هذه الديار .

وفي منتصف القرن الثالث تلقى بني أسد العدنانيين - ويظن أن جدهم هو أسد بن خزيمة المولود سنة ١٠١م - يقيمون في هذه المنطقة، ولا يذكر الشمريون بني أسد بين الذين سكنوا ديارهم في القديم، غير أن قبائل كثيرة كبني ربيع - وسمعت عرباً يقولون: أنهم يرجعون بنسبهم إليهم - وكبني قيس وتميم وهلال، الذين عرف عنهم أنهم نزلوا الجبلين، وتعاقبوا على امتلاك المنطقة كانوا من أنسباء بني أسد العدنانيين .

وقال فالين: إن الكتب العربية لا تشير أية إشارة إلى منطقة الجبلين في الزمان الذي سبق الميلاد حين بدأ العدنانيون بالهجرة من الحجاز إلى نجد، ويحسب «كوسال دي بريسفال» أن جدهم عدنان ولد حوالي سنة ١٣٠ ق.م^(١)، وأشهر العدنانيين تميم، وأسد، وغطفان.

قال ابن صقيه في (أجأ) و(سلمى):

وبلّغ سلامي من سكن ذيك الأطلال أجأ وسلمى اللي باهلها مصانه
بني تميم وشمر الشم الأبطال وأولاد عبس أهل الظفر والرزانه
من كان نزل ومن كان رحال الكل منهم باخنيه بخانه
ومنها:

وياما وياما من جديدت وأسمال لاعن صياد الفوارس حصانه^(٢)
وصياد الفوارس هو عتاب بن الحارث بن شهاب التميمي، فتك بالهرماس الغساني وأخيه في يوم كنهل في شرق الجزيرة، وله وقائع كثيرة، وغدر به ذؤاب الأسدي في «خو» بأرض سميراء، في جنوب شرق حائل^(٣).
ويقال لصياد الفوارس: الماغث، ونقل الأستاذ أحمد العريفي في كتاب

(١) فالين: صور من شمالي جزيرة العرب، ص ١١٤.

(٢) ديوان ابن صقيه.

(٣) أبو عبيدة: الأيام، وابن عبدربه: العقد الفريد.

منظر آخر للتلوج



الألقاب، الجزء الأول أن صيَّاد الفوارس يقال له سم الفرسان، وأن العرب تقول: لو سقط القمر من السماء لما التقطه إلا صياد الفوارس^(١)، وعند أهل عكاظ أن فرسان العرب ثلاثة: صياد الفوارس، وعامر بن الطفيل، وبسطام بن قيس الوائلي^(٢). وقال أحد عشيرة السبعة من عنزة^(٣):

في دارنا نصح لك الله مقيمين في دارنا لو كان مامن صمايل
وان عاضبن الحيل نذبح بعارين ونردها لأهل قفارٍ وحایل^(٤)
وفي جبل أجأ ورد قول العجاج^(٥):

فإن تصر ليلى بسلمى أو أجأ أو باللوى أو ذي حسا ويأججا
أو حيث كان الولوجات ولجا أو حيث رمل عالج تعلقا^(٦)
أو حيث صار بطن قو عوسجا أو ينتهي الحي نباكا فالرجا
وتمتد سلسلة جبال سلمى من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي نحو ٦٠ كم وعرضها نحو ١٣ كم، ويبلغ ارتفاع أعلى قمة فيها نحو ١٢٠٠ م فوق سطح البحر.

(١) أحمد العريفي: الألقاب، ص ٩٨.

(٢) وقالت آمنة بنت صياد الفوارس ترثي أباها:

وكان أبي عتيبة شمرياً فلا تلقاه يدخر النصيبا

وشمري هنا صفة وليس علماً، فالشاعرة تنعته بالمضاء في العزيمة، وكانت أسد أغارت على تميم فأتى الصريخ الحي فلم يتلاحقوا إلا مساءً في «خو». وورد في بعض المصادر سمهري بدلاً من شمري، والسمهري الصلب من الرماح. انظر الغرناطي: الخيل، ص ١١٧.
(٣) من أهل الحليفة الواقعة في جنوب منطقة حائل على بعد ٢٠٠ كم من حائل على طريق حائل المدينة.

(٤) هذان البيتان من ضمن قصيدة يعارض بها قصيدة ابن حمدان من أهل بلدة المستجدة الواقعة جنوب جبل رمان بحائل.

(٥) العجاج وابنه رؤبة ملوك الرجز عند العرب، وهما من بني سعد من تميم عاشا في العصر الأموي. ولرؤبة ديوان حققه المستشرق «وليم البرسي».

(٦) رمل عالج في شمال منطقة حائل وهو الذي تقع به بلدة «جبة» قال أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري:

من رمل عالج إلى هضبة طمية شهوة الناظر وصيتٍ يستسنا

قال الفرزدق:

ثاقل أركان عليه ثقله كأركان سلمى أو أعز وأكثف^(١)
وقد يقال للجبلين (أجأ و سلمى) الحجاز، والعرب تسمي كل جبل حجز
بين أرضين حجازاً، قال حُرَيْث بن عَنَاب النبهاني الطائي:
حماهن من نبهان جمع عرمرم وصُم العوالي والحجاز الممنع
على أن العرب كثيراً ما فخرت بنزولها الأرض البراح وبحماية سيوفها لها لا
كهوف الجبال، قال سويد العكلي التميمي^(٢):

ونحن أناس لا حجاز بأرضنا نلوذ به إلا السيوف القواطع
ولم يبق منّا للقتل إلا عصابة تطاعن عن احسابنا وتقارع
وقال عكلي آخر:

ونحن أناس لا حجاز بأرضنا نلوذ به إلا السيوف البواتر
أي أنهم مصحرون لا يخافون أحداً، يكونون مع الغيث حيث أغن، ومع
الغلب حيث عن^(٣). وقال ليبد بن ربيعة في معلقته:

مُرِيّة حلت بـ «فيد» وجاورت أهل الحجاز فأين منك مرامها
واشتهرت قفار بكثرة من هاجر منها من الأسر والبطون، ولها في نفوس
أحفاد أولئك ذكريات طيبة باعتبارها محلهم الأقدم، ومركز بيضتهم الأول، قال
الأستاذ حمد الجاسر في الجمهرة: إن كثيراً من الأسر التميمية تتناقل من تاريخها
أن أوائلها انتقلوا من قفار البلدة الواقعة في سفح جبل أجأ، ومن هؤلاء آل حماد،
الذين هم أصل فروع كثيرة من بني تميم في سدير، وحوطة بني تميم، وغيرهم
ممن ينتسب إلى بني العنبر بن عمرو بن تميم^(٤).

(١) وذلك في فائتته الفخرية الشهيرة.

(٢) عكل: قبيلة من الرّباب من تميم.

(٣) أدب الخواص، ص ٩٤.

(٤) حمد الجاسر: الجمهرة، مادة تميم.

وعن آل حماد هؤلاء قال الأستاذ فؤاد حمزة مؤلف كتاب «في قلب جزيرة العرب»: أن آل حماد هم أكثر الموجودين من تميم في نجد عدداً^(١).

وتحدث الأستاذ عبدالعزيز الأزهرى في كتابه «بنو تميم ومكانتهم في التاريخ والأدب»: عن بعض الهجرات المتقدمة من قفار، وقال إن المزاريع وهم من آل حماد خرجوا من قفار في عام ٦٠٠هـ وسماها «قفار بني تميم»^(٢).

وذكر الأستاذ عبدالله أبا بطين في كتابه «روضة سدير» وهو من إصدارات الرئاسة العامة لرعاية الشباب أن روضة الحازمي في سدير ظلت أعواماً طويلاً لا تعرف إلا باسم «روضة الخيل» حتى نزلها مزروع بن ربيع عام ٦٣٠هـ، قدم إليها من قفار^(٣).

وذكرت قفار والجبلاّن في كثير من الأشعار الفصيحة والنبطية، قال محمد آل الشيخ مبارك:

فما قفار سوى أنموذج لبني عمرو تميم نماهم للعدو وجا
وقال ابن مشرف الأحسائي:

تميمية حلت بتيماء ودونها وقال جلعود بن لافي الشمري:

سلمى ورمّان وأجا مع سهالها له نصف طيب ونصف للنفود
تقاسموا هذا تميم وشمّر لا هانوا كرام اللحي بالكود

وفي جبل (سلمى) قال عبيد بن الأبرص الأسدي، وهو من شعراء المعلقات:
أنبئت أن بني جديلة أوعبوا نُفراء من (سلمى) لنا وتنكبوا
ولقد أتانّا عن تميم أنهم ذئروا لقتلى عامر وتغضبوا

(١) فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب.

(٢) الأزهرى: بنو تميم ومكانتهم في التاريخ والأدب، ص ١٢٠.

(٣) أبا بطين: روضة سدير، ص ٣٥، قال الشمر دل بن شريك التميمي:

دار الجميع بروضة الخيل اسلمي وسقيت من بحر السحاب مطيرا

وقال ابن جمهور من الشعراء العاميين :

هذا فعل سكان حایل قفارا ظنك بهم ماكملوا دشن الأكوار^(١)
وقال الشرعي : لا شك أن تميماً تُولف اليوم مع أخواتها من القبائل العربية
في منطقة حائل تجمعاً سكانياً، واثلاًفاً هائلاً وقد زرتهم هناك، لقد زرت شمراً
وتميماً، ويمكنك قارئ العزيز أن تطلع على ما تمكنت من جمعه عن قبلية شمر
العربية، أما ونحن الآن في صدد الحديث والبحث عن قبيلة تميم فلا بد أن نقف
على ما تمثله هذه القبيلة في صنع تاريخ المنطقة قبل توحيد المملكة العربية السعودية،
وما بعدها، ولنبدأ بالتعرف على عاصمة تميم في الجبلين ألا وهي (قفار)^(٢).
قال الأستاذ حمد الجاسر : إن مؤرخي نجد ذكروا أن كثيراً من الأسر
التميمية المعروفة الآن في إقليم سدير كانت في بلدة قفار الواقعة في سفح جبل
أجا، ثم انتقلت إلى سدير.

وقال بعد أن عرض لبعض النصوص التاريخية إن تلك الأسر التي تنتمي إلى
هؤلاء الرجال معروفة، يتناقل أفرادها خبر الانتقال من قفار إلى سدير^(٣).

٨- قفار في اللغة

الإقفار في اللغة هو الخلو، وقفار مورد قديم^(٤) أقفر من أهله فعرف بهذا الاسم،
قال عبيد بن الأبرص الأسدي، وهو من شعراء المعلقات يصف بعض الأمكنة:

(١) وقال :

تقول ما يطري علينا انحدارا تبون حایل مع قفار لكم دار
وقال ابن صقيه

من هموم كنها سود الجبال مثل أجا وجبال سلمى يا معين
مثل أجا اللي رسيت غربي قفار الجبال اللي عليها البازمين

(٢) الشرعي: البادية بين عراقه الماضي وأصالة الحاضر، ص ١٠٦٩.

(٣) حمد الجاسر: الجمهرة، ص ٧١.

(٤) قال الأستاذ حمد الجاسر أن بلدة قفار قديمة جداً ولكنها مجهولة التاريخ، ذكر ذلك في
حديث عن (المنتهب) في مجلة العرب.

درست من الأقفار أي دروس .

وقال :

لمن الدار اقفرت بالجنان غير نؤي ودمنة كالكتاب
وقال في المعلقة :
اقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب
وقال أيضاً :

لمن دمنة اقفرت بحرة ضرغد تلوح كعنوان الكتاب المجدد^(١)
وورد في معجمات اللغة : القفر : مفازة لا ماء فيها ولا نبات والجمع قفار
يقال : أرض قفر ، وقفرة أيضاً ، ومقفار ، وقفرت المرأة بالكسر تقفر قفراً ، فهي
قفرة قليلة اللحم ، والقفار بالفتح ، الخبز بلا آدم ، يقال : أكل خبزة قفارا ، وقفرت
أثره أقفره بالضم ، أي قفوته ، واقتفرت مثله ، قال أعشى باهله :
لا يغمزُ الساق من أين ولا وصب ولا يزال أمام القوم يقتفر
وكذلك تقفرت ، واقتفرت الدار خلت ، وأقفر الرجل : صار إلى الفقر ، وفي
الحديث ، ما اقفر بيت فيه خل ، والقفور : مثل التنور كافور النخل ، وهو وعاء الطلع .
والقفور : نبت ترعاه القطا ، قال ابن أحمر :

ترعى القطاة البقل قفوره ثم تعر الما فيمن يعر^(٢)
أما الهيماء فقد ورد في المعاجم اللغوية التعريف التالي : هام فلان هيماء
وهيماناً : خرج على وجهه في الأرض لا يدري أين يتوجه . . وفي الأمر تحير فيه
واضطرب . وذهب كل مذهب ، وفي القرآن الكريم ﴿ ألم تر أنهم في كل واد
يهيمون ﴾ يتناولون كل نوع من أنواع الكلام فيغلون فيه مدحاً أو ذماً .
وهام فلان هياماً اشتد عطشه ، وبفلانة هياماً ، وتهياماً شغف حباً بها فهو

(١) ديوان عبيد بن الأبرص ، شرح أشرف أحمد عدرة ، وضرغد بلدة في منطقة حائل ، أهلها
من قفار ، تابعة لمحافظة الغزالة .

(٢) الجوهري : إسماعيل بن حماد : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبدالغفور
عطار .

هائم، والجمع هُيام وهُيم، قالوا: هيم الحب فلاناً جعله ذا هُيام، واهتام فلان لنفسه احتال لها، واكتسب، وتهيم فلان، أحسن المشي، وتهيمت المرأة الرجل جعلته يهيم بها واستهيم فؤاد فلان: هام، والأهيم من الرجال، ومن الإبل: العطشان أشد العطش، وهي هيماء، جمعه (هيم) قال تعالى ﴿فشاربون شرب الهيم﴾ وليل أهيم لا نجوم فيه.

والهيام من الرمل ما كان تراباً دقاًقاً يابساً لا تستطيع أن تمسك به لدقة ذراته. والهيام أشد العطش، وداء يصيب الإبل فتهيم في الأرض لا ترعى، والجنون من العشق، والهيمان، العطشان أشد العطش، والمحب الشديد الوجد، والهيوم المتحير^(١).

وفي معلقة لبید بن ربیعة ورد قوله:

بأحزة الثلبوت يربأ فوقها قفر المراقب خوفها آرامها
والثلبوت من أشهر روافد وادي الرمة جنوب جبل رمان وكان لبني نصر من بني أسد في الجاهلية ثم أصبح لبني ذبيان من غطفان^(٢).
وقال المرقش الأصغر الوائلي:

أضحى قفاراً وقد كان بها في سالف الدهر أرباب الهجوم
قال المسعودي في مروج الذهب: وقد تنازع الناس في الهواتف والجان، فذكر فريق منهم أن ما تذكره العرب، وتنبأ به من ذلك إنما يعرض لها من قبل التوحد في (القفار)، والتفرد في الأودية، والسلوك في المهامة، والمروراة الموحشة. والمتفرد في القفار، والمتوحد في المروراة مستشعر للمخاوف متوهم للمتالف، متوقع للحتوف، لقوة الظنون الفاسدة على فكره وانغراسها في نفسه فيتوهم ما يحكيه من هتف الهواتف به، واعتراض الجان له.

وقال في زجر السوانح والبوارح: حدث المنقري عن العتبي، قال: وقف عبيد الراعي ذات يوم مع ركب (بقياء قفر) وكانوا يريدون استقصاد رجل من

(١) المعجم الوسيط.

(٢) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، مادة الثلبوت.

تميم إذ سنحت ظباء سود منكرا، ثم اعترضت الركب مقصرة في حصرها، واقفة على شأنها فأنكر ذلك عبيد الراعي، ولم ينتبه له أصحابه، فقال عبيد:
ألم تدر ما قال الأطباء السوانح؟ أظفن أمام الركب والركب رائح
فكر الذي لم يعرف الزجر منهم وأيقن قلبي انهن نوائح
ثم شارفوا مقصدهم، فألفوا الرئيس قد نشهته أفعى فأتت عليه. قال أبو عبيدة:
وهذا من غريب الزجر، وذلك أن السانح مرجو عند العرب، والبارح هو: المخوف.
وقال الأصمعي: أرض قرواح، وقرياح وقرحياء (قفراء) وقرحياء لم تأت إلا
عند الأصمعي:

وقال عميرة التغلبي الوائلي وهو جاهلي قديم:
ألا يا ديار الحي بالسبعان خلت حجج بعدي لهن ثمان^(١)
قفار مرورة يحار بها القطا يظل بها السبعان يعتركان
وقال الأخطل:
تربعنا الجزيرة بعد قيس فأضحت وهي من قيس قفار
وقال المهلهل يرثي أخاه كلياً:
دعوتك يا كليب فلم تجبني وكيف يجيني البلد القفار

٩- جيولوجية قفار^(٢)

تغطي قفار السهول المتكونة من الرواسب الوديانية التابعة للعصر الرباعي. وتخترق هذه السهول بعض الأودية، والشعاب التي تشكل روافد مهمة لوادي الأديرع المشهور، وأهم هذه الأودية الرّصف، والسّلف، التي أقيمت عليها سدود لتخزين المياه، والسيطرة عليها، وتنحدر هذه الشعاب من جبال أجاً أحد

(١) وفي رواية البردان بدل السبعان، والسبعان، في الأصل واد بين الجبلين، وهو الآن بلدة عامرة، أهلها من قفار، وتنسب هذه القصيدة لشاعر من بني عقيل، والأصح أنها للتغليبي يهجو بها قوماً وصفهم بأنهم عبيد في جبل رمان. انظر المفضليات، ص ٢٥٨.
(٢) من بحث للمهندس مبارك فريخ السلامة مدير عام شركة حائل للتنمية الزراعية (سابقاً)، وعضو مجلس منطقة حائل، ورئيس مجلس إدارة الغرفة التجارية الصناعية بحائل.

منظر عام لبعض آثار قنار



أهم سلاسل الجبال في منطقة نجد، وتتكون هذه الجبال في معظمها من الجرانيت الأحمر، والوردي، تخترقه بعض الصدوع العمودية وهو تابع للعصر ما قبل الكامبري حيث يتراوح عمره الأيزوتوبي ٥٣٥ مليون سنة، وتتبعثر بعض الجبال المتكونة أيضاً من الجرانودايورايت، والانساييت التابع لمتكون حلبان، وتقطع المنطقة باتجاه الشرق بعض القواطع من صخر الرايوليت الديييسي.

ويتراوح سمك الرواسب الوديانية بين ٣٠ و ٥٠ متراً، ويتجه نظام صرف المياه في هذه المنطقة باتجاه الشمال الشرقي، والمياه تعتمد اعتماداً كبيراً على الأمطار، وتعاني هذه المنطقة من نقص المياه نتيجة التوسع الزراعي، علماً بأنها كانت من أكثر المناطق ازدهاراً لتوفر المياه في السابق، ونوعية المياه تتدرج من ٣٠٠ جزء في المليون إلى أكثر من ٥٠٠٠ جزء في المليون^(١).

وتقع قفار في السهول الوسطى في منطقة حائل، وهي السهول المحصورة بين جبل أجأ وجبل سلمى من الشرق، وتنحدر هذه السهول من الغرب إلى الشرق، وتتميز هذه السهول بخصوبة تربتها، ومن أهم المحاصيل فيها التمور حيث تنمو النخيل بكثرة^(٢).

(١) مبارك السلامة: جيولوجية قفار.

(٢) منصور الفايز: حائل، ص ٢٨.

قفار في الدراسات التاريخية والبلدانية

- ١ - قفار في تاريخ ابن لعبون
- ٢ - الهجرة من قفار
- ٣ - قفار وأهل قفار في المعجم الجغرافي
للبلاد العربية السعودية
- ٤ - أهم الحوادث التاريخية في قفار
- ٥ - قفار في بعض المصنفات الحديثة
- ٦ - قفار وتغشّار

١- قفار في تاريخ ابن لعبون^(١)

ابن لعبون من أوائل المشتغلين بالدراسات التاريخية في نجد، في رأس القرن الثاني عشر الهجري، وقال في حديثه عن تميم: إن الصريح منهم المجتمعين على أنسابهم وأحسابهم ثمانى قبائل:

الأولى: أهل قفار الذين انخزل منهم المزاريع أهل روضة سدير، فمنهم راجح جد آل ماضي، وسعيد جد رميزان، وهلال جد آل أبي هلال، ومنهم آل مفيد.

الثانية: أهل القارة وبلدائها في سدير.

الثالثة: آل عُرينة.

الرابعة: المنيعات.

الخامسة: العناقر.

السادسة: الوهبة.

السابعة: النواصر.

الثامنة: أهل الحوطة درجوا من قفار إلى قارة سدير ثم درجوا بعد ذلك إلى مقرهم الذي هم فيه.^(٢) واستدرك تركي بن ماضي على ابن لعبون فعدد بعض البطون التي تنضوي في معظمها تحت التفرعات الواردة في كتاب ابن لعبون، وحدد تاريخ انخزال المزاريع من قفار بأنه في عام ٦٣٠هـ في ضوء رسالة النسابة عثمان بن إبراهيم أبو حيمد إمام جامع عودة سدير إلى عبد الكريم أبو حيمد في الزبير^(٣).

(١) هو حمد بن محمد بن لعبون، طُبع قسم من كتابه في عام ١٣٥٧هـ بمكة المكرمة، وقسم لا يزال مخطوطاً.

(٢) حمد الجاسر: الجمهرة ص ٤٥.

(٣) ابن ماضي: تاريخ آل ماضي، ص ١٧ وأشار الدكتور رشيد العمرو إلى أن رواية النسابة عثمان أبو حيمد إنما هي من الأخبار غير الموثقة. وأيضاً كان الأمر فإن خبر هجرة مزروع من قفار اعتمدت فيه على عدد من المصادر: كابن لعبون وابن بشر.

وقد أحصى الأستاذ حمد الجاسر في الجمهرة عدداً من الذين خرجوا من قفار إلى البلدان النجدية وغيرها وعدّ منهم: آل مبارك في الأحساء، ونقل عن الشيخ يوسف بن راشد آل مبارك أن أسرته تنتسب إلى عمرو بن تميم، ثم من بني جندب بن العنبر، ممن كان يسكن في قفار أشهر بلدة في الجبل قبل مدينة حائل، وأنها من آل مزروع الذين استقر بعضهم في روضة سدير، وبعضهم في القارة حتى عام ١٠٨٧هـ حيث اضطرتهم الحوادث مع أبناء عمومتهم إلى مغادرة سدير فممنهم من قصد حوطة بني تميم ومنهم من قصد الأحساء ومن هؤلاء قاسم بن حمد جد آل مبارك^(١).

وقد أنجبت هذه الأسرة علماء، وأدباء، وشعراء منهم الشيخ مبارك بن علي المتوفى في عام ١٣٢٠هـ والشيخ عبداللطيف بن مبارك المتوفى في عام ١٢٨٥هـ والشيخ راشد بن عبداللطيف المتوفى في عام ١٣٤٠هـ وغيرهم، وفي كتاب (تحفة المستفيد في تاريخ الأحساء) وكتاب (شعراء هجر) تراجم مشاهير علماء هذه الأسرة الكريمة وشعرائها.

٢- الهجرة من قفار

تحدث الأستاذ حمد باستفاضة عن المزاريع، وقال: إن مزروعاً من أهل القرن السابع الهجري، قدم من قفار، وهو الأب التاسع لماضي المقتول في عام ١٠٧٥هـ وأن المزاريع أكبر الفروع التي تنتمي إليها الأسر التميمية في نجد، وهو غير المزروعين الذين ذكرهما ابن الكلبي في جمهرة النسب في بني سعد، إذ إن هذين من أهل الجاهلية كعب بن سعد وابنه مالك بن كعب.

وإن لمزروع أربعة أولاد: سعيد، وسليمان، وهلال، وراجح فمن آل (أبوراجح) آل ماضي، ومن آل (أبو سليمان) المزاريع في الزبير ومنفوحة والأحساء وجلجل وعشيرة، ومن (آل بو سعيد) رميزان، والفارس في سدير، والكويت، ومن آل (أبو هلال) الكلابا وآل دامغ وآل بو حيمد.

(٢) حمد الجاسر: جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، ص ٧١٦.

وعد حمد الجاسر من المتممين إلى المزاريع وغيرهم من بني العنبر ممن
نزحوا من قفار:

- ١- آل عبداللطيف بن سيف في روضة سدير.
- ٢- آل عبدالوهاب من آل (أبو هلال).
- ٣- آل سُلمي ومنهم العُبيد في البدايع والخبراء والبكيرية من أبناء رشيد بن رشود بن سُلمي من بني العنبر.
- ٤- آل عثمان في الرياض من الهلالات (آل أبو هلال) من المزاريع (آل مزروع) من آل حمّاد.
- ٥- آل عساف في المجمعّة من آل (أبوسعيد) من المزاريع^(١).
- ٦- العصاما وأحدهم عصيمي في قفار ثم الزلفي والأحساء والكويت والشام.
قال الأستاذ حمد: كتب لي الأخ محمد الفريح رئيس هيئة الأمر بالمعروف في البكيرية بتاريخ ١٤٠٦/٥/٣٠ هـ يقول: وأما العُقلا فهم من تميم الجبل من ذرية فرج الحميضي، هم من قبيلة السّلامة في الخبراء، والسُّلمي بالبكيرية، والعصاما في الزلفي، ولهم فخوذ وفروع كثيرة في القصيم^(٢).
- ٧- آل عُطية في سدير من آل (أبو سعيد) من المزاريع.
- ٨- آل عبيان في سدير من الحمران من آل رحمة من النواصر.
- ٩- آل غيث في قفار ثم في بريدة من النواصر.
- ١٠- الفداغم في سدير والمذنب من بني العنبر.
- ١١- الفريح من آل سُلمي من بني العنبر أبناء فريح بن فواز بن حمد بن فواز بن سُلمي في البكيرية.
- ١٢- آل فوزان في روضة سدير من المزاريع.
- ١٣- آل قاسم في روضة سدير من المزاريع.
- ١٤- القفارات واحدهم قفاري في قفار، ثم في بريدة من بني العنبر.

(١) المرجع السابق ص ٥١٠

(٢) المرجع السابق ص ٥٤٦

١٥- آل قُمَيْع في الخبراء والبكيرية من آل رشيد بن رشود من آل سُلمي من بني العنبر.

١٦- آل كنعان في الزلفي من آل (أبو سعيد) من المزاريع.

١٧- آل ماضي أمراء روضة سدير من آل (أبو راجح) من المزاريع، قال الأستاذ حمد نقلاً عن المؤرخ ابن عيسى صاحب تاريخ بعض الحوادث في نجد: جاء جدّهم مزروع من قفار، أولاده أربعة صار كل واحد منهم جد قبيلة. وتناول الشيخ حمد خبراً مطولاً في الجمهرة عن ذلك.

١٨- آل مانع سكان قارة سدير القدماء من (آل حمّاد)^(١).

١٩- آل مجماج في الأثلة من آل (أبو هلال) من المزاريع^(٢).

٢٠- آل مديمغ في الرياض وسدير من آل (أبو هلال) من المزاريع.

٢١- آل موسى في الزبير من آل (أبو راجح) من المزاريع.

٢٢- النواصر: قال الشيخ حمد واحدهم ناصري قبيلة تيممة تتفرع منها أسر كثيرة ونقل عن الشيخ ابن بسام أن النواصر من بني الحارث بن عمرو بن تميم، ونقل عن الشيخ ابن زاحم أنّهم من ذرية عبّاد بن الحصين بن عباد، وبعّاد هذا سمي عبّادان بدولة بني تميم بالبصرة منهم آل عيادة وآل رحمة والرومي والحرمان وبّاديتهم في برّ فارس ولهم عالية شط (كارون) في الأهواز ومنهم نواصر نجد الحميضات أهل المذنب وأهل قفار^(٣).

٢٣- آل بُدير في العلا، وهم من آل حمّاد من قفار، نقل الدكتور عبدالله نصيف أن بدرأ وبديراً من تميم كانا ملوكاً لتيماء، وأنهما نزحاً منها إلى العلا بعد طوفان اجتاحتها في قصة أسطورية. أشار المؤلف إلى أن كلا من حمد الجاسر ومحمد السميّر^(٤) ذكراهما في حديثهما عن تيماء، وقال نصيف: إنّ

(١) قال الدكتور عبدالعزيز الخضير: إن آل مانع هؤلاء ينقسمون إلى ثلاثة بطون، انظر حمد الجاسر: الجمهرة، مادة الخضير.

(٢) من هؤلاء الشاعر الشعبي المعروف فهد بن مجماج.

(٣) حمد الجاسر: جمهرة أنساب الأسر المتحضرة، مادة النواصر.

(٤) حمد الجاسر: شمال غرب الجزيرة، ومحمد السميّر: تيماء.

ظاهر بن بدير التميمي كان شيخاً لمشائخ الشقيق^(١) في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، وأن الرحالة الإنجليزي تشارلز داوتي، نزل في ضيافته عندما زار العلا في بداية عام ١٨٧٧م. وتولى المشيخة من بعده ابنه عبدالرحمن ثم ربيع بن بدير في عام ١٣٣٣هـ وهو الذي أصبح رئيساً لبلدية العلا^(٢) وهجرة آل بدير إلى تيماء أقدم الهجرات من قفار.

٢٤- المعاينة والمجالي وهؤلاء من آل أبو سعيد من مزروع من آل حمّاد نقل الدكتور العبادي^(٣) أنهم من ذرية رشيدان ورميزان وللشيخ ممدوح المعاينة^(٤) بحث في نسبهم وهم من عشائر الكرك بالأردن.

٢٥- آل حمّاد، وهؤلاء أصحاب وادي حماد شرق الكرك. ومنه نزحوا إلى الشمال، ومركز ثقلهم الآن في (هام) جنوب إربد، منهم الشيخ محمد سعيد الهامي الشافعي مذهباً، التميمي نسباً، التيجاني مشرباً^(٥)، وله ابن اسمه خالد، وأبناء خالد هم: تميم، والقعقاع، والأحنف، وأحمد، ومن مشاهيرهم الآن الشيخ ساري بن سالم الساري التميمي من آل حمّاد من بني العنبر^(٦).

٣- قفار في المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية

تحدث الأستاذ حمد الجاسر في معجم شمال المملكة عن قفار الواقعة في سفح جبل أجأ الشرقي والقرى المتفرعة عنها في جبل رمّان وجنوبه وعن البطون التي تسكنها فقال:

إنّ سكّنى هذه البطون يظهر أنه قديم إذ كانت بطون من تميم تسكن بعض

(١) أهل العلا مجموعتان رئيسيتان هما: الشقيق والحلف.

(٢) عبدالله نصيف، العلا ص ٦٨.

(٣) العبادي: العشائر الأردنية ٦٠٢، ٧٤٠.

(٤) صاحب مكتبة الجاحظ في عمان - رحمه الله.

(٥) كما ورد في كتب خطبه المنبرية.

(٦) ويلاحظ كثرة ورود اسم القعقاع في تميم، وأشهرهم القعقاع بن معبد «تيار الفرات»، والقعقاع بن ضرار، والقعقاع بن محمد بن عمير، والقعقاع بن سويد، والقعقاع بن شبرمة، والقعقاع بن عمرو، والقعقاع بن عُمارة.

الأماكن التي احتلتها قبيلة بني أسد في صدر الإسلام كما يفهم مما أورد صاحب كتاب «بلاد العرب» في كلامه عن الأجفر فقد ذكر أنه كان لبني يربوع - من تميم - فانتزعتهم منهم بنو جذيمه من أسد، وهذا يدل على قرب منازل بني تميم من بلاد الجبلين، وهناك نصوص أخرى تدل على ذلك لاداعي للإطالة بذكرها^(١).

وقال في المقدمة أيضاً: يسكن مواضع هذه الإمارة - يقصد إمارة عرعر، الحدود الشمالية - فروع من بني تميم في جنوبها وفي الدهناء، والحزن (التيسية) إلى قرب سهول الفرات.

وقال عن وادي حائل الذي تقع قفار على ضفته الغربية بينه وبين جبل أجأ: إنه وادٍ يفلق بين الرمل وأجأ ليس ثم وادٍ غيره يصب في الحزن - حزن يربوع من تميم - نقل هذا عن الهجري وأشار إلى أن أعلى وادي حائل (الأديرع) تمتد فروعه من جبل حضن الواقع جنوب أجأ ثم تجتمع فيه جميع سيول أجأ التي تنحدر إلى الشرق، وترفده أودية صغيرة تأتي من الجنوب، وتجتمع كلها على مقربة من مدينة حائل شرقها ثم يتجه الوادي نحو الشمال الشرقي حتى تلب به رمال النفود فتصرفه نحو الجنوب الشرقي حيث تلتقي معه سيول شرقي جبل سلمى وما دونها من أودية وبعد اجتماعها تفيض على مقربة من بقعاء حيث تحجزها الرمال.

قال الأستاذ حمد: وقول الهجري بأن هذا الوادي يفلق بين الرمل وأجأ ليس ثم وادٍ غيره يصب في الحزن، إن هذا قد يكون قبل تراكم الرمال الحاجزة بينه وبين الحزن، ووجود مناهل أحناء تلك الرمال وأرض جلد يؤيد رأي الهجري. وأشار الأستاذ حمد إلى ما ذكره ياقوت من أن سيل حائل ينتهي إلى قاع يسمى قراقر تسيل إليه أودية ما بين الجبلين في حق أسد وطيء، وقال إن وادي حائل من أعلى فروعه إلى حيث ينتهي قرب بقعاء يقع بين خطي الطول ٤١-٠٠ درجة وبين ٤٠ و ٤٢ وخطي العرض ٢٧-٠٠ و ٨٢-٠٠.

وبعد هذا العرض قال: إن هذا عن حائل الوادي، فماذا عن حائل البلدة، وأجاب عن هذا التساؤل بقوله: لم يطلق اسم حائل على البلدة - فيما أعلم - إلا

(١) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، مقدمة المعجم.

بئر زرود (المجاشمية)



في عصر متأخر وكانت الشهرة إلى ما قبل قرنين من الزمن لبلدة قفار^(١).
أما عن أهل قفار القدماء من تميم فإن المعجم مليء بتحديد الأماكن
الجاهلية التي كانوا يحلون فيها في شمال شرق منطقة حائل، قال الأستاذ حمد عن
حزن يربوع الذي ينتهي إليه سيل وادي حائل نقلاً عن ياقوت: هو قرب فيد وهو
من جهة الكوفة، وهو من أجلّ مراتع العرب، فيه قيعان، وكانت العرب تقول:
من تربّع الحزن، وتشئ الصمان، وتقيظ الشرف فقد أخصب، وقيل حزن يربوع
ما شرع من طريق الحاج المصعد، قال جرير:

ساروا إليك من السهباء ودونهم فيحان فالحزن فالصمان فالوكف^(٢)
وقال السكري: الحزن بلاد يربوع، وهو أطيب البادية مرعى ثم الصّمان، وقال
الأصمعي حزن بني يربوع قف غليظ مسيرة ثلاث ليال في مثلها، وخياشيمه أطرافه^(٣).
ونقل الأستاذ حمد ما ورد في كتاب بلاد العرب من أن الغبيط، وإياد، وذا
طلوح، وذا كريب، وأودية بحزن يربوع، وأن بالغبيط وقعة تميم وبكر بن وائل^(٤)،
ودار يربوع الحزن، ومياهم أعشاش، والفردوس، وأنصاب، ونقل عن ياقوت
قوله: حزن مليحة وهو حزن بني يربوع إذ مليحة من مواضعه وبها وقعة لبني تميم
على بكر بن وائل، واستشهاده بأبيات جرير:

ولو ضاف أحياء بحزن مليحة لللقى جواراً صافياً غير أكدرا
فهم ضربوا آل الملوك وعجلوا بورد غداة الخوفزان مبكرا
وبعد ذلك قال الأستاذ حمد أن حزن يربوع من أوسع الحزون يبدأ من

(١) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، مادة حائل.

(٢) وقال غيلان ذو الرّمة:

حتى نساء تميم وهي نازحة بقلة الحزن فالصّمان فالعقد

(٣) سئلت بنت الخس أي بلاد أحسن مرعى؟ فقالت خياشيم الحزن، وجواء الصّمان، وإنما جعلته
أمراً وأعدى لبعده عن المياه فليس ترعاه الشاء ولا الحمير.

(٤) تعد أيام هاتين القبيلتين فيما بينهما من أكثر أيام العرب، وأبعدها شهرة، ومعظمها وقع في
الحزن والدهناء والصّمان. انظر حمد الجاسر: معجم المنطقة الشرقية، ومعجم شمال المملكة،
وأحمد جاد المولى: أيام العرب في الجاهلية.

حرق المظهور بين زرود والتيسية في حزن يربوع



الطرف الشمالي للصمان يفصل بينهما وادي الحفر، المعروف قديماً باسم فلج، ويمتد شمالاً مسيرة ثلاثة أيام للإبل، ومن الغرب إلى لينة حتى يقرب شرقاً من الشَّجِي، والرَّحِيل غرب البصرة، وشمالاً شرقياً غرب الكوفة، ومن مناهله: أنصاب، وأعشاش، والفردوس، والقيصومة، وحومانة الدراج بطرف رمل الدهناء، أي أنه يمتد غرباً إلى الدهناء، وتقع فيه (التيسية) ومياها وأوديتها^(١).

وقال عن التيسية: إن من أوديتها: وادي الأجردي في شرقيها ووادي الفويلق الذي يخترقها من الجنوب إلى الشمال، وشعيب أبا الجرفان في شمالها، وشعيب البدع يخترقها بقرب طريق الحج، وشعيب أخثال (خثال) في شمالها، ووادي الحسيان.

ومن مناهلها: الطراق، والعبيد، وقبة، وعكيرشة، والطيحي، والبعيثة، والزبيرة، (في شمال شرق حائل) وسدحة، وأم الذيابة، والحفنة بقرب الزبيرة، والثعلبية (البدع وخضراء)، وقليب شيحان (شمال تربة بحائل)، وبركة العرايش، والحسيكي، وأخثال.

ومن جبالها: روية، وجال الطليحي، وجال الضيب، وجبله وجبيلة (شمال حائل) . . . وتقع التيسية بين درجتي الطول ٣٠-٤٢ و ٣٥-٤٤ ودرجتي العرض ١٠٠-٢٧ و ٥٠-٢٨.

ونقل عن البكري خبر وقعة التيسية حيث أصابت بنو تميم طيئاً، وأصابته أسد بني ضبة وقال: التيسية أرض واسعة ممتدة ذات جبال، وأودية، ومناهل في حزن بني يربوع^(٢) - من تميم.

هذه خلاصة موجزة لبلاد تميم القديمة التي ذكر الأستاذ حمد في المعجم أنها قرية من قفار التي استوطنها التميميون، وإن كان من إضافة لما تقدم فهي تتعلق بـ «زروذ» في شمال شرق منطقة حائل إذ ورد في المعجم أخبار تتصل بها وببني تميم، جاهلية وإسلاماً، وقد حشد الأستاذ حمد معلومات كثيرة عن

(١) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة ص ٤٢٨.

(٢) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة ص ٢٧٠.

تسميتها، وأنها مجاشعية، خزيمية، نسبة لبني مجاشع بن حنظلة في جاهلية العرب، ولخزيمة بن خازم الدارمي الحنظلي في عصر بني العباس.

وناقش ما ورد في بعض المصادر من أن لاماء في البادية لبني مجاشع إلا وقيط، وزرود ويُن أن أمواه هؤلاء القوم أكثر من ذلك.

قال الأستاذ حمد جاء في كتاب الأعلام النفيسة لابن رسته: كان هذا المنزل يُسمى زَرَوْد فُسِمِي الخزيمية لأن خزيمة بن خازم صير فيها بركاً، وسواني للأبار، يستقى منها بالإبل، وربما لم يوجد في بركها ماء، فيوجد بالقرب منه في محلة بني تميم، والموضع رمل أحمر، والمتعشى العين على ١٤ ميلاً، ومن الخزيمية إلى الأجر ٢٤ ميلاً.

ونقل عن كتابي (نهاية الأرب) و (الروض المعطار) خبر يوم زرود الثاني، وانتصار تميم على تغلب، وقول الكلّجة اليربوعي «فارس العرادة»^(١):

فقلت لكأس أجميها فلنما نزلنا الكتيب من زرود لنفرعنا وأن سعد بن أبي وقاص لما خرج لحرب العراق نزل فيد، فأقام بها شهراً ثم كتب له عمر أن يرتفع إلى زرود فأثاها فأقام بها، وأثاه من حولها من بني تميم، بنو حنظلة، وأتته سعد، والرّباب، وعمرو، وكان ممن أثاه عطارد، والزّبقان، وحنظلة بن الربيع، وهلال بن علقمة^(٢) التميمي، والمنذر بن حسان الضبي، فقالت رؤساء حنظلة: يا بني تميم قد نزل بكم الناس وهم قبائل الحجاز، واليمن، وأهل العالية، وقد لزمكم قراهم فشاطروها الرسل، ففعلوا فمن كانت له لقحتان فض إحدهما عليهم، ومن كان له أكثر فعلى حساب ذلك، فقروهم شتوة ب (زرود)، وتفرقوا فيما حولها وأقام سعد ينتظر اجتماع الناس^(٣).

(١) انظر ترجمته في شعر بني تميم في العصر الجاهلي للدكتور المعيني، ولفارس العرادة أخ هو واقد ابن عبد الله نزل فيه قوله تعالى ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه...﴾.

(٢) هو: هلال بن علقمة، وهو قاتل رستم في القادسية.

(٣) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، مادة الخزيمة، وزرود، ولزيد من التفاصيل انظر من المصادر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، حوادث العام الرابع عشر للهجرة، ومن المراجع الحديثة أحمد عادل كمال: القادسية، ص ٤٨.

جانب من بئر زرود (الحزبية)



وفي الحديث عن «جلدية» الواقعة على بعد ٥٠ كم شرق مدينة حائل الحالية أورد الأستاذ حمد أبيات عبدالعزيز بن زُرارة العامري:

فلما بدت جلدية من أمامنا و(فتك) وجاوزنا بلاد تميم^(١)
على أن الذي يلاحظ هنا هو أن هذه الديار التميمية القديمة التي ذكرها
الشيخ حمد في (الأجفر) و(زرود) وما والاها شمالاً ونقل جميع ما يتعلق بها من
الوقائع والأيام وما ورد عنها في المصادر بتحديداتها، والفروع التي كانت تحلها
من بني حنظلة، وما تحويه من مناهل، وأمواه، وأودية وجبال. . هذه الديار وإن
كانت قريبة من قفار فإنها ديار حنظلية وأهل قفار القدماء الذين تحدث الأستاذ
حمد عن هجرتهم من قفار إلى وسط نجد بدءاً من أوائل القرن السابع الهجري
غالييتهم - إن لم يكن كلهم - من بني العنبر والنواصر، وهؤلاء عمريون لا علاقة
لهم بربوع، وليسوا من بني مجاشع وإن كان الجميع من تميم.
إذن فأين كان بنو عمرو الذين عُرفت بهم قفار في عصورها الأولى وقال
فيهم محمد آل الشيخ مبارك:

فما قفار سوى أنموذج لبني عمرو تميم نمام للعدو وجا
قال الأستاذ حمد في جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد: «بنو عمرو
بن تميم من بطون بني تميم الكبار»، قال ذو الرمة:

يعد الناسبون إلى تميم بيوت المجد أربعة كبار
يعدون الرِّباب وآل سعد وعمراً ثم حنظلة الخيارا
وقد انحدر بنو عمرو إلى شرق الجزيرة على ضفاف وادي (فلج) (وادي
الحفر) حتى ساحل البحر وأطراف العراق منذ ظهور الإسلام.
وقد تحضرت أسر كثيرة منهم فبقيت في نجد، في إقليم سدير وفي
القصيم. ومنهم أفخاذ كثيرة في منطقة حائل^(٢).

وقال في معجم شمال المملكة في رسم «فلج» و فلج بفتح الفاء وإسكان

(١) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، مادة جلدية، وفتك.

(٢) حمد الجاسر: الجمهرة، ٥٧٧.

اللام ثم جيم، هو الوادي الواقع شرق الدهناء يخترق طرف الصمان الشمالي، ويظن أنه كان امتداداً لوادي الرمة وأن الرمال قطعته ويعرف باسم الباطن.

ويمتد وادي فلج (الباطن) من شرقي الدهناء، من قرب منهل الثمامي، الواقع غرب أم عُشر، وهذه من مناهل الطريق البصري القديم، ويتجه نحو الجنوب حتى المنخفضات الواقعة قرب بلدة الزبير شماله على مقربة من الأهوار التي هي امتداد لشط العرب، ويمر به قديماً الطريق إلى البصرة ويسير بموازاته إلى الدهناء حيث يجزئها ماراً بأم العشر، ثم المجازاة، ثم الينسوعة، ثم السمينة، ثم النَّباج.

وأحال الأستاذ حمد إلى كتاب المناسك للحربي، وأشار إلى ما نقله ياقوت عن أبي عبيدة من أن وادي فُلَج ما بين الرُّحَيل إلى المجازاة وهي أول الدهناء، والرحيل غرب البصرة بـ ٥٩ ميلاً على ما في المناسك.

وقال: إن أقوال المتقدمين عن «فُلَج» كثيرة معروفة لاداعي للإطالة بذكرها، وكان من منازل (بني العنبر من بني عمرو من تميم) قال الراجز:

إِنَّ بَنِي الْعَنْبِرِ أَحْمُوا فُلَجاً^(١)

فالذي يفهم في ضوء ما ورد من الأقوال في معجم شمال المملكة ومناقشة الأستاذ حمد لها، أن ديار حنظلة من تميم هي القرية الصلة ببلاد الجبلين في الجاهلية، وأن هذه الدِّيار الحنظلية تحول بين بني عمرو (أهل فُلَج) وبين قفار التي عرفت بهم وعرفوا بها فيما بعد.

على أن مما تجب ملاحظته أن العشائر التميمية قد اختلطت منازلها في صدر الإسلام، يدل على ذلك ما أورده الطبري في حوادث العام الرابع عشر للهجرة من أن سعد بن أبي وقاص قائد جيش القادسية رحل من فيد - شرق جبل سلمى - ونزل بأرض (زرود) بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب لجمع المقاتلة من بني تميم وأسد وورد في الخبر أنه اجتمع لسعد ألف من بني عمرو من تميم، وألف من حنظلة، وألف من سعد، وألف من الرِّباب، وكان الجيش برمته في

(١) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، ومعجم المنطقة الشرقية، مادة فُلَج.

ضيافتهم وقد أمر الخليفة سعداً بأن يرتحل بالناس من (زرود) إلى ما بين الحزن والبسيطة^(١).

ولاشك أن عصر صدر الإسلام قد شهد تحولات كبرى في أرض الجزيرة العربية خاصة فيما يتعلق بأرض الجبلين فقد أزاحت غطفان أسداً وطياً عن جبل رمّان، وحل (بنو جحاش) وهم غطفانيون في وادي الثلبوت، كما ذكر ذلك الطبري، وورث الطائيون أراضي تميم على حد تعبير السويدي صاحب سبائك الذهب، وانتزعت أسد الأجر من تميم، وهاهو أحد الأسدين يصور هذا الأمر في بلاد الجبلين بقوله^(٢):

أرى الثلبوت يأنف نبتة قوم كأنهم أولو سلطان
ولهم بلاد طالما عرفت بهم صحن الملا، ومدافع السبعان
ومن الحوادث لا أبا لأبيكم أن الأجير قسمة شطران

ثم إن اشتراك تميم في فتوحات العراق و فارس بأعداد كبيرة جداً قد جعل من بقي من فروعها تتداخل في المنازل في شمال شرق حائل وفي أنحاء مختلفة من الجزيرة العربية^(٣).

ولعل الأقرب من هذا ما ذكره ياقوت عن (فيد) الواقعة في سفح جبل سلمى الشرقي، جنوب غرب (زرود) و (الأجر) وأنها بليدة في نصف طريق مكة إلى الكوفة، وأنها أثلاث، ثلث للعمريين، وثلث لآل أبي سلمة، وثلث لبنهان^(٤). وقد أضاف الأستاذ حمد الجاسر إلى هذا ما ذكره «الويس موزل» الذي زار فيداً عام ١٩١٥م، وأنها تتألف من ثلاثين كوخاً أكثرها لأفراد من قبيلة تميم

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك حوادث العام الرابع عشر للهجرة.

(٢) الشاعر هو: حبيب بن خالد بن المضلل الأسدي.

والملا هو المنطقة الممتدة بين بقعاء والأجر، يفضي إليها سيل وادي السبعان المعروف الآن باسم

وادي العدو، قيل لتميم بن نويرة: يموت أخوك في الملا وتبكي على قبر بالعراق؟

(٣) قال حمد الجاسر في الجمهرة: إن تميماً حل أوسع رقعة في جزيرة العرب قبل الإسلام.

(٤) ياقوت: معجم البلدان، مادة الفاء.

زعيمهم يُدعى ناصر^(١).

وذكر ياقوت أنّ منهل (أبضة) لبني العنبر من بني عمرو من تميم، ولعل ما ورد في أيام العرب من وقائع تميمية جاهلية في (الأجول) قرب فيد حيث قتلت تميم ابن الجوين الطائي، وفي (أبضة) حيث أوقعت تميم ببني بحتر وبني فريز الطائيين يؤيد ما أشار إليه ياقوت، يضاف إلى هذا أنّ بطوناً عمرية من بني أُسَيْد - قوم أكنم - لم تكن بعيدة عن أرض الجبلين في العصر الجاهلي فقد كانت تحل ما بين شَرْج و ناظرة^(٢).

ومما تقدم يفهم أن استيطان بني تميم في قفار إن لم يكن نزوحاً من الديار الحنظلية - حزن يربوع - فهو بلا شك مما يلي الحزن في شقيه الشمالي من الحفر، وماوّة، وأم العُشْر، والطنيب، والصليعاء، وهذه بلاد عنبرية ومازنية^(٣)، تحدث عنها الأستاذ حمد الجاسر في معجم شرق الجزيرة العربية باستفاضة، ونقل عدداً من روايات الإخباريين القدماء وأصحاب المعاجم التي تتحدث عن أولئك القوم.

(١) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، مادة فيد. وفي مرويّات العامة من أهل الجبلين أن تميماً أهل فيد استوطنوا بقاء ولم أجد من يذكر تاريخاً لذلك غير أن موزل فيما نقل عنه حمد الجاسر ذكر أن بقاء في عام ١٩١٥م قسماً أحدهما لتميّم وشمر. حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، مادة بقاء.

(٢) شرح هي شري أبدلت جيمها ياء وهي لغة تميم وعند شري وناظرة يلتقي رعي تميم وأسد وعبس، وقيل هي لبني أُسَيْد، وفي أرضها سقط أوس بن حجر من ناقته فقال:

خذلت على ليلة ساهرة بصحراء شرح إلى ناظرة

وفي أرض شرح وناظرة هلك عنترة بن شداد كما نقل ابن قتيبة عن أبي عبيدة. وانظر عن أبضة والأجول وفيد نقائض الفرزدق والطرماح.

(٣) مازن والعنبر من بني عمرو من تميم.

مدفن الجاسوس التركي في سور قلعة غياض



٤- أهم الحوادث التاريخية في قفار

كانت قفار من أكبر بلدان منطقة حائل، وكان أهلها على جانب كبير من القوة والمنعة، ولا يستطيع اقتحامها لقوتها، وعلو شأنها أي غاصب مهما كانت قوته.

وبعد سقوط الدرعية على يد إبراهيم باشا، وبقوة وعتاد الدولة التركية التي كانت تبذلها سخيّة لحاكم مصر (محمد علي باشا) في سبيل تحطيم الحكم العرب في قلب الجزيرة العربية الذين لا يدينون لها بالولاء والطاعة، أرسل محمد علي حملة للقضاء على بلاد الجبلين وما يتبعها من قرى وبوادي.

وقد اضطرت هذه القوة للبقاء على بعد حوالي ثلاثة كيلومترات في جنوب شرق قفار، وبنوا قصراً لاتزال آثاره قائمة يسمى (القصير) وجلسوا ينتظرون حصول ثغرة في صفوف أهالي قفار يستطيعون من خلالها الولوج والسيطرة، لكن وجود العدو لم يزد أهل قفار إلا التفافاً وتلاحماً، والوقوف صفّاً واحداً، وقلباً واحداً للدفاع عن شرفهم وكيانهم، وأخذت القوة المعادية ترسل المتسللين إلى قفار لاستطلاع الأمر.

وكانت هذه العيون تتسلل إلى قفار، ويكتشف الأهالي أمرها فيقبضون عليها.

ومن القصص المعروفة أن أهل قفار كانوا وقت اشتداد الحملة يتعاونون لبناء السور الشرقي لقفار ويقيمون الأبراج ومن بينها «برج غياض» المعروف فتسلل أحد عيون الحامية، فعرفه أحدهم وصاح هازجاً: (عدوا لبن.. هاتوا طين.. هاتوا حدا الرجاجيل).

وكان أحد الرجاجيل المقصود هو هذا الغريب الذي يتجسس عليهم فما كان منهم إلا أن حملوا هذا الجاسوس ووضعوه على ظهر السور، ووضعوا فوقه اللبن، والطين، وبنوا فوقه، ولا تزال آثار عظامه باقية في برج غياض بقفار في الجهة الشرقية المقابلة لحصن (القصير) - تصغير قصر - إلى اليوم.

وبعد أن تسلل اليأس إلى نفوس هذه القوة الغازية انسحبت تحت جناح

الظلام وغادرت المنطقة مهزومة خاسرة^(١).

هذا ما ذكره الأستاذ فهد العريفي، وهو من المهتمين بمنطقة حائل تاريخاً، وأدباً، ودراسات بلدانية، وهذه القصة التي أوردها عن الجاسوس التركي وبناء أهل قفار عليه في الجدار مشهورة معروفة لكن الأستاذ العريفي حدد ذلك بغزوة إبراهيم باشا لنجد في عام ١٢٣٤هـ وهناك من يقول أنها متقدمة على هذا التاريخ بسنين عديدة، وأنها إبان الغزوات التركية الأولى، وبهذا علق أمير قفار عبدالعزيز بن عبدالعزيز الخوير التميمي وقال: إن وضع أهل قفار الجاسوس في سور (غياض) قد تم إبان حملة تركية على بلاد الجبلين بقيادة (الدجيني).

وقال ابن صقبة عن الحادثة في كتابه «بنو تميم في بلاد الجبلين»: إنه شاهد قصر غياض ورأى بقايا معالمه الشامخة الرائعة، وكان له أساس تمشي على ظهره السيارة الصغيرة.

وقال: إن لهذا القصر قصة، فقد كان بنو تميم حين علموا بظهور الدولة العثمانية قد أتى إليهم رسل تلك الدولة، فلما وقفوا عندهم وهم منهمكون في ترديد الأهازيج: (هيا طين هيا رجايل) فأمسك البناؤون رجلاً من الرسل، وأضجعوه على ظهر الحامي (جدار السور) ووضعوا فوقه الطين وتركوا واحداً ليخبر من أرسله بما صنعه أهل قفار برفيقه فلما أخبر الرسول زعيم الجند الذي أتى للحرب بما جرى هرب وترك حرب مدينة قفار.

وأضاف ابن صقبة: إن لقفار دوراً كبيراً في التاريخ، وأكبر دليل على قدمها أن جميع من في قرى الجبل من بني تميم . . وكثيراً من بني تميم في منطقة سدير وجل الأسر التميمية المنتشرة في نجد انتقلت من قفار، كالنواصر، وسكان حوطة بني تميم^(٢).

(١) فهد العريفي: حائل، ص ٥٨.

(٢) ابن صقبة: بنو تميم في بلاد الجبلين.

والذي يلاحظ هو أن ابن صقيه لم يحدد زمناً لوقعة غياض التي تم بناء
السور فيها على رسول الحملة التركية، إلا أنه يُستنتج أنها من الحملات التركية
الأولى.

ولا ينبغي أن يفهم من هذا أن غزوة إبراهيم باشا لم تخفق في قفار بل إنها
قد لاقت عنتاً شديداً وعادت - كسابقتها - خائبة مهزومة.

ومن خبر حملة إبراهيم باشا أن أمير حائل محمد بن علي حثَّ بني تميم
أهل قفار على تحصين البلدة استعداداً للتصدي للغزو، وقد تصدى أهل قفار
للجيش الغازي وهزموه بعد أن قتل ابن علي في حي الزبارة بحائل^(١).

أما وقعة غياض وانهزام جيش الدولة العثمانية فقد بلغت من الشهرة بحيث
وردت على ألسنة كثير من الشعراء قديماً وحديثاً ومن ذلك ما قاله الشاعر زيد بن
غازي بن عضيب الدعجاني العتيبي في قصيدة بعنوان:

جدكم في جبل حایل شجاع وكریم

مرحباً يا حرار طويق عزوة تميم	يا رجال لكم بالجوود شهرة وجاه
وكل رجل حلیم وفي المهمة حكيم	مرحباً به عدد ما هل وامطر سماه
قالها مخلص من فيض قلب سليم	فاهم فالرموز وفعلكم ما خفاه
جدكم في جبل حایل شجاع وكریم	يا هلا عد نبت الوسم لا ارواه ماه
لازبنكم غريب موجس جور ضيم	طاب كيفه ونزحتوا سرايا عداه
يوم ضرب المدافع بـ «الجبل» له رزيم	مدفع الترك حطمتوه فوق الصفاه
حقكم عندنا معلوم والله عليم	يوم زرتوا سدير اللي يونس نباه
مرحبا يا زحول تقهرون الخصيم	والصديق بطرفكم معلنين غلاه

(١) الظاهري: آل جرباء، ص ٦٥ وفي قتل ابن علي قال الشاعر:

يا حيف راس الشيخ تلعب به الروم متقابلين بينهم يجزرونه

وقال الشاعر عبدالرحمن بن طلق بن خويتم العصيمي العتيبي^(١) في محاورة شعرية بينه وبين الشاعر سعيد بن عبدالله الأحمري^(٢):

يالتاجر اللي تبيع وتشترى في قفار قفار ديرة تميم وديرة أصحابها
الدار لله وللي فعلهم بالجدار (الترك) تدفن مع الجدران بشبابها
وكان مما قال الأحمري:

بعنا وشرينا وزينا البلد بالعمار تميم ما أنتم دوانيها ولا اقرباها
وروى أمير قفار عبدالعزيز بن عبدالعزيز الخوير التميمي رحمه الله أنه خاصم
عبدالله بن موسى بن مليحان التميمي - رحمه الله - على أرض غياض عند قاضي
حائل الشيخ حمود بن حسين الشغذلي، قال عبدالعزيز: وكان من بين من حضروا
الخصومة سعود بن جلعود الراوية المشهور، وأن ابن جلعود تمثل بقول الشاعر:
كل دار عند أهلها حفايظها إلا غياض سيوف هند حفايظه
ودعا الشيخ سالم بن محمد آل مفيد التميمي مجموعة من أبناء عمومته
لزيارته في قفار، وكان ممن شارك في الترحيب الأمير عبدالمحسن بن حمود
الهديلي التميمي^(٣) بقصيدة منها:

حنا هزمننا الترك من غير تكذيب خلوا(قفار) وشدوا الفجر هراب
حافوا وخافوا عقب ذبح المناديب وهذا جزى الصايل وجرار الأسباب
ومن أهم الأخبار المتعلقة بـ (قفار) ما ورد في كتاب «نبذة من تاريخ نجد»
لضاري بن فهد بن رشيد:

وضاري جلا عن نجد على إثر محاولته الاستيلاء على إمارة حائل، فأنتهى
به الطواف إلى البصرة، حيث ظهر به مرض عضال شخصه حكيم البصرة
الإنجليزي، وأشار بفتح البطن لاستئصاله على يد جراح إنجليزي شهير في
«بمباي» فقدمها لهذا الغرض ونزل على عين أكارمها الشيخ عبدالرحمن بن

(١) مدير جوازات منطقة حائل سابقاً.

(٢) من منسوبي إدارة المباحث العامة بمنطقة حائل.

(٣) رئيس مركز العظيم بمنطقة حائل، وأمير مدينة الروضة القبلي.

إبراهيم التميمي النجدي^(١) ملك اللؤلؤ في زمنه .

قال وديع البستاني كاتب النبذة: وكنت عند الشيخ عبدالرحمن الذي كان من حسن رفده وإكرامه للشيخ ضاري أنه استأجر له قصراً يقيم فيه بحاشيته، وكانوا أربعة ومن خصص له من خدم طيلة المدة اللازمة لعلاجهم وإبلالهم، وكنت جليسه الملازم له طوال تلك المدة، وفي أثنائها وبطلب مني أملاً علي هذه الصفحات، فكنت أدون عباراته بلفظه، ومثلاً لعربية نجدي على الفطرة والسليقة^(٢). قال ضاري في نبذته أتى عيسى الجبل وامتنع عليه بعض أهل قفار، وأما أهل حایل فقالوا له: إنا لما سمعنا بقدمك أجلينا عبدالله - يقصد عبدالله بن رشيد. وضاري يشير هنا إلى ما حدث في عام ١٢٥٢هـ حينما استولى خالد بن سعود وإسماعيل أغا وعسكر الترك على الرياض لما نزح الإمام فيصل بن تركي إلى الأحساء، وما حدث من إرسال قوة من الذين استولوا على الرياض مع عيسى بن علي إلى حائل لكي يستعيد بها إمارته من آل رشيد.

يقول ضاري: نزل عيسى والعسكر على قفار لمحاربة بعض أهل قفار المسمين بآل عبادان^(٣). . . وذلك أن أهل الجبل ساروا مع عيسى وعسكر الترك يطاردون عبدالله بن رشيد مقدار يومين، إلا المذكورين من أهل قفار فقد امتنعوا لأن فيهم رئيسهم المسمى حميد^(٤) رجل عاقل، وذكر ضاري مقولة حمير الشهيرة وهي:

(ناكل من قرّينا، ونشرب من جوابينا، ونقتل الذي في ظلم يأتينا)
وهذه المقولة تدل على مدى اعتداد حمير بنفسه وبعشيرته، وبقوة بلدته،

(١) الشيخ عبدالرحمن من العناقر من بني سعد من تميم.

(٢) نشرت النبذة دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض.

(٣) آل عبادان تصحيف آل عيادة وهم أهل قفار آنذاك وفيهم الزعامة، وقد سبقت الإشارة إلى أنهم من النواصر من الحبطات، من ذرية الفارس المشهور عباد بن الحصين الذي سُميت به مدينة عبادان بفارس.

(٤) حميد هو ابن عيادة والصحيح أن اسمه حمير بالراء لا بالذال. . وقال الدكتور رشيد العمرو إن اسمه عبدالله ولقبه حمير.

ومنعته، وعدم اكترائه بمن يأتي لحرب قفار سواء ابن علي والترك أو غيرهم .
يقول ضاري أن عيسى رجع من مطاردة عبدالله بن رشيد وأعلن الحرب
على حُمير وجماعته ثم أن عبيداً أخا عبدالله - وجد ضاري المؤلف - تسلل إلى
قفار ونزل على الرئيس المذكور يقصد حُمير بن عيادة وأن ابن عيادة أكرم عبيداً
(وخرج به وأخفاه) وأرسل لجماعته وهكذا يفعلون إذا آتاهم أمر حادث .
إذن فقد دخل ابن رشيد على حُمير في قفار، فأواه حُمير ودعا جماعته
لنصرته، يقول ضاري :

إن ابن عيادة أخفى عبيداً في المخزن الذي فيه أواني القهوة وطلب رأي أهل
قفار وعبيد يسمعهم ولا يرونه، وكان هذا في الليل فلما أصبحوا وعبيد ما يزال
مختبئاً قال ابن عيادة: أخرج يا الذي في المخزن فلما خرج قال ابن عيادة للذين
قالوا: لا نريد عبيداً. لا يخرج أحد منكم إلا وقد عاهد على السمع والطاعة
(رضي من رضي وغضب من غضب) أما الذين أعلنوا وقوفهم مع أميرهم ومع
عبيد فهم سامعون مطيعون أصلاً^(١).

وتمضي رواية ضاري فتقول إن عسكر الترك أوقعوا بأهل سوق من أهل
قفار من الموالين لهم، وصار بينهم بعض اللجاج فقتلوا من أهل السوق خمسة
أنفار، فعند ذلك انحاز أهل ذلك السوق إلى القسم المعادي للعسكر، أي انحازوا
إلى حُمير بن عيادة ومن معه من تميم، ونقل ضاري أن قفار محلات كل محلة
تنسب إلى قبيلة ولم يلبث عسكر الترك - حسب رواية ضاري - إلا أياماً قلائل،
رجعوا بعدها من قفار إلى حایل، وتبعهم أهل قفار و (أرجفوا فيهم) عندها تغير
موقف أهل حایل تجاه عسكر الترك وابن علي لما رأوا من تصميم أهل قفار على
منازلتهم وإجلائهم فجعلوا إذا (تطرفوا) بواحد من العسكر قتلوه غيلة حتى يقال إنه
مات، فلما رأى العسكر ذلك رحلوا رحلة أخت الهزيمة وعيسى معهم .
وبعد هذا يقرر ضاري أن عبدالله بن رشيد رجع إلى حائل وأن الأمر

(١) مخزن أواني القهوة، غُريفة صغيرة جداً يوضع بها الدلال والأباريق والقهوة والهيل ولا تتسع
لرجل واحد إلا بكل صعوبة.

استتب له . وأن أمر الجبل لا يزال مستتباً في العائلة الرشيدية^(١) أما عيسى فلم يلبث أن هلك في الإحساء^(٢) .

وخلاصة هذه الحادثة من حوادث التاريخ في قفار في ضوء رواية ضاري هي : أن منطقة الجبل استسلمت لابن علي وعسكر الترك ما عدا ابن عيادة ومن معه من تميم في قفار وأن هذا الزعيم أو الرئيس كما يسميه ضاري كان عاقلاً معتداً بقوته المعنوية والمادية وبقدرته على قتل من يأتي لحرب قفار وأن إمارة الرشيد قد زالت من حائل بحيث فر عبدالله بن رشيد يطارده العسكر أما عبيد فقد لجأ إلى قفار فأكرمه حمير وأخفاه إلى أن أحكم بقوة دهائه ونفاذ بصيرته خطة حرية عرف بها أولاً من هو معه ، ثم أجبر البقية على السمع والطاعة وأنه بأهل قفار تمّ المسير إلى حائل وطرده ابن علي وعساكر الترك منها فعاد الأمر إلى آل الرشيد .

ويبقى أمران مهمان يتعلقان بهذه الحادثة لا بد من الوقوف عندهما : الأول هو : أن الدكتور عبدالله العثيمين قد حرص على استقصاء كل الأخبار المتعلقة بالإمارة الرشيدية وجعل روايات ضاري من أهم مصادر كتابه المعروف باسم (نشأة إمارة آل رشيد) .

وقال : إن في نبذة ضاري معلومات جيدة غير موجودة في غيرها من المصادر وأن أهميتها تأتي من كون ضاري حفيداً مباشراً لعبيد بن رشيد الذي كان الساعد الأيمن لأخيه عبدالله مؤسس تلك الإمارة وكونه نشأ في قاعدتها حائل

(١) كان هذا الكلام في عام ١٣٣١ هـ أي قبل نهاية الإمارة الرشيدية بما يقرب من عشرة أعوام .
(٢) قال ضاري : وتزوج عبيد ابنة عيسى وجاءت منه بولدين وبنتين ، الولدان هما : سليمان وفهيد ، سليمان لم يخلف أما فهيد فهو أبو ضاري صاحب النبذة ومن المعروف أن سليمان هو الابن الأكبر لعبيد وبه يكنى قالت شاعرة من أهل الجوف :

جونا هل السبعان وأهل طوية جرارة المدفع مع أبو سليمان
هل الهلال وصار مثل الحنية وأنا أترجى فزعتك يابن شعلان
والسبعان بلدة من القرى المتفرعة عن قفار .

مما جعله قريباً مكاناً وزماناً من مسرح الأحداث على أن الدكتور العثيمين لم يشر إلى ما أورده ضاري عن حُمير بن عيادة، واستقباله لعييد، وإخفائه له وما تلى ذلك من تخطيط محكم أسهم في تكوين قوة سارت إلى حائل وأرجفت بالعسكر حتى رحلوا منها.

لم يشر الدكتور العثيمين إلى هذه الحادثة كما وردت عند ضاري، ولا يمكن أن يكون قد غفل عنها، أو أنها قد غابت عن ذهنه لأنه ألمح إلى طرف منها فذكر انسحاب العسكر من حائل إلى قفار ولم يعرض لمطاردة أهل قفار لهم وإرجافهم بهم بل قفز إلى أن أهل حائل قاموا بقتل الجنود وأن عبدالله بن رشيد عاد ظافراً كما أنه لم يتطرق للجوء عبيد إلى حُمير بن عيادة وإحكام حُمير الخطة لمحاربة العسكر، ومن العجيب أن الدكتور العثيمين قد أخذ على (وايندر) أنه أخطأ في نقله عن ضاري ولم يبين الدكتور وجه الخطأ فيما نقله هذا الرحالة بل لم يعرض نصاً منقولاً يمكن المقارنة بينه وبين الأصل المنقول منه.

أما الأمر الثاني فهو هاتان القصيدتان المتبادلتان بين عبدالله بن رشيد وحُمير بن عيادة، واللذان تذران بالوعيد والتهديد بالرغم مما بين الاثنين من الألفة والوثام وقد بدأهما عبدالله بقوله:

يا سعيّد اركب فوق حمرا معفاه كنك غرابٍ نازلٍ في ظهرها
ورد عليه حُمير بقصيدة أقوى مطلعها:

يا راكب من فوق حمرا سبنتاه ما ضرب أبوه كود يعرف مهرها
فهل حدث بين الاثنين ما يكدر صفو العلاقة أم ماذا؟

يُجيب الراوة العاميون على ذلك بعدة إجابات منها أن عبدالله بن رشيد قد هدف إلى جس نبض حُمير وجماعته من تميم في وقت بدأ يتوسع فيه نفوذ إمارة حائل، ومنها أن عبدالله، وأخاه عبيداً تنكرا لصنيع ابن عيادة والتمايمة، ومنها أن أموراً قد جدت اضطرت عبدالله وعبيد لحرب أهل قفار وأن رواية منديل التي تذكر أن عبدالله طلب من شعيب بن حمدان وصديان بن عيادة الشمري مساعدته على حرب بني تميم في قفار تؤيد ذلك!

على أن هناك من يرى أن الأمر لا يعدو أن يكون سجلاً شعرياً لا ينطوي على ضغينة بدليل قول عبدالله بن رشيد في قصيدته:

سرّه يا ما تحي دار التميمات نعم الحمايل عند ميله دهرها
وهذا البيت قمة المدح، أما الموقف الذي وقفه حمير وبنو تميم في قفار ضد عسكر الترك وابن علي بالرغم من تسليم أهل الجبل جميعاً فهو ينبع من أن آل الرشيد هم أهل البيعة الشرعية إذ إن عبدالله بن رشيد قد عُين أميراً لحائل من قبل الإمام فيصل بن تركي، ثم إن هذه القوة التركية التي استولت على نجد أجنبية غازية رأى أهل قفار أنه لا بد من مقاومتها والتصدي لها وهو ما حدث فعلاً فأحقق الترك في حائل بسبب أهل قفار^(١)، وانسحبوا يجرون أذيال الخيبة والفشل، كما أخفقوا في جنوب الرياض في وقعة تعتبر من أشد الوقائع النجدية إبلاماً وأبعدها ذكراً^(٢).

أما قبل أن يصبح ابن رشيد أميراً في حائل فإن أهل قفار قد وقفوا ضده فقد ذكر الدكتور عبدالله العثيمين نقلاً عن «بلجريف» أن عبدالله بن رشيد كان طموحاً في وقت إمارة ابن علي فانقسم سكان حائل إلى مؤيدين له، ومؤيدين لحاكمها من آل علي وكان أنصار عبدالله أكثر من أنصار ذلك الحاكم لكن أهل قفار وقفوا مع آل علي فاضطر عبدالله ومؤيدوه إلى مغادرة حائل وكان ذلك في

(١) قال الدكتور العثيمين: أن عيسى بن علي محسوب على ممثلي حاكم مصر، وقال أنه يوجد شعور بوجود مقاومة التابعين لحاكم مصر لدى فريق من أهل قفار بدرجة تفوق ما كان عند غيرهم من سكان الجبل. العثيمين، ص ١٤٥، ١٥٣.

(٢) قال ابن خميس يذكر اندحار الترك في وادي بريك، في الوقت الذي هُزموا فيه بقفار، فجرد أولاد حماد سيوفا أبت يوم الوغي أن تهزم واسترحلت نفوساً لا تقبل الدنية ولا تبقي دون العقيدة والوطن بقية فجعلت جند خالد بن سعود ومن معه من الغزاة الغاصبين من جنود الأتراك جعلتهم في هذه جزراً وأدبت بهم غيرهم، فمن سلم منهم ولّى الأدبار إلى غير رجعة وبقيت هذه وسام شرف في أعناق أبناء حماد. ابن خميس: معجم اليمامة، ص ٣٣٥.

حوالي سنة ١٨٨٨ م (١٢٣٣هـ)^(١).

وبلجريف يشير هنا إلى ارتحال عبدالله بن رشيد من حائل إلى العراق حيث كان يطمح إلى زعامة حائل، ونقل الدكتور عبدالله العثيمين عن متعب السبهان: أن عبدالله بن رشيد خرج من حائل ومعه أخوه عبدالعزيز، وزامل السبهان، وحمود العقلا، وعقيل القبالي^(٢) وملاقي بن مسطح، على أن رشيد بن طوعان ذكر خروج عبدالله، وهو معاصر له، فلم يذكر أن أحداً خرج معه سوى القبالي وذلك في قصيدة مشهورة عند رواة شمر، يقول رشيد:

ماني بحال الملقحة والكوايد لا راح عبدالله وراح القبالي
وقال الدكتور العثيمين: إن من أهم نجاح عبدالله بن رشيد عندما أصبح أميراً في حائل اعتماده على الحاضرة أكثر من اعتماده على البادية، ونقل عن «فالين» أن انتصاراته الحربية تعود إلى السكان المستقرين أكثر مما تعود إلى القبائل الرحل وأن البدو رغم انضمامهم إلى جيشه بأعداد كبيرة يعدون قوة مساندة أو ثانوية^(٣). . . وقال: لقد اشتهر عبدالله بن رشيد بكثرة غزواته التي كان يكلل أكثرها بالنجاح، وأن أبناء القرى يستخدمون في هذه الغزوات خيولهم، وإبلهم الخاصة، كما يؤمنون أنفسهم بالذخائر والمؤن، ويؤلفون القوة الأساسية في الجيش^(٤).

(١) العثيمين: نشأة إمارة آل رشيد، ص ٧٣. وآل رشيد وآل علي أبناء عمومة من عشيرة عبده من عبيدة قحطان، وينظر في ذلك كتاب «سراة عبيدة» للدكتور عبدالله ثقفان، وهو من إصدارات الرئاسة العامة لرعاية الشباب، سلسلة «هذه بلادنا».

(٢) هو عقيل القبالي التميمي من أهل بلدة قصر العشروات وهي متفرعة عن قفار.

(٣) العثيمين: نشأة إمارة آل رشيد، ١٦٧، ١٧٤.

(٤) أشار الدكتور رشيد العمرو إلى أن نبذة ضاري الرشيد مشوشة كثيراً وقال: (إن الباحث المدقق لا يعتمد عليها وقد أشار محققها إلى تناقضها وعلل ذلك فهد المارك بأن ممليتها كان تحت وطأة المرض والعمليات الجراحية). وقد تقدم في صفحة ٨٢ ثناء الدكتور العثيمين على هذه النبذة وأهمية روايات ضاري، والدكتور العمرو يقول: إن ما ذكره ضاري من التجاء جده عبيد إلى بني تميم مشكوك فيه لضعف رواياته لكن هذا الخبر ذكره ابن بشر أيضاً وهو من المصادر المهمة لتاريخ نجد، وليس الأمر وفقاً على رواية ضاري بالرغم من أهميتها.

٥ - قفار في بعض المصنفات الحديثة

قال الدكتور أبو سديرة: أن بطوناً وقبائل عدنانية مثل أسد وتميم قد سبقت طيء إلى سكنى بلاد الجبلين، وتشهد الآثار أيضاً على وجود بقايا من حضارة ثمود وعاد بها، وذكر أن وفد تميم قد وفد للرسول صلى الله عليه وسلم من قفار وفيد^(١). وأشار الأستاذ خير الدين الزركلي أن في علماء الأخبار من يذكر أن عاد قبيلتان: الأولى «عاد إرم» وقد بادت وأصبح اسمها رمزاً للقدم، حتى قيل: مجد عاديّ، أي قديم، ونسبت إليها في زمننا العاديات بتشديد الياء أي التي لا يعرف عصرها، وعاد الأخيرة قالوا: إنها بنو تميم، ومنازلهم في رمال عالج المتصلة بوبار، ونقل عن أبي حبيب أن عاد من قبائل العرب العاربة.

وأشار في الهامش إلى «جش إرم» نقلاً عن ياقوت وأنه جبل عند أجأ في دروته مساكن لعاد وإرم فيه صور منحوتة من الصخر^(٢).

وقال فالين الفنلندي الذي زار قفار سنة ١٨٤٥م: وفي الطرف الشرقي من القرية آثار خراب من بيوت وأسوار طين تثبت أن السكان تحركوا مع الزمان غرباً، مقتربين من الجبل، وقد احتفظ بنو تميم ببعض المميزات اللغوية، وبملاحم في وجوههم تميزهم بسهولة عن شمر، وفي تجوالي بين بدو الجهات الغربية من شبه الجزيرة كان هؤلاء يسألوني - ومثلهم المصريون والسوريون - عن بني تميم وعاداتهم ولغتهم وقاماتهم وميزاتهم الأخرى، وهم يبدأون بالسؤال عن حجم بني تميم، وعما إذا كانت قامتهم أطول من قامة سواهم من العرب، وما إذا كانت لحاهم أكثف وأطول. ويبدو لي أن هذه الملاحظة تعود لمعنى كلمة (تميم) وكانت تطلق في الأصل القديم على رجل قوي البنية، صحيح البدن، وهذه الملاحظة تصدق في القبيلة المذكورة^(٣).

(١) أبو سديرة: حائل في صدر الإسلام، المقدمة، ص ٧٨.

(٢) الزركلي: الأعلام، مادة العين.

(٣) فالين الفنلندي: صور من شمالي جزيرة العرب، ص ١٢٧.

وترجم الأستاذ أحمد العريفي لرميزان بن غشام التميمي المتوفى عام ١٠٧٩ هـ ونقل ما أورده الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام في كتابه علماء نجد من أن مزروعاً جد رميزان هو مزروع بن حميد بن حماد ينتهي نسبه إلى عبدة من بني عدي بن جندب من بني العنبر^(١) من بني عمرو بن تميم، ونقل تعليق الأستاذ حمد على ما ذكره ابن بسام عن مزروع وأن مزروعاً هذا غير المذكور في نسب آل ماضي إذ ليس بين هذا وبين عدي بن جندب الفخذ المعروف قبل الإسلام سوى ستة آباء أي قرنين من الزمان.

وقال الأستاذ أحمد قال ابن عيسى وابن بشر وغيرهما: وفي سنة ١٠٥٧ هـ سار الشريف زيد بن محسن شريف مكة المشرفة إلى نجد وقتل أمير روضة سدير ماضي بن محمد بن ثاري وماضي هذا هو جد ماضي بن جاسر بن محمد بن ثاري ابن محمد بن مانع بن عبدالله بن راجح بن مزروع بن حميد بن حماد الحميدي التميمي جاء جده مزروع التميمي هو ومفيد جد آل مفيد من قفار.

وأضاف الأستاذ أحمد نقلاً عن المصدرين السابقين أن مزروعاً أنجب أربعة أولاد هم: سعيد وسليمان وهلال وراجح وأن كل واحد منهم أصبح جد قبيلة ثم عرض لرسالة تركي بن ماضي إلى علي بن فواز وإبراهيم بن مرشد في حوطة بني تميم بتاريخ ١٢ شوال عام ١٢٨٥ هـ ونصّها أن عمرو النداء الوارد في نسب مزروع من ذرية عبدالله بن المنذر الذي قُتل في وقعة الحديقة في مسير خالد إلى اليمامة، وأن عبدالله بن المنذر رجل مشهور ذكره ابن هشام في السيرة ويبدو أن الأستاذ أحمد لم ينتبه إلى أن عمرو النداء إسلامي متأخر عن جده الأعلى عمرو بن تميم ذلك أنه قبل أن يذكر هذه الرسالة ظن أن عمرو النداء هو عمرو بن تميم فخلط بين الاثنين^(٢).

(١) أشار الأزهرى إلى أقدم شعراء المقطعات في تميم وعدة منهم العنبر بن عمرو بن تميم قال: وقد حققت في كتابي الأسس المبكرة أن ميلاده كان حوالي ٣٩٨ قبل الهجرة (٢٣٦م) معتمداً في هذا على دليل السجلات الملكية ودليل الأنساب. وتميم في اللغة: الكامل الخلق. قال الفرزدق:

واجسم من عاد جسوم رجالهم وأكثر عديداً إذا عدوا من الترب

(٢) ثم أن ابن بشر قال: أن الذي قدم مع مزروع هو ابن مفيد وليس مفيداً كما ذكر الأستاذ أحمد.

ويتضح في ضوء الروايات التاريخية التي نقلها الأستاذ أحمد أن مزروعاً الجد التميمي الذي انتقل من قفار تنتمي إليه عشائر عديدة منها آل بو سعيد الذين عرفوا بهذا الاسم نسبة إلى سعيد بن مزروع، وأن رميزان من هؤلاء «السعيدية» وأنه كان كثير الفخر بهم، وإن كان يعلو بفخره أحياناً إلى عمرو ومنذر^(١)، وإلى تميم القبيلة الأم في أحيان أخرى، وهو شاعر نبطي ينزع إلى الفصيح وقصائده مطولات شعرية^(٢).

وقال الأستاذ أحمد أن مما يتناقله نسابو تميم في زماننا هذا أن الأسرة البوسعيدية الحاكمة في عُمان تعود بنسبها إلى سعيد بن مزروع^(٣)، وذكر من آل بوسعيد آل فارس في سدير والكويت، وآل فوزان وآل قسام، وآل هويشل، وآل عطية في سدير، وآل بكر في حائل^(٤).

وروى منديل الفهيد في كتاب الآداب الشعبية أن عبدالله بن رشيد - أمير حائل - طلب من صديان بن عيادة شيخ الجحيش من شمر وشعيب راعي المستجدة المساعدة على بني تميم أهل قفار فقبلاً ذلك بشرط أن تكون إمارة الحاضرة لشعيب بن حمدان وإمارة البادية لصديان فإن لم يوافق فسيجلبون العسكر من المدينة برئاسة ساق الذيب.

فما كان من عبدالله إلا أن سبقهم وأرسل أخاه عبيداً إلى المدينة وصالحهم،

(١) عمرو النداء من ذرية عدي بن جندب من بني العنبر من بني عمرو بن تميم. قال حميدان الشويعر في مدح ابن ماضي:

أيها المرتحل من بلاد الدعم فوق منجوبة كنها الجوزرة
لابن ماضي محمد رفيع الثنا من ذرا روس عمرو النداء مفعرة

وقال رميزان:

لنا مفخر بالأصل عمرو ومنذر لا قدموا عند الفخار العشائر

(٢) قال أحمد: هي ظاهرة قديمة في شعر بني تميم وأحال إلى الدكتور عبد الحميد المعيني.

(٣) وقال حسين حسن في ترجمة فيصل بن تركي أنهم من آل بوسعيد من تميم. انظر حسين حسن: أعلام تميم، مادة فيصل.

(٤) أحمد العريفي: رميزان التميمي، ص ٤٥.

وجاء منهم بأعوان له^(١).

وقال أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري: قال الشيخ منديل في كراساته: طلب زيد الخشيم الخالدي من أمير آل سعود طلال بن رشيد (مبدع قليب) له غربي قفار فلم يجبه طلال لأن بني تميم أهل قفار ربما شح عليهم الماء فلما زار الإمام عبدالله الفيصل آل سعود حائل شكى عليه الأمر فقال له: شاور أميركم لأنه يعرف البلد وأخذ أسبوعاً ثم قدم له قصيدة فأعطاه الفرعة فوق قفار^(٢). وذكر ابن صقيه أن النواصر المنتشرين في عدد من البلدان النجدية خرجوا من قفار^(٣).

وذكر الدكتور حمد بن ناصر الدخيل أن النواصر بعد خروجهم من قفار استقروا في الفرعة، فرعة الوشم بنجد، ومنها انتشروا في قرى أخرى^(٤)، وفي قفار محلة تعرف باسم الفرعة^(٥). ومن النواصر الأديب الراوية الشاعر ناصر بن عبدالله بن فايز (أبو علي^(٦)) قال يذكر بلدته:

إلى الفرعة اللي ما تغير رسومها ولا ذكر أهلها لو خذ الوقت دوراته
بلاد النواصر من تميم نسبهم ربوعي اليا كل تذكّر قراباته
ولا أنسى من الباقيين وافي خصالهم الادنا بالادنا تشرح الصدر هوماته
قال ابن خميس: الفرعة بلاد صديقي الكريمين الأخوين الشعارين الراويتين
عبدالعزیز بن فايز، وناصر بن فايز، ونقل عن ابن عيسى أحداث الفرعة في عام ١١١١هـ، وما أشار إليه ابن عيسى من أن ذلك قبل أن يستتب الأمر للنواصر في

(١) منديل الفهيد: من آدابنا الشعبية.

(٢) الظاهري: أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء، ص ٥٨.

(٣) ابن صقيه: بنو تميم في بلاد الجبلين، ص ٣٤.

(٤) في حديث له معي بحائل في ٢٩/٧/١٤١٧هـ.

(٥) وفي حوطة بني تميم محلة تعرف باسم «الفرعة».

(٦) قال ابن خميس: كان ناصر بن فايز ثبناً مجوداً يحفظ ولكن بإتقان وتحقيق وتدقيق. ديوان ابن فايز، ص ٢٦٠.

الفرعة ثم قال: والنواصر فخذ مشهور من بني عمرو من تميم^(١). وفي مدينة حائل من النواصر: آل جراد، وآل فايز قال ابن صقيه:

البكر والفايز منا كل عمسان ومر الجراد وحنهم لا تقهويت
ومن آل جراد، حسين بن جراد صاحب وقعة «فيضة السر» أو «وقعة ابن جراد» في عام ١٣٢١هـ وفيها قُتل.

وأورد ابن جنيد قصيدة للشاعر المشهور عبدالله بن سبيل الباهلي راعي (نفي) مطلعها:

قال من غنى وغرهد على روس العدام واونس البارد بكبده عقب لفح السموم
ومنها:

يوم جاب حسين صبيان أهل «حایل» نظام مثل تجار تغانم تبا بيع القدوم
قال ابن جنيد: أنه حسين بن جراد الناصري.
وأورد ابن جنيد قصيدة أخرى تقول أبياتها:

يا ذيب عيّد في فقارحسين من كف شغمووم ذبح عجلان
واليا قضى عنك الطري والزين حدر على ماجد وابن سبهان^(٢)
ومما يتناقله أهل الفرعة: أن حسين بن جراد لما قاد سرية من حائل لم يشأ أن يطاء أرض الفرعة بالوشم وقال لمن معه: إن أهل الفرعة من جماعتي.

قال ابن جنيد ما نصه: «وفي هذه البلدة - يقصد فيضة السر - جرت وقعة بين الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود وبين حسين بن جراد الناصري». ونقل عن الأمير سعود بن هذلول أن ابن رشيد أرسل سرية كبيرة إلى عنيزة مع ماجد الحمود، وسرية أخرى إلى الوشم مع حسين بن جراد ثم ذهب إلى أطراف العراق يستجد شمر، فلما علم عبدالعزيز بذهاب ابن رشيد إلى العراق خرج من الرياض مسرعاً، وهجم على ابن جراد ومن معه في نفود السر فقتله

(١) ابن خميس: معجم اليمامة، ص ٢٥٠.

(٢) هذان البيتان لشاعر من أهل المذنب. انظرهما في كتاب: «المذنب» من إصدارات الرئاسة العامة لرعاية الشباب.

وجميع من معه عن بكرة أبيهم وغنم جميع ما معهم وعاد إلى الرياض وذلك عام ١٣٢١هـ.

ونقل عن خير الدين الزركلي أن ابن رشيد أرسل في أوائل ذي الحجة ١٣٢١هـ سرية من نحو ٣٠٠ مقاتل بقيادة حسين بن جراد من رجالات شمر للمرابطة في إقليم السر، واتصل خبرهم بابن سعود فنهض إليهم من الرياض، وصاولهم يوم ١٨ ذي الحجة في قرية تدعى الفيضة، فقتل ابن جراد وأكثر من معه. ونقل من أفواه الرواة أن الموضع الذي دارت فيه المعركة يسمى «مذبح ابن جراد»^(١).

وفي معجمات البلدان أن نفود السر يُعرف باسم (جراد) وهذه تسمية قديمة، وقد وقع بجراد يوم جاهلي من أيام العرب بين تميم واليمن قال مالك بن حريم الهمداني:

وحي تميم إذ لقينا وسعدها برمل جراد أهلكوا بذحول

قال ياقوت: جراد بين حایل والمروت في ديار بني تميم^(٢).

ومن الحوادث التاريخية في قفار أنه حين نزلت قبيلة عنزة لحرب قبيلة شمر في أرض «ظفرة» الواقعة بين جبلي «أجأ» و «سلمى» شمال غرب بلدة «السبعان» على الطريق المتجه من حائل إلى «الروضة» في جبل رمان، طال مكث القبيلين المتحاربين، ورأى الشمامرة استنفار أهل الجبل من حاضرة وبادية، روى فهد بن عبدالعزيز الخوير التميمي أن مفتاحاً الغيثي نزل قفاراً واستصرخ أهلها حاثاً إياهم على المسير إلى «ظفرة» فاستجابوا بعد لأي، ودقت طبول الحرب، التي تعرف بالدمام، وقيل أن العواجي شيخ عنزة أنكر صوت الدوي القادم من قفار، وعجاجة المدد، وأيقن أن هذا الدعم سيضعف موقف فرسانه، وبعد انهزام عنزة «قال العواجي من قصيدة مشهورة:

(١) سعد بن جنيذل: معجم عالية نجد، ص ١٠٤٤.

(٢) ياقوت: معجم البلدان، مادة الحاء.

يا راكب من عندنا فوق نساس ومعربٍ من ساس هجن أصايل
ما مد روي ولا مد عساس يشدى ظليمٍ منحدر مع خمايل
لا جيتهم في ربعة الشيخ جلاس قل بالجلبل جتنا قفارٍ وحايل
وكثر النقائص الشعرية حول وقعة «ظفرة» التي تُعرف بالمناخ ومنها قصيدة
التبيناوي من شمر:

السيف من يمنى عقابٍ خذيناها والخليل بدل كدشها بالأصايل
ومنها قصيدة عقاب بن سعدون العواجي:
عشبة «طوية» يالتييني رعيناه غصب على دولة قفار وحايل
هكذا رواها سليمان بن دحيم الشبرمي، وعند الأسمر الجويعان أن صحة
هذا البيت هي:

عشبة «طوية» يالتييني رعيناه غصب على سكان سلمى وحائل
أما تنمة القصيدة فهي:

وبيضاء نثايل بالمعارك كسبناها بالسيف ما هي للجدود الأوائل
يحرم عليكم يـ «الدغيرات» مفلاه وان جيتها يالشمري فانت عايل
ومفتاح الغيثي وراكم حدرناه روحوا وراكم يا رفاع الحمايل
قال الأستاذ حمد: ظفرة: جبل يقع في الجنوب الشرقي من حائل، بما
يقارب ٤٠ كم دون السبعان بـ ١٥ كم عنه في الشمال الغربي، جنوب جبل
مليحة، يفصل بينهما شعيب يدعى شعيب المناخ من روافد وادي العُش.

وظفرة بصفة وادي العُش الشمالية، وعند هذا الجبل حدثت الواقعة المعروفة
بين قبيلتي عنزة وشمر، قال الأستاذ حمد وجاء في كتاب أبطال من الصحراء أن
سعدوناً العواجي حصلت بينه وبين شمر معركة هائلة على المنهل المسمى بظفرة،
وهو من مياه شمر، انتصرت فيها شمر على العواجي وقومه. ورغم أن شمر
انتصروا في هذه المعركة فإن سعدوناً العواجي وأبناءه لم يفقدوا شيئاً من أراضي
شمر التي كسبوها. انتهى^(١). وقال الدكتور العثيمين: وانتصرت شمر بمساعدة

(١) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، مادة ظفرة.

من أنجدها من الحاضرة^(١).

وبعد مضي ما يقرب من مائة عام من وقعة ظفرة أنشد فرج بن خربوش الأسلمي الشمري قصيدة في بلدة «السبعان» ذكر فيها بلاء أهل قفار من تميم في وقعة ظفرة يقول فرج:

عواد أبي ربي اليا ثقل ماهان	لا ثقل قول بريك هذا محله
يالله لا تقصف على نسل عفنان	لاجاهم الشايب لقي حشمة له
يحشم ويرفع عندهم مثل ما كان	وفهامهم قول عسى الله يحله
سلم لأهلهم يوم طبع العرب شان	والكل مجبول على عادة له
قريبهم ما هو على التمر عيمان	الطسل والبن الحمر مردف له
من مير من نبتن على جال سريان	من جاب طسل جايب طبخة له
ربع حموهن يوم خفات الأذهان	واللى بغاهن ما عدا مثبر له
القرم أبو صالح حماهن بكرخان	عن غمرة يبون فضية محله
لا جيب بالسبعان لا تكل سلطان	لمونسه ^(٢) كل شليلي يتله
إلى أن قال:	

من حشمة اللي عقدوا كل الأردن
وكانت وقعة «ظفرة» قبل نشأة إمارة آل الرشيد في حائل، أما حين نشأت هذه الإمارة فإن جهود أهل قفار في تثبيت دعائمها نجده في كتاب «صور من شمالي جزيرة العرب» للرحالة الفنلندي «جوري أوغست فالين» حيث يقول إن ابن رشيد يدين لهم - يقصد بني تميم - بجميع انتصاراته على جيرانه من البدو، فإذا قرر الشيخ غزوة ما دعا إليه أبناء القرى فرداً فرداً، وهم يؤلفون القوة الأساسية في الجيش، وطوال الحملة يقدمون مما يملكون وبعدهم يُدعى البدو لكن هؤلاء احتياطيون لا يعتمد عليهم في المعارك إلا قليلاً.

(١) العثيمين: نشأة إمارة آل رشيد ص ١٧٥.

(٢) مونسه: هي القهوة، قال ابن خربوش:

بمونسه عيا العريفي وابن عيد
بيون سلم لايز عن يدينا

لقد راقب «فالين» حركة الجيش في حائل، وقال عن بني تميم أنهم أصحاب اليد الطولى في الانتصارات التي تحقّقها هذه الإمارة الناشئة، ووصف التميميين بأنهم أشجع الفئات التي يتكون منها جيش حائل، وأنهم أكثر مهارة في استخدام السلاح. وقال «فالين» في موضع آخر: «إنهم على جانب كبير من الثراء وأنهم ارستقراطيو شمر».

بهذه الصفات تحدث «فالين» عن قفار وأهلها من خلال مشاهدة، ومعايشة، وقارن بينهم وبين الآخرين، ووضعهم في طليعة المقاتلين لشجاعتهم، وحسن استخدامهم للسلاح، ولثروتهم التي تمكنهم من تموين الوحدات المقاتلة^(١).

وللأستاذ عبدالعزيز الأزهري^(٢) إسهام في البحث في الحوادث التاريخية في قفار التي يُسميها «قفار بني تميم» وقال في مقدمة كتابه «بنو تميم ومكانتهم في الأدب والتاريخ» أنه ألّف هذا الكتاب في تاريخ بني تميم عامة، وتاريخ المزارعة خاصة، وقال: لا يفوتني أن أعترف بفضل الأخ الأمير تركي بن محمد الماضي المزروع، نسبة إلى مزروع الذي حدد تاريخ خروجه من قفار بعام ٦٠٠هـ، ١٢٠٤م.

وقال الأزهري وقد اتصلت بأخي النسيط عبدالله بن سليمان المزروع الموظف بالمديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر بمكة لتتم السلسلة بنسبه فقال: إنه عبدالله بن سليمان بن سلامة بن حمد بن محمد آل مزروع.

قال الأزهري تحت عنوان (لفتة إلى القرون الوسطى):

ولما شكوت إليه هذا الاختصار قال: جماعتنا المزاريع «الذين يقطنون منفوحة» جاء جدهم من «قفار» قرب حائل، وهي قفار بني تميم جاء إلى سدير حوالي سنة ٦٠٠هـ وهذه توافق من التاريخ الميلادي سنة ١٢٠٤م، ولا يزال في قفار كثير من بني تميم، ومزاريع منفوحة هم: آل علي، وآل حمد، وآل مبارك، وآل بو سليمان انقرضوا ولم يبق منهم إلا القليل، ومنهم العم عبدالعزيز بن سلامة بن حمد بن محمد المزروع، وأولاده سلامة ومحمد وصالح.

(١) فالين: صور من شمالي جزيرة العرب.

(٢) هو عبدالعزيز المزروع.

وأخي الأستاذ الشيخ عبدالله من فخذ آل حمد، بمنفوحة، وأرشد أبنائه الدكتور أحمد وسيكون من مفاخر الطب الحديث^(١).

وأشار الأزهري إلى نظريته في تقدير متوسط العمر وهو ٤٠ سنة لكل جيل وذلك في كتابه «الأسس المبتكرة لدراسة الأدب الجاهلي» وقال تحت عنوان «البحث في تاريخ منفوحة» وقد رجعت إلى مذكراتي الخاصة في تاريخ منفوحة فوجدت أنه في سنة ١١٥٩هـ «١٧٤٦م» أي منذ ٢١٣ سنة سطا دهام بن دواس في بلدة منفوحة، ومعه أهل الرياض، والصمدة فاستولى عليها وثبت علي بن مزروع ومن معه فقذف الله الرعب في قلب ابن دواس وأتباعه فتسور عليهم علي ابن مزروع فهربوا وهم يجرون أذيال الخيبة والفشل.

وفي سنة ١١٧٣هـ (١٧٥٩م) أي بعد هجوم ابن دواس على منفوحة بـ ١٣ سنة غزا عبدالعزيز الخرج فأوقع بأهل الدلم ثم سار بجيوشه إلى ثرمدا وقتل من أهلها، وأصيب من الغزو مبارك بن مزروع^(٢).

قال الأزهري: واتصل أخي الأستاذ عبدالله المزروع بفخر بني تميم وزعيمهم في العراق حسن السهيل^(٣) فأرشده إلى أراضي جدول أبي غريب، وهور عكركوف يسكنها الآن الطجاج والكوايد والخضيرات والغياض والبوطحمة وكلهم في لواء بغداد وقضاء الكاظمية إلا البوطحمة ففي قضاء المحمودية^(٤).

ويرى الأستاذ دخيل بن فهد الناصر - من أبناء حائل - أن الغياض الوارد ذكرهم في هذا الخبر هم أهل (غياض) في قفار.

وقال الأزهري عن بني تميم في البلاد الإيرانية أن الشريقات يسكنون في لواء عبادان، والنواصر في لواء الأهواز وقضاء السورة، وقد تقدم الحديث عن «النواصر» وانتقالهم من قفار إلى (فرعة الوشم).

(١) هذا القول لعبدالعزیز المزروعی الأزهری فی کتابه بنو تميم ومكانتهم فی الأدب والتاریخ.

(٢) الأزهری: بنو تميم ومكانتهم فی الأدب والتاریخ ص ٢٣.

(٣) قال الشیخ حمد الحقیل: إن أكثر فرق العراق من تميم وزعيمهم العام ابن السهيل. حمد الحقیل، كنز الأنساب، وانظر ترجمة ابن سهيل فی موسوعة أعلام تميم لحسين حسن.

(٤) الأزهری: بنو تميم ومكانتهم فی الأدب والتاریخ ص ٢٤.

وعقد الأزهري فصلاً للبحث في المزاريع، والمزارعة من الناحية اللغوية فقال: المزارعة جمع تكسير مفردة مزروعي، ودليل هذا قول المبرد^(١): فأما قولهم: الأزارقة فهذا من باب من النسب آخر، وهو أن يسمي كل منهم باسم الأب الذين كانوا ينسبون إليه، ونظيره المهالبة، والمسامعة - والمناذرة، ومعنى هذا أن المهالبة مفردة مهلبي، والمسامعة مفردة مسمعي، والمناذرة مفردة منذري^(٢).

وقال: لقد بحثت الموضوع في عدة مراجع لغوية وأدبية فعثرت على أكثر مما حصل عليه المبرد وتبين لي أن هذا الجمع مفردة واحد من ثلاثة:

- ١- الأكثر أن يكون مفرد مفاعلة بياء النسب كالرأي الذي اقتصر عليه المبرد.
- ٢- ويليه في الكثرة، التباغة - وهم ملوك اليمن - ومفرده تُبُع بالتشديد.
- ٣- والنوع الثالث مثل العبادلة وهم - على سبيل الحصر - عبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن عمرو بن العاص.

فالمزارعة من النوع الأول وهو الذي اتصل مفردة بياء النسب، وأما المزاريع التي يطلقها قومي في جزيرة العرب علينا فمفرده مزروع على وزن اسم المفعول من الفعل الثلاثي، وقد كان بعض الصرفيين في العصور المتأخرة يقصر هذا الجمع على السماع لقلّة ما ورد في اللغة منه - في رأيه - ولكنني عددت نحو سبعين على مفاعيل جمعاً لمفعول. فهذا الجمع قياسي لكثرة وروده وعلى هذا نقول: مزروع مفرد جمعه مزاريع كما قالت العرب. وبناء عليه نجد أن «المزارعة» التي نستعملها في مصر وشرق أفريقية و«المزاريع» التي يستعملها أخوتي في المملكة العربية السعودية السعيدة مدلولها واحد، ونسبتهما واحدة^(٣)، وتحدث الأزهري عن «المزارعة» في صعيد مصر في البرجاية، وسنها وغيرها^(٤).

(١) صاحب كتاب «الكامل» وهو كتاب أدبي.

(٢) آل المهلب من الأزد اليمانية وآل مسمع من بني قيس بن ثعلبة من بكر بن وائل كان لهم شهرة في البصرة أيام بني أمية، وآل منذر ملوك الحيرة.

(٣) الأزهري «بنو تميم ومكانتهم في الأدب والتاريخ» ص ٤٠.

(٤) كما تحدث عن «تل بني تميم» و«أبنوب» في «أسبوط» وذلك تحت عنوان «الرئيس عبدالناصر تميمي» الأزهري ص ١٥ ، ٢٥-٣٤.

وتحدث الأستاذ حمد في الجمهرة عن مفيد التميمي فقال: تقدم الكلام عن آل ماضي بأن مزروعاً التميمي جاء إلى سدير من بلدة قفار، هو ومفيد التميمي، جد آل مفيد، وأن مزروعاً استوطن وادي سدير. ولم يذكر ناقل الخبر شيئاً عن مكان استيطان مفيد وبنيه، أفتراه رجع إلى قفار، بمنطقة الجبلين؟ فهناك أسر كثيرة تنتسب إليه، وتنسبه إلى عمرو بن تميم في كثير من قرى تلك المنطقة ممن انتقل من قفار^(١). انتهى ما ذكره الأستاذ حمد عن مفيد، ولعل أقدم من ذكر انتقال مزروع من قفار هو ابن بشر، وابن بشر لم يذكر أن مفيداً كان مع مزروع في رحلته من قفار بل قال: أن ابن مفيد هو الذي رافق مزروعاً إلى سدير^(٢)، أما ناقل الخبر الذي يشير إليه الأستاذ حمد فهو ابن عيسى في كتابه (تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد). وابن عيسى متأخر عن ابن بشر، وينقل عنه في كثير من الأحيان وبتصحيح الرواية من مصدرها الأصلي وهو ابن بشر لا يبقى محل للتساؤل الذي أثاره الأستاذ حمد.

٦- قفار وتغفار

تَغْفَار اسم يطلق على بئر عرفت فيما بعد بأَم الجماجم نسبة إلى وقعة حدثت بها.

وفي مجلة العرب تحدث الأستاذ سعد بن عبدالله البكر التميمي عن وقعة «أم الجماجم» وقال إنها حدثت في عام ٧٩٠هـ، وإنها للمزاريع من تميم على الدوشان من مطير، وأن المزاريع هؤلاء أثناء الوقعة كانوا في رحلة من العراق، ولم يذكر البكر «أجا» ولا «قفار» ولا الحميضي وأولاده الذين يُقال: إنهم انتقلوا بعد هذه الوقعة إلى قفار.

وعلق عيد بن هجاج المطيري على حديث سعد البكر وقال: إن حادثة «أم الجماجم» إن كانت كما حدد البكر تاريخها فهي ليست على الدوشان لأن

(١) حمد الجاسر: جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، ٧٩٤.

(٢) ابن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد ص ٥٢، ونص ما ذكره ابن بشر هو (أقبل جدهم الأعلى مزروع من قفار، هو وابن مفيد).

الدوشان لم يعرفوا إلا بعد ذلك التاريخ في مطلع القرن الثاني عشر الهجري^(١). والذي يلاحظ هو أن وقعة «أم الجماجم» غير واضحة حتى عند الذين يروونها هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن آل الحميضي ليسوا هم أول من استوطن قفار من تميم - وإن كان كثرة من حمايل تميم في الجبل تنتسب إلى الحميضات - فبنو العنبر أسبق وأقدم، كما تمّ بيانه، ثم إن آل الحميضي فرع من النواصر في بلدة القصب بالوشم، والنواصر عرفوا أصلاً في قفار مع أخوتهم بني العنبر ومنها تفرقوا في البلدان.

وإن كان من رحلة لآل الحميضي إلى بلاد الجبلين بسبب حادثة «أم الجماجم» فهي عودة إلى (قفار) البلد المعروف لديهم الذي منه خرج أجدادهم. على إن مما تجدر ملاحظته هو أن ما ورد في كتابات المتتبعين إلى آل الحميضي (الحميضات) من أهل نجد لا يتضمن أية إشارة إلى وقعة الحميضي في «أم الجماجم» ورحلته إلى قفار مع قرب هذا المنهل من بلادهم وصلته بعشيرتهم العمرية التيممية. فقد تحدث علي بن عبدالله الحميضي في مجلة العرب عن الحماضا فقال ما ملخصه: الحماضا في القصب والمشاش (في الوشم) من النواصر من بني عمرو بن تميم، تفرع منهم أسر انتشرت في القصيم والمنطقة الشرقية، والمنطقة الغربية، ولم يذكر المتحدث قفاراً وحائل ولا وقعة «أم الجماجم»^(٢).

وألّف محمد الحميضي كتاباً عن «القصب» ضمن سلسلة (هذه بلادنا) من إصدارات الرئاسة العامة لرعاية الشباب أشار فيه إلى الحماضا وسكناتهم للقصب والمشاش ولم يشر إلى هذا الذي يرويه أهل الجبلين من رحلة الحميضي إلى «قفار»^(٣). وحتى الباحثون المحققون في المنازل والديار من أمثال: حمد الجاسر، وابن عقيل الظاهري، وابن خميس لم يتطرقوا لوقعة «أم الجماجم» بالرغم من أنهم بحثوا في «تعشار» والحوادث المتصلة بها قديماً.

(١) العرب، ١، ٢، ١٤١٢هـ.

(٢) مجلة العرب، ج٢، سنة ١٩، شعبان ١٤٠٤هـ.

(٣) محمد الحميضي: القصب، ص ١٠١.

قال ابن خميس: أم الجماجم منهل مشهور شمال الأرطاوية عند موقف العرمة الشمالي ملاصق للدهناء غربيها ينطلق من طريق (أم الرّقم) الذي يجتاز الدهناء وهو من مناهل «مطير» وماؤه عذب، وأم الجماجم اسم حديث، أما قديماً فهي «تعشار» ونقل عن كتاب «بلاد العرب» أنها لبني ثعلبة (من ضبة) وعن معجم ما استعجم «أنها من بلاد بني تميم»^(١).

فابن خميس كما يلاحظ لم يعرض لسبب تسمية «تعشار» بأم الجماجم ولا للرحلة منها إلى (قفار) وقد نقل عنه أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري هذا التعريف ولم يزد عليه^(٢).

أما حمد الجاسر فقد عرض لـ «تعشار» في حديثه عن «الحسن» الذي حدثت به وقعة من أشهر أيام العرب في الجاهلية هي وقعة «الشقيقة» أو «الأميل» حيث قُتل فارس ربيعة بسطام بن قيس قتله عاصم بن خليفة، وأكثر الفرزدق وبنو تميم من الفخر بذلك.

قال حمد الجاسر: الحسن جبل من حبال الدهناء يتصل به جبل آخر يُدعى «الحسين» ويفهم من النصوص التي سترد فيما بعد أنهما يقعان غير بعيدين عن طريق البصرة إلى اليمامة، الطريق الذي يمر بـ (فلج) (وادي الحفر) ثم المجازة (الثامي) ثم الدهناء شرقي إقليم سدير وقد جرى في الحسن يوم من أيام العرب بين بني شيبان من بكر بن وائل وبين بني ضبة بن أد إخوة تميم وجيرانهم في المنازل قبيل الإسلام، وكانت منازل شيبان في نواحي فلج، حتى أراحتهم بنو تميم عند ظهور الإسلام، وعُرف ذلك اليوم باسم يوم الحسن، ويوم شقيقة الحسن، ويوم نقا الحسن، ويوم الشقيقة، ويوم الأميل، ويوم فلك الأميل، وكلها صفة لموضع، أو مواضع متقاربة.

وكان الظفر لبني ضبة، حيث قتلوا رئيس بني شيبان^(٣)، بسطام بن قيس،

(١) ابن خميس: معجم اليمامة، ص ١١٢.

(٢) الظاهري: مسائل من تاريخ الجزيرة العربية، ص ١٨٠.

(٣) شيبان من بني وائل، ومنهم جستاس، وهَمَام وبسطام من أهل الجاهلية، والمثنى بن حارثة من أهل الإسلام.

واستردوا إبلهم، بعد أن جاءهم الصريخ وهم حلول على ماء «تعشار» مما يدل على قرب الحسن من هذا الماء الذي جهل اسمه الآن. ولكن صاحب كتاب «بلاد العرب» حدد موقعه تحديداً دقيقاً يفهم منه أنه يقع في الشمال الشرقي من «مُبايض» الذي كان منهلاً، ثم أصبح الآن قرية من قرى سدير المعروفة.

ثم نقل الأستاذ حمد من معجم اليمامة لابن خميس أن أوصاف (تعشار) تنطبق على منهل «أم الجماجم» ثم كلام مفصل عن كتاب «بلاد العرب» في وصف الطريق من حجر - قاعدة اليمامة - إلى الكوفة يفهم منه أن (تعشار) قرب (مُبايض). . . وبعده قال الأستاذ حمد أن صريخ بني ضبة سار من الحسن وأتى (تعشار) واستصرخ قومه، فلحقوا بأعدائهم قبل أن يصلوا إلى وادي فلج (الحفر) الكثير المناهل، فإنهم بعد عقر الجمل الذي يحمل الماء حل بهم الوهن فهزموا. وعرض الأستاذ حمد لخبر ذلك اليوم بالتفصيل وذكر النصوص المتعلقة بتحديد مكان «الحسن» فنقل الخبر من النقائض في ضوء شرح أبي عبيدة لقول الفرزدق:

وهم الذين على (الأميل) تداركوا نعماً يشل إلى الرئيس ويُعكل
ومما نقل أن بسطام بن قيس الشيباني أغار ومعه قومه بكر بن وائل من (سفوان)^(١) على بني ضبة في فلك الأميل، والأميل رمل يعرض ويستطيل مسيره يوم أو يومين، فاستاق ألف بعير لمالك بن المنتفق رئيس بني ضبة، فأتاهم النذير، فتداركت الخيل فشد عاصم بن خليفة على بسطام فقتله، وردوا ما استاق من النعم، وأن بني ضبة اتبعوا بسطاماً وأصحابه وقد جمعوا ما كان معهم من ماء على جمل لهم، وسارع وقدموه بين أيديهم فرموا الجمل بسهم قطع نخاعه فتعجب على جرائه، وانقذت المزادتان فلما رأى القوم ماءهم قد هريق، أسقط في أيديهم واستأسروا، وألقوا السلاح وجعل بسطام يحميهم في أخريات الناس فلحقه عاصم بن خليفة وهو رجل أعسر قطعنه في صدغه الأيسر حتى نجم الرمح في صدغه الأيمن.

(١) هي صفوان المعروفة في العراق.

ثم أورد مرثية في بسطام، ثم خبراً طويلاً في النقائص عن أبي عبيدة عن اليوم نفسه باسم يوم الشقيقة ورد فيه أن دليلاً عائفاً من بني أسد كان مع بسطام وأشار عليه بالرجوع عن الغزو لأن العائف تطير فأبى بسطام فكان ما كان من قتله في (النقا) (نقا الحسن)، وأن الفوارس نهضت من (تعشار)، وتداركوا بني وائل، وهم يطردون النعم، وأن عاصم بن خليفة كان منذ صغره يعقب قناة له فيقال له: ما تصنع بها يا عاصم؟ فيقول أقتل بها بسطاماً.

ونقل عن الأزهري في «التهذيب» أن (الحسن) نقا في ديار بني تميم معروف، أصيب عنده بسطام بن قيس، وعن «معجم ما استعجم» أن نقا الحسن الذي قتل عليه بسطام بن قيس بتعشار، وأن بسطام بن قيس قُتل في برقة وهي شقيقة بالدهناء طولها مسيرة يومين. قال الأستاذ حمد: أمّا قوله بأن الحسن بتعشار فهو استنتاج مما ورد في الخبر أن الصريخ استصرخ أهل تعشار وهذا كما تقدم غرب الدهناء بعيد عن الحسن، ونقل عن «معجم ما استعجم» أيضاً أن قشاوة موضع متصل بنقا الحسن قال جرير:

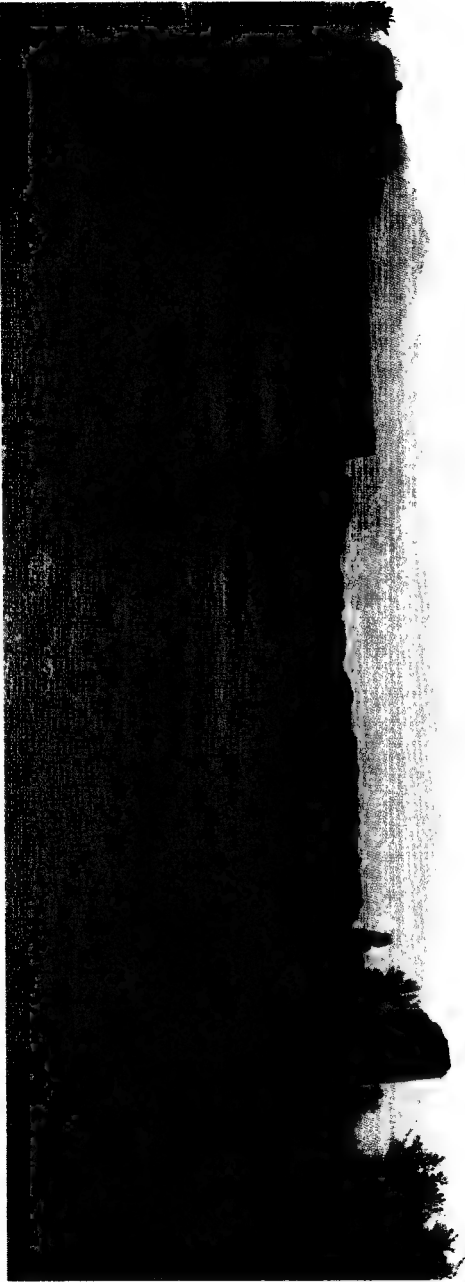
نعم الفوارس يوم نعف قشاوة والخييل عادية على بسطام وقال (قشاوة) غير (نقا الحسن)، وأنه كان لبسطام أربع وقعات، أسر يوم الصحراء (صحراء فلج)، أسره صياد الفوارس^(١)، وظفر يوم قشاوة، وانهزم يوم العظالي، وقتل يوم النقا (نقا الحسن).

وخلص ممّا أورده إلى أن الحسن والحسين أنقاء الدهناء وأن الدهناء من بلاد بني تميم، وبنو ضبة أخوتهم في النسب، وخلطاؤهم في المنازل، وأن الحسين يقعان من الدهناء فيما بين أعلى وادي فلج (الباطن) وبين (تعشار) الواقع غير بعيد عن شمال إقليم سدير، وأنهما غير بعيدين عن الأمل وهو كثيب الرمل الواقع في الدهناء، فيما بين السياريات وعرق المظهور، وهذا يمتد نحو الجنوب حتى يكون بموازة القاعية والأرطاوية وما حولهما من المناهل التي لا شك أن ماء تعشار منها^(٢).

(١) صياد الفوارس هو عتاب بن الحارث بن شهاب اليربوعي التميمي مات بسميراء بحائل.

(٢) حمد الجاسر: معجم المنطقة الشرقية، ص ٤٩٨.

أحد أسوار قلعة في حصن جبل أجا



لقد استقصى الأستاذ حمد الجاسر جميع الأخبار المتصلة بمقتل بسطام بن قيس في (شقيقة الحسن) لتحديد هذا الموقع في جزيرة العرب، وساق ما يتصل به من الروايات في معجمات البلدان والنقائض وكتب اللغة، وما يتعلق به من الأشعار، وعرض للأماكن ذات الصلة به كمنهل (تعشار)، ولو كانت وقعة «أم الجماجم» التي يذكرها المتأخرون من رواة العامة، والشعراء النبطيون معروفة، لما فات الأستاذ حمد أن يشير إليها خاصة أنه ذكر (تعشار) عدة مرات في الإثني عشرة صفحة التي خصصها لوقعة (شقيقة الحسن).

والذي يبدو هو أن خبر (أم الجماجم) وما يتصل به من الرحلة إلى قفار، أو الرحلة من تعشار إلى قفار، ما يزال يكتنفه الغموض والإبهام، أو أن وقعة (الحسن) ومقتل بسطام وعلاقتهما بتعشار قد جعلها - لشهرتها - أصلاً جاهلياً بعيداً لإسطورة (أم الجماجم)، ودخل عليها التحريف والتبديل عند الرواة في بلاد الجبلين، كما يحصل لأخبار الأزمان الغابرة.

على أنه من المستبعد أن تسمى (تعشار) بأم الجماجم دون سبب، أما شهرة وقعة (الحسن) فتعود إلى شهرة بسطام باعتباره واحداً من ثلاثة اتفق أهل عكاظ على أنهم أفرس العرب^(١). وكانت وقائعه الجاهلية مع بني تميم في الغالب في الدهناء، وصحراء فلج (الحفر) وبلاد يربوع، لما بين قومه بكر بن وائل وبين تميم من الثارات والنزاع الذي لا يكاد ينقطع على أراضٍ تعد من أخصب بلاد العرب. قال بعض شُراح فخریات الفرزدق بمقتل بسطام ومنها:

وخالي بالنقا ترك ابن ليلي أبا الصبهاء محتفراً لهابا
كفاه التبل تبل بني تميم وأجزره الثعالب والذئابا
قال بعض الشراح أن صحة البيت الأخير هو:

كفاه الليل ليل بني تميم وأجزره الثعالب والذئابا
وكما فخر الفرزدق بوقعة الحسن فخر جرير بها أيضاً وبني ضبة لقتلهم

(١) قالت العرب فرسان الجاهلية ثلاثة: بسطام بن قيس الوائلي فارس ربيعة، وصياد الفوارس فارس تميم، وعامر بن الطفيل فارس بني عامر من هوازن.

بسطاماً وذكرنا يوم الحسن ولنباهته فإن تميمًا ظلت تذكره دهرًا طويلاً، ومما يُروى أن عاصم بن خليفة كان يقف على باب الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه في الإسلام وينادي بأعلى صوته: أنا عاصم بن خليفة قاتل بسطام.

وإذا كنا ألمحنا إلى أن أهل قفار من تميم في عهدنا الأول من هم من بني العنبر^(١). وبني العنبر هم أهل قَلَج (الحفر) في الجاهلية، وأول الإسلام، ووقعة الحسن حيث قُتل بسطام قريبة من ذلك الموقع، فلا يستبعد أن تكون أسطورة (أم الجماجم) قد انتقلت مع أولئك التميميين إلى قفار من مواطنهم تلك.

وبقي في حديث الحميضي وأم الجماجم الإشارة إلى بعض الأقوال المتعلقة بها فقد ورد في مخطوطة حمود الهياث التميمي أن فرجاً الحميضي قدم إلى قفار من أشيقر. وهذه الرواية مرجوحة بكون أشيقر من بلاد الوهبة، ولا علاقة للعمرين بها، وما ورد في مقالة للشيخ محمد بن عبدالمحسن الفريح التميمي - من أهل البكيرية - يتحدث فيها عن أسرته آل سلمي الذين انتقلوا إلى البكيرية من قفار، نشرت في مجلة العرب^(٢)، وذكر فيها أن فرجاً الحميضي قدم إلى قفار من نعام، وهذه الرواية مرجوحة أيضاً لأنها لم تؤيد بتاريخ ولا بشعر، ثم إن حوطة بني تميم التي تقع نعام بقربها لم تعرف التميميين إلا بعد خروجهم من قفار إلى سدير ثم الحوطة كما ذكر ابن لعبون في تاريخه، وابن ماضي في تاريخه وغيرهما، إلا إذا كان من يتحدثون عن رحلة الحميضي إلى قفار لا يعنون بها الرحلة التميمية الأولى إليها.

أما انتساب بعض أهل قفار وبعض أهل البلدان المتفرعة عنها في حائل إلى الحميضي فمرده فيما يبدو إلى هذه الأخبار التي تروى عنه وعن أم الجماجم حتى أصبح الحميضي عزوة عامة لبني تميم في حائل. قال حُمَيْر بن عيادة التميمي -

(١) سبقت الإشارة إلى نزوح مزروع التميمي من قفار في عام ٦٠٠هـ (١٢٠٤م) إلى روضة الخيل بسدير، ومزروع من بني عدي من بني العنبر، وبلاد بني عدي هي قَلَج والطنب، وماوئة، وأم العشر، انظر عن هذه المواقع معجم المنطقة الشرقية للأستاذ حمد الجاسر.

(٢) مجلة العرب.

أمير قفار - يخاطب عبدالله بن رشيد - أمير حائل - إبان نشأة إمارة آل رشيد:
هيهات يا جويلان هيهات هيهات هيهات وين سيوفكم وين اثرها
ما غير تشرب من هماج الحميضات وأوذيت نطار الخضر في نطرها
وذلك من قصيدة مطلعها:

يا راكب من فوق حمرا سبتات ما ضرب أبوه كود يعرف مهرها
وقال مخلف الجنفاوي في أهل السبعان وهم من أهل قفار:

ياراكب من عندنا فوق فداد سهواج رهواج قعود عماني
يلفي لعاش شوق مزبور الانهاد ستر الرفيق وزبن من جاء عاني
غوش (الحميضي) ما بهم قولة داد قهاوي من طبها مطرباني
لاجن مع الشريان هجفا وشراد وحاديهن الموت الحمر هزرفاني
إيمانهم ياما تنفذ من الزاد وحيل تقلط فوق طفع الصياني
وقال ناصر الهياف التميمي من أهل الغزالة يمدح أهل ضرغط، وأهل
هاتين البلدتين من أهل قفار:

نبي لاهل ضرغط نكر النجيبه نسل الحميضي ما دخلهم لفايف^(١)
وبقي فيما يتعلق بـ «تعشار» «أم الجماجم» أن يوماً شهيراً من أيام العرب
حدث بها يُعرف باسم يوم تعشار وهو لبني تميم؛ لبني عمرو منهم علي بن شيبان
من بني بكر بن وائل وفيه قتل زعيمهم مالك بن عبدالله (ذو الجدين) وفي ذلك
قال ربيعة بن طريف بن تميم:

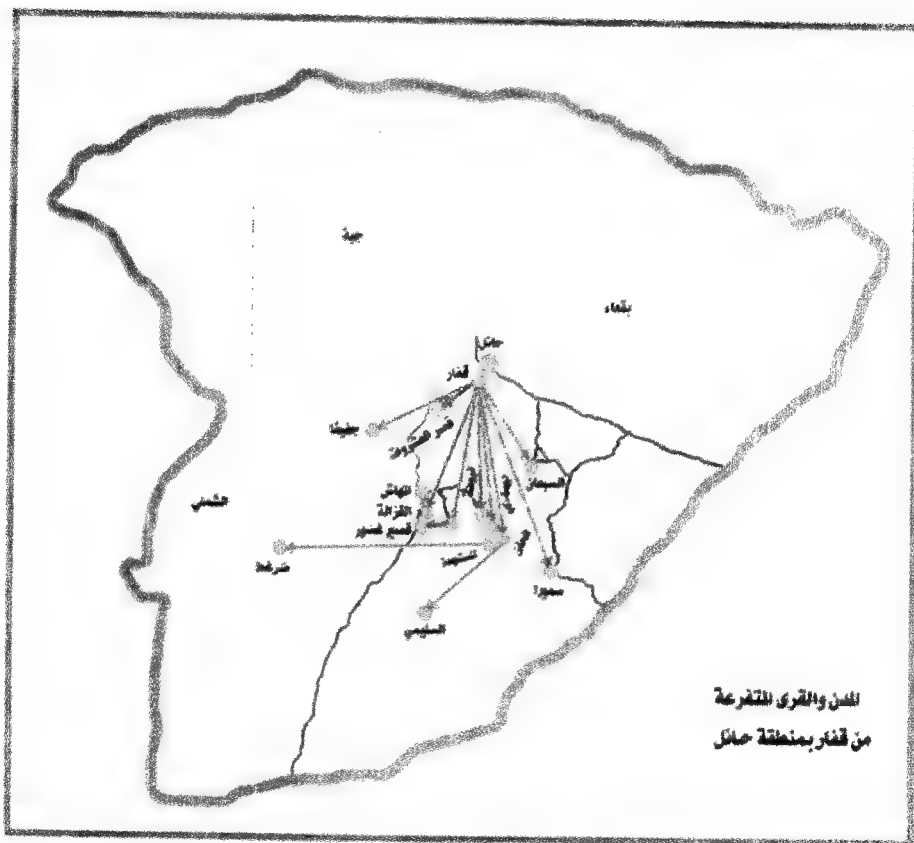
هم قتلوا في يوم تعشار مالكا ولم يك في شيبان فرع يماجده
ثماء ابن ذي الجدين في أرفع العلى فمن خير أحياء البرية والده

(١) ذكر الدكتور رشيد العمرو إن قصيدة حُمير بن عباد التميمي إنما هي رد على قصيدة لعبيد بن رشيد لا عبدالله، غير أن قول ابن عباد: «هيهات يا جويلان» يفهم منه أن المقصود عبدالله، إذ هو الذي يلقب بـ «جويلان». وفي أبيات القصيدتين نقص وتقديم وتأخير.

القصر الثامن

المدن والقرى المتفرعة عن قفار
في منطقة حائل

- ١ - ضرغط
- ٢ - السليمي
- ٣ - السبعان
- ٤ - جفيفاء
- ٥ - الغزالة
- ٦ - قصير غصور
- ٧ - المهاش
- ٨ - المستجدة
- ٩ - الروضة
- ١٠ - وسيطاء الحفن وسهبراء
- ١١ - قصر العشروات



المدن والقرى المتفرعة من قفار بمنطقة حائل.

المدن والقرى المتفرعة عن قفار في منطقة حائل

خرجت من قفار جماعات غفيرة من بني تميم في سنوات مختلفة، وأنشأت هذه الجماعات عدداً من البلدان التي أصبح بعضها مع مرور الزمن أكثر سكاناً من قفار البلدة الأم.

وقبل أعوام ليست بعيدة كانت مراكز الاستقرار الحضري في منطقة حائل تكاد تنحصر في هذه البلدان القفارية، أما في السنين الأخيرة فقد شهدت المنطقة ظهور مدن وقرى جديدة عمرها أناس لم يخرجوا من قفار، وأكثر هؤلاء من أبناء البادية الذين ركنوا للاستقرار، أما المدن والقرى التي عمرها الخارجون من قفار فهي:

- | | |
|-------------------|---------------------------|
| ١- ضرغط. | ٢- السليمي. |
| ٣- السبعان. | ٤- جفيفاء. |
| ٥- الغزالة. | ٦- قصير غضور. |
| ٧- المهاش. | ٨- المستجدة. |
| ٩- الروضة. | ١٠- وسيطاء الحفن وسميراء. |
| ١١- قصر العشروات. | |

١- ضرغط

تقع ضرغط في جنوب غرب منطقة حائل على بعد ١٨٠ كم عن حائل المدينة، في الطرف الشرقي مما كان يعرف قديماً باسم «حرة ضرغد»^(١).

(١) هي ضرغد في القديم أما الآن فإن دالها تبدل طاء. وتشتهر ضرغط حالياً بوجود منجم لمعدن «المغنزايت».

وضرغط قديمة الذكر، جاهلية العهد، ورد اسمها في أكثر المعلقات الشعرية التي تنسب إلى عمالقة الشعر الجاهليين، كطرفه بن العبد الوائلي، والنابعة الذبياني، وعبيد بن الأبرص الأسدي.

وفي الوقائع الجاهلية بين بني عامر وغطفان كثر ورود اسمها في أشعار هذين القبيلين العظيمين، ومن ذلك قول عامر بن الطفيل، وهو من قادة العرب الجاهليين، ومن مشاهير فرسان وزعماء القيسية العدنانية:

فلأبغينكم الملا وعوارضا ولأوردن الخيل لابة ضرغد
وقول النابعة يرد عليه:

لو عاينتكم كماتنا بطوالة بالحزورية أو بلابة ضرغد
لثويت في قد هنالك موثق في القوم أو لثويت غير موسد
واللابة هي الحرة وهي الأرض السوداء، وقد انتقل هذا الاسم من العربية إلى الإنجليزية عن طريق اللغة الإسبانية، مع تحريف بسيط.

وفي ضرغط حدث يوم بين بني تميم وطيء، وورد ذكر هذا اليوم في نقائض الفرزدق والطرماح بن حكيم الطائي، قال الطرماح في معرض فخره بمواقف الأزد الكهلانية اليمانية:

ونحن حصدنا يوم أحجار ضرغد بقمرة عنز نهشلاً أيما حصد
ونهشل من أسماء الذئب، وهو جد تميمي جاهلي، يعرف بأبي الفوارس، وقد أكثر الفرزدق من تمجيده والمباهاة به، ومن ذلك قوله:

بيت زُرارة محتب بفنائنه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل
وحرة ضرغط كبقية الحرار، حرة ليلي، وحرة اثنان، وحرة النار، وحرة فذك لبني ذبيان من غطفان، ويختص بنو مرة منهم بأكثرها، على أنه ورد في المفضليات أنَّ حرة ضرغد لبني تميم في القديم.

وأهل ضرغط الحاليون من تميم من الغنام من بني العنبر، وقد خرج هؤلاء من قفار، وحلوا في شعيب الحفن، الواقع في طرف رمان الشرقي، وهو الرحبة، يصب في وادي الشعبة المعروف باسم الثلبوت وهو من بلاد بني أسد، إلى أن

انتزعته منهم بنو ذبيان في صدر الإسلام.

ومن شعيب الحفن رحل الغنّام واستوطنوا في ضرغد^(١) وهم أهلها الآن وفيهم إمارتها، وهم ينقسمون إلى فرعين أحدهما: القبيل والثاني الناصر. ونقل ابن صقيه أن أهل ضرغت من المفيد، والمفيد والغنّام من أصل واحد. وضرغت الآن بلدة عامرة بها عدد من مزارع النخيل وقد شملتها خدمة الهاتف والكهرباء، وبها مدارس ابتدائية ومتوسطة وثانوية، ومركز صحي، ومركز بريد، ومركز إمارة، وترتبط إدارياً بمحافظة الغزالة إحدى محافظات منطقة حائل. وأورد الحازمي في كتاب الأمكنة أن ضرغد جبل أو حرة بأرض غطفان، وقيل ماء لبني مرة، وناقش الأستاذ حمد الجاسر في الهامش هذا القول مع أقوال كثيرة أخرى وقال: ضرغد لا يزال معروفاً وهو حرة واسعة فيها جبال وأودية ومياه وأرض مسكونة، وهي قديماً من بلاد بني مرة وغيرهم من غطفان وينطق الاسم أيضاً (ضرغت) بالطاء، ونقل ما ورد في تاج العروس من أن ضرغد في الجانب الشرقي من حرة خيبر الكبيرة، وفيه قريتان تسميان ضرغد وضريغد وغيرهما، وتقع ضرغد بين خطي الطول: ١٠ / ٤٠ درجة، ٢٩ / ٤٠ درجة وخطي العرض: ٣٢ / ٢٦ درجة، و ٤٠ / ٢٦^(٢) درجة.

(١) للأستاذ دخیل الناصر إفادات منها أن هؤلاء عادوا إلى الشعيب مرة ثانية ماعدا ذرية رشود رجعوا إلى قفار ثم ضرغت ومنها أنه فاتني ذكر ناصر الراشد من ضرغت وعلي الهياف من الغزالة وهما من الشجعان الكرماء.

وعلق الدكتور عبدالعزيز الفريح باستدراكات منها ما يتعلق بتفريعات تميم أهل قفار وأنهم يتنسبون - وبدون استثناء - إلى آل حمّاد من العنبر وأن فراج بن سلمي كان أميراً في قفار وأن آل عفيصان أهل قفار من آل سلمي.

وللأستاذ القاص علي الحبردي صاحب رواية «الصيّد وحمى قفار» ملاحظات أخرى وسأختار من إفادات واستدراكات وملاحظات الأخوة الثلاثة ما سأضمنه كتابي المعد للطبع عن «أصحاب المضافات في بلاد الجبلين» بإذن الله تعالى.

(٢) الحازمي: الأمكنة ص ٦١٦.

أما قمرة عنز الواردة في شعر الطرماح^(١) فيرى الأستاذ حمد أنها غير بعيدة عن ضرغط وأن صوابها قعرة، ورجح أن تكون في الطرف الشمالي الشرقي للحرّة، غرب روضة التنهاة جنوب منهل العباسية الواقع في الطرف الجنوبي من جبال مُحجر^(٢).

ومحجر هو (المسمى) الآن في غربي منطقة حائل.

ومن أقوال شعراء العرب القدماء في ضرغط قول سنان المُرّي الغطفاني:
بضرغدٍ وعلى السديرة حاضر وبذي أمر حريمهم لم يقسم
وقول عبيد بن الأبرص الأسدي وهو من شعراء المعلقات:

لمن دمنة اقفرت بحرة ضرغد تلوح كعنوان الكتاب المجدد
ومن الشعر العامي ورد قول مناوّر بن سُعيد من شمر:
ناس بضرغط مبطي علمهم بان قصيرهم خشيرهم بالوقاره
وقول ابن صقّية:

واللي بموقق ما يذلون عيان واللي بضرغط تعجبك لا تنخويت
وقول ناصر الهياف:

نبي لأهل ضرغط نكز النجيبة نسل الحميضي ما دخلهم لفاياف
وقال حميد بن فحيّمان الرشيدّي:

وحدنا واد الرّمه من صوب نجد ومن ورا ضرغط ونقصر عن قفار

(١) وكما فخر الطرماح بيوم ضرغط وهو يوم جاهلي فقد فخر بوقعة بزاخة في الإسلام وقال:

ونحن ضرينا يوم نعف بزاخة معداً على الإسلام حتى توتلت
وذلك في قصيدة طويلة أجابه الفرزدق عليها بقصيدته التي مطلعها:

لقد هتك العبد الطرماح ستره فأصلى بها نار قومه فتصلت
ولولا حذار أن تقتل طيء ما سجدت لله يوماً ولا صلت

(٢) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، ص ٩٥٠.

وفي دراسة للأستاذ دخيل فهد الناصر ورد أن آل مبارك وآل غنام أهل الأحساء هم من آل غنام أهل قفار وضرغط، وأن المؤرخ الشهير حسين بن غنام من هؤلاء، وفيها أن محلة آل غنام في قفار، داخلية في محلة آل حماد الكبرى في شرقي قفار، وذكر منهم الدلاك أخوال علي بن محمود السبهان، وعلي أخوال عبد العزيز الخوير أمير قفار، وآل بزيع الذي ينسب إليهم حي البزيعي، أحد الأحياء القديمة بمدينة حائل، وآخرين في المستجدة والروضة بحائل، والخبراء بالقصيم.

وفي دراسته أيضاً أن رشود بن غنام التميمي اشترى ضرغط من ابن غيسن أمير الفدعان من عنزة، ووثق ورقة البيع من حجيلان بن حمد التميمي أمير القصيم في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود.

٢- السليمي

تقع مدينة السليمي في جنوب منطقة حائل على بعد ١٥٠ كم جنوب مدينة حائل، ولها طريق معبد متفرع من طريق حائل المدينة المنورة يتجه شرقاً.

وأهل السليمي من قفار يُنسبون إلى جددهم سليم الذي أنشأ هذه البلدة فعرفت بقصر السليمي أولاً ثم بالسليمي فقط، في موقع كان يعرف قديماً باسم «فراة» وفراة جبل شهير ورد ذكره في كثير من أشعار العرب القدماء، وأخبارهم، خاصة الغطفانيين القيسيين العدنانيين المشهورين بشعر المعلقات، والملاحم العربية المرتبطة بأيامهم فيما بينهم، وبوقائعهم مع القبائل الأخرى.

وتقع السليمي بين فراة شمالاً، والذي يقال له أيضاً «فراة» وجبل قنا جنوباً، وقد أكثر شعراء غطفان من ذكر هذين الجبلين لتوسطهما من بلادهما في الجاهلية، ومن هؤلاء الحارث بن ظالم المري الذبياني، والنابعة، وقيس بن زهير العبسي، وقيس هذا هو صاحب حرب «داحس والغبراء» المشهورة في التاريخ العربي، وداحس والغبراء من خيل بني تميم لبني رياح بن حنظلة^(١)، ولما

(١) داحس أبوه ذو العقال وأمه جلوى من خيل تميم، وأخته من أمه وأبيه هيفاء، والغبراء خالة داحس، قال ابن الأعرابي... آل أعوج وذو العقال فحلان معروفان بالنجابة والفراة - والأعوجيات لبني هلال آلت إليهم من بني سليم وكانت لكندة اليمانية، ابن الأعرابي: الخليل.

صارا لقيس طفق يفاخر بهما قبائل العرب إلى أن نشبت الحرب بين عبس وذبيان بسبب هذين الفرسين حيث أجراهما قيس في سباق مع الحنفاء والخطار من خيل آل بدر الفزاريين الذيبانيين وهم بيت من بيوتات الأرستقراطية العربية في سالف الدهر. وإلى الشمال من السليمي يوجد جبل «قصايره» بينها وبين جبل رمان. قال النابغة الذبياني وهو من شعراء المعلقات:

فجاءوا بجمع لم ير الناس مثله تضاعل منه بالعشي قصائره
ومن شعر قيس بن زهير المعروف بقيس الرأي:

لن تهبطي أبدا جنوب (مويسل) و (قنا) (فرافرتين) فالأمرارا
ومن الشعر العامي ورد في أهل السليمي من بني تميم قول ابن هدير من مشاهير شعراء شمر:

يا حمود اما ابوي وابوكم اخوان كيف الرجل يرضى لنفسه خناها
مر «السليمي» وانشده ذرب الايمان قل علة المصران وشو دواها
بيض تسند يم ناصر^(١) كحيلان شبة عريب محكمات غياها
وقال شاعر آخر:

قصر السليمي سيلته المراهيش حيث ان به عيسى معش السراتي
وقال آخر في صالح الطويهر التميمي
الشايب اللي باني له هفاهيف بايسر (قنا) يصهل صهيل الحصان
وقال فهد الهريش التميمي وهو من المشهورين بالكرم والشجاعة:

لولا (قنا) مارخصت بارودي واللي عنا للخال سديته
والسليمي مدينة عامرة بها مدارس ابتدائية ومتوسطة وثانوية للبنين والبنات، ومستشفى، ومجمع قروي للخدمات البلدية، ومركز للدفاع المدني، ومخطط سكني حديث وحدائق منظمة، ومركز إمارة ومحكمة شرعية، وترتبط إدارياً بمحافظة الغزاة ويرتبط بها عدد من القرى والهجر^(٢).

(١) المقصود بـ «ناصر» ناصر بن لحيدان الكريم المضيف وهو من الحمران من تميم.

(٢) وللمهندس فهد الهريش كتاب عن السليمي ضمن سلسلة هذه بلادنا، من إصدارات الرئاسة العامة لرعاية الشباب.

٣- السبعان

تقع بلدة السبعان في سفح جبل سلمى الغربي، في مقابل ممرين رئيسيين يخترقان الجبل من الغرب إلى الشرق، ويطلق على كل ممر منهما اسم: الشرى. والشرى مأسدة مشهورة يتكرر ذكرها في الشعر العربي القديم. قال أنيف النبهاني أو النهشلي التميمي^(١):

كأسد الشرى أقدامها ونزالها

ومن الشعر العامي ورد قول محسن العلي التميمي على طرق الهجينى:
ذيب الشرى عانق السراح صب المغيرة على الراعي^(٢)
وأهل السبعان من «قفار» من آل مفيد من تميم، ومحلّتهم في قفار لا تزال حيّة معمورة، والسبعان في اللغة الصرفية على وزن «فعلان» وقيل إنه لم يرد على هذا الوزن سوى هذا الاسم. قال ابن مالك في الألفية:
«كذا إذا كُسْبَعان صَبْرَه»

والسبعان في الأصل اسم لواد يُعرف الآن باسم وادي العش في أعلاه، أما أسفلهُ فيقال له وادي العدو، وكان يقال للمنطقة التي يفضي إليها وادي العدو مدافع السبعان واسمها الملا، وهذه المنطقة محصورة بين بقعاء غرباً، والأجفر شرقاً، قال أحد بني أسد يذكر ديارهم التي انتزعتها منهم غطفان في الإسلام:
ولهم بلاد طالما عُرِفَتْ بهم صحن الملا ومدافع السبعان
وقيل لمتمم بن نويرة التميمي: يموت أخوك في الملا وتبكي على قبر في العراق؟ فقال:

وقالوا: أتبكي كل قبر رأيته لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك؟
فقلت: إن الشجا يبعث الشجا فدعني فكل هذا قبر مالك^(٣)

(١) ويُنسب البيت إلى أنثال بن عبده بن الطبيب التميمي، ويرى الدكتور رشيد العمرو أن المقصود بالشرى هنا موضع في جبال الحجاز لا شرى سلمى.

(٢) ولمحسن العلي التميمي قصائد من الشعر العامي الرائع إذ هو شاعر متمكن، جيد العبارة، وبعض قصائده منشور في الكتب.

(٣) تناولت موضوع مقتل مالك بن نويرة وأنه لم يكن مرتدّاً في بحثي «بُزَاخَة ودلالات أيام العرب».

آثار بلدة السبعان



وورد في معجم البلدان لياقوت: السبعان - بفتح أوله وضم ثانيه وآخره نون: اسم وادٍ يقع شمالي سلمى عنده جبل يقال له العبد، أسود، ليست له أركان.

قال ابن مقبل - وقيل ابن أحمر:

ألا ياديار الحي بالسبعان أمل عليها بالبلى الملوآن
ألا ياديار الحي لا هجر بيننا ولكن روعات من الحدثان
وقال رجل من بني عقيل جاهلي:

ألا ياديار الحي بالسبعان خلت حجج بعدي لهن ثمان^(١)

ونقل الأستاذ حمد عن صاحب كتاب «بلاد العرب» قوله: الملا في أسفل هذا الوادي، وأعله وادٍ يجيء من الجبلين، والأجفر في أسفل هذا الوادي، وأعله الملا، وأسفله الأجفر، وهو لسوء ونصر، وكان الأجفر لبني يربوع، فحلت عليها بنو جذيمة وذلك في أول الإسلام فانتزعتها منهم.

وعلق على ذلك بقوله: وادي السبعان وهم ينطقونه بإسكان الباء استسهالاً لها بدلا من الضمة ينحدر من سفوح رمان الشمالية الشرقية، ومن سفوح سلمى الشرقية الشمالية، ثم يأتيه من أعلاه من الجهة الغربية الشمالية وادي العش فوادي العدو، فإذا اجتمعت الثلاثة سميت وادي العدو، الذي يتجه موازياً لسلسلة جبال سلمى شمالها ثم ينحرف بعد انتهاء السلسلة نحو الجنوب حتى يفيض شرق سلمى. وليس للوادي مجرى بارزاً يدل على أنه يتصل بالأجفر حيث تحجزه مرتفعات صخرية تدعى الرديف، وكذا جال الساقية - ساقية فيد - وقد يكون قديماً متصلاً بوادي الساقية الذي يفيض في فيضة الأجفر.

أما قول صاحب «بلاد العرب» إن وادي السبعان يجيء من الجبلين فالظاهر أن صواب العبارة: (يجيء من بين الجبلين). إذ سيوله تنحدر من رمان ومن سلمى، ومما بينهما من الجبال، ولا تأتي من جبل أجأ^(٢).

وكما أشار الأستاذ حمد فإن سيل وادي السبعان الذي يطلق عليه الآن اسم

(١) ياقوت: معجم البلدان، مادة السبعان.

(٢) الحازمي: الأمكنة ص ٦١٦.

وادي العدو لا يبلغ الأجر البلد الواقعة في شمال شرق حائل إلا إذا كان مسمى الأجر يتسع قديماً ليشمل الأراضي المحيطة بالأجر في المنطقة التي كانت تعرف باسم «الملا» في القديم.

وقد شهدت أرض «الملا» عدداً من وقائع تميم وأسد في الجاهلية وعصر صدر الإسلام قال خالد بن المضلل الأسدي:

ألا أبلغ تميماً على حالها مقال ابن عم عليها عتب
فنحن فوارس يوم الهبير ويوم الشعبية نعم الطلب
والهبير في شرق الأجر والملا، والشعبية في غربها بقرب بقعاء، وبالهبير أوقع القرامطة بالحجاج في عام ٣١٢هـ.

وكان ممن أسر العالم الكبير الهروي الأزهري صاحب «تهذيب اللغة» وقد وقع في أيدي أعراب من تميم وأسد. وفي الأجير ورد قول الفرزدق:

ديار بالأجير كان فيها أوانس مثل آرام الصريم
وما أحد يسامينا بفخر إذا زحرت بحور بني تميم
ومن الشعر الجاهلي القديم في «السبعان» نقل الباحثون أبياتاً هي:

ألا يا ديار الحي بالسبعان عفت حجج بعدي لهن ثمان
فلم يبق منها غير نؤي مهدم وغير أثاف كالركي دفان
وآثار أهاب أوراق ألون سافرن به الريح والأمطار كل مكان
قفار مرورة يحار بها القطا ويضحى بها الجأبان يفترقان
يثيران من نسج الغبار ملاءة قميصين اسمالا يرتديان

أورد هذه الأبيات الدكتور عادل البياتي ونسبها لشاعر من بني عقيل، مع حديث له عن فلسفة الحياة الجاهلية عند العرب وعن المعنى الرمزي في قول القائل: فلان كثير الرماد، وقال: إنه لا يرى معنى أكثر إحياءً بالرمز من هذه الأبيات^(١).

وفي المفضليات بلغت هذه القصيدة ١٢ بيتاً وورد أن قائلها هو عميرة

(١) أبو عبيدة: أيام العرب قبل الإسلام، تحقيق الدكتور عادل البياتي.

البحر القديم (القصور) في السبعين



التغليبي الوائلي، ونقل الشارح عن الأصمعي أن فيها بيتاً هو أشعر بيت قالته العرب في وصف سنان الرمح وهو:

جمعت ردينياً كأن سنانه سنا لهب لم يستعن بدخان^(١)
وفي «السبعان» قال ابن صقيه:
لاجيت بين جبال سلمى ورمان عرج على (السبعان) ديرة هل الصيت
وقال:

واللي هزم جمع الحريب ابن عفنان دواس مسقى الضد بالحرب حلتيت
يا ويل من هو له فنى المال ديان غلطان ياللي لابن عفنان عاديت
وفي دواس هذا قال شاعر سلمى فرج بن خربوش الشمري:
دواس مات ولا بسلمى مقاعيد وابيك فرجة شايب لي تسده
وقال الشيخ أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري:

من عصر دواس زيزوم السرية شاهر عرفه خصال يذكرونا
وذكر ابن بليهد في كتابه صحيح الأخبار بلدة السبعان في حديث عن حملات الملك فيصل بن عبدالعزيز أثناء حروب توحيد المملكة العربية السعودية^(٢).
واشتهرت بلدة السبعان فيما مضى بوفرة النخيل والمزروعات بحيث كانت تعد من أهم مصادر تموين المنطقة بالمنتجات الزراعية، وعُرفت البلدة بالشعراء والرواة والحفاظ، وللشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري بحث عن «الأصمعيات في السبعان» لم ير النور بعد.

وتعد السبعان من مراكز الاستقرار التي عُيّنت بتعليم القراءة والكتابة من خلال الكتاتيب التي تعاقب على التدريس بها عدد من الأئمة والخطباء إلى أن تم افتتاح أول مدرسة ابتدائية بها عام ١٣٧٦ هـ .

ويوجد الآن بها مدارس للبنين والبنات في المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية، ومركز للرعاية الصحية.

(١) المفضليات.

(٢) ابن بليهد: صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، مادة السبعان.

وتقع السبعان على الطريق الذي يربط منطقة سلمى بحائل وأجأ، وهذا الطريق ينخزل من طريق حائل القصيم ويتجه جنوباً من غرب جبل «فتك»، وفي فتك ورد قول عبدالعزيز بن زُرارة العامري من شعراء العصر الأموي:

فلما بدت جلدية من أمامنا وفتك وجاوزنا بلاد تميم
وبدا رعن من خُفاف كأنه نعائم ربد بينهن ظليم
وجلدية معروفة شمال طريق حائل، القصيم أما خُفاف فغير معروف، ورجح الشيخ أبو عبدالرحمن أن يكون خُفاف هو «جانين» الواقع إلى الشمال الشرقي من (فتك)^(١)، وبين فتك وحائل ٣٥ كم وهو إلى الشرق منها، وبين فتك وبلدة السبعان الواقعة جنوبه ٣٠ كم. أما الطريق المتجه منه إلى سلمى فإنه يدع السبعان يمناً، ويخترق الجبل مع (الشري) الشمالي إلى أن يتصل بالطريق الواصل بين الشنان شمالاً وسميراء جنوباً في شرق جبل سلمى.

وفتك هو الوارد في شعر زيد الخيل، وذكر كلٌّ من الأستاذ الرفاعي والدكتور أبو سديرة والدكتورة وفاء السنديوني أنَّ منفوسة زوجة قيس بن عاصم التميمي بنت لزيد الخيل والصحيح أنها بنت لزيد الفوارس التميمي الذي فتك بالمحرق الغساني في بُزَاخة إلى الجنوب من قفار، ومن شعر المديح قول زيد الخيل في قيس بن عاصم:

إلى الواحد الوهاب قيس بن عاصم له قادحاً من زندي سنان بن خالد
وفي الشري بقرب السبعان استشهد الصحابي الجليل عكاشة بن محصن الأسدي قبيل وقعة بُزَاخة.

وزار الرحالة «الويس موزل» بلدة السبعان عام ١٩١٥م وقال إن أهلها من تميم شيخهم خير الله التميمي. على أنه بالنظر في أسماء أمراء هذه البلدة الذين أوردهم ابن صقيه في كتابه «بنو تميم في بلاد الجبلين» لا نجد ذكراً لهذا الذي أشار إليه «موزل» مما يدل على عدم دقة هذا الرحالة التشيكي فيما ينقل من معلومات^(٢).

(١) نشر ذلك في بحث بعنوان «من أجل خفاف» في جريدة الجزيرة.

(٢) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، مادة السبعان، وابن صقيه: بنو تميم في بلاد الجبلين، ص ٩٥.

إلى العزيز

من محمد بن عبد الحميد النضر إلى دواس السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
كان معلوم من طرفه شاهد نلم يفصل شئاً من ظهركم مثل باطل لا شك أحد
عن الأثر الذي يحمل على كل واحد منكم على وجه الجذب به ووه وحضره العداوة باطنه
وظهره هذا الزم واللام
كذلك أن كان عندكم شعير فرسلونا حملين الجيدنا

صورة وثيقة من الأمير محمد بن عبدالرحمن أخو الملك عبدالعزيز إلى دواس.

٤ - جُفِفاء

بضم الجيم وفتح الفاءين بينهما مثناة تحتية ساكنة فالف ممدودة، وهي بلد الكريم المضيف عثمان بن دواس المفيد التميمي، الذي طبقت شهرته الآفاق، وشاع صيته بين العرب، وضرب به المثل في السخاء حتى لم يعد أحد يجاريه أو يباريه في زمنه، وأطلق عليه معاصروه لقب (مذهب الطراقي) لجوده الذي لا يقف عند حد إكرام المسافرين، والعابرين النازلين في مضافته الشهيرة في غرب أجا بل يتعدى ذلك إلى تقديم زاد الرحلة والسفر كلما هم ضيوفه بالرحيل، ولذلك أكثر الشعراء خاصة من قبيلتي شمر وعنزة من الثناء عليه والإشادة بأريحيته حتى خلدت قصائد هؤلاء ذكره في الآفاق، وبقي عثمان بن دواس علماً من أعلام الجبلين، ومفخرة من مفاخر العرب في الإيثار، وإغاثة الملهوف، وإطعام الجائع قال فوزان بن عبدالله العقيل العنزي:

عزي لمتعب كان هو مات عثمان ياما يشوف من الجفا والهوان
ودي بشوفك ياسلايل كحيلان لا بركن عند الضعيف السمان
دلا يذهب يوم شاف الدهر شان زود على تقليد رخم الصياني
وقال مكازي العرهمي الغصوري العنزي:

عثمان من سماك عثمان ما صاب عثمان بن دواس والأت خايب
عثمان ينصنه مراكيب الأجانب قطم الفخوذ منقرشات غرايب
وعثمان ما يجفي على ضيفه الباب فضو اليا ما يشبعون القرايب
وعثمان ما ينشد عن الماء ولو ساب ماء يفجر بالسهاال الجنايب
وقال حسن التبيناي الشمري:

يشبع من الحرة الياخشم رمان ويتقصف الأسعار يضمن عشاها
وتقع جففاء غرب جبل أجا، وكانت في القديم على الطريق الرئيس الذي يصل تيماء ببلاد الجبلين، وهي تُرى الآن يسار الطريق المتجه من حائل إلى العلا بعد موقع على بعد ١٠٠ كم عن حائل وينخزل لها طريق ترابي بالقرب من (دليهان) القرية الواقعة على نفس الطريق.

جانب من قصر عثمان بن دؤاس التميمي في جفناه



وأهل جفيفاء من بني تميم أهل قفار، وفي أسفل البلدة أثل وآثار عمران لآل عيادة، أما أعلاها فأول من سكنه من تميم فرج بن دواس المفيد، الجد الأعلى لعثمان، خرج إليها من قفار واستوطنها هو وذريته إلى اليوم. وقد مر زمن هُجرت فيه جفيفاء أو كادت تهجر نظراً لنضوب الموارد المائية ثم دب فيها الحياة من جديد.

وورد في المعجم الجغرافي: «تقع جفيفاء شرق جبل حضن على سفحه بينه وبين طرف جبل أجأ، في الجنوب الغربي من موقق وفي الشرق من بلدة الشقيق، بميل نحو الجنوب، في الجنوب الغربي من حایل، وهي من قرى بني تميم، وهي غير القفيفة القريبة منها، ولا أستبعد أن تكون هذه القرية هي جفاف الواردة في كلام البكري (جفر الجفاف) في ذكر الطريق إلى تيماء من الجبلين، فهي تقع على هذا الطريق^(١). انتهى

وأسر جفيفاء هم آل عثمان وآل مرشد وآل رشود وآل مهوس وآل ناصر وآل عاتي، وهم من الدواس من آل مفيد من بني العنبر من بني عدي بن جندب من بني عمرو.

ومما رثي به عثمان قول عيد بن ساجر الشمري:

يا دار أبو سالم وحمود	يا دار ريف المناكيف
خلاك راع الصخا والجود	خلاك راع العجاريف

وقال مطلق العميم السويدي الشمري:

يا راكب من بنات القود	أهرا ف ذيب اليا جاع
نوخ اليا جيت باب رشود	مع السلامه والادواع
صبر على عجزنا والكود	وأمه تحضن بالاصباع
تسوى الكحيله وجل الذود	تشرى بالاثمان ما تباع

(١) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، مادة جفيفاء.

وقال ابن رخيص من شمر:

يا غزو لا صرتوا هزالا مناكيف تنحروا دار المفيدي ذراها

٥- الغزالة:

تقع الغزالة جنوب مدينة حائل على بعد ٨٠ كم على الطريق المؤدي إلى المدينة المنورة، في الطرف الغربي من جبل رمان، وشمال وادي (الثبوت) المعروف الآن باسم وادي «الشعبة».

ومن الشعر العامي في هذا الوادي ما قاله أحد الشعراء يصف سحابة:
لو هي على سنجار ما ألقيت له بال مار الولي جابه على شف بالي
يذكر سميك يالبكيري منه سال والشعبة العليا وطاه الخيال
عساه يضرب به من الجال للجال ويأخذ على وادي سميراء ليالي
جدرانهم من كثر الأهمال نحال لا استرهقوا ينهض عزيز الجلال
والبكيري من تميم وسميه هو وادي البكر الواقع في جبل رمان قبل المستجدة
للمتجه جنوباً، وفي هذا الوادي أو الريع أنشئت قبل سنوات قرية تعرف باسم
«ريع البكر» وفي هذا الريع قال صديان بن عيادة الشمري:

واديرتي اللي نتقت من عيوني لا واحلولا يا شخاليل رمان
ان جيت انا السمرة ارجاله حدوني وان جيت ريع البكر جان ابن حمدان
صارت جزور والعرب ينهبوني ونهب منه راع الغزالة حليان
وفي الغزالة قال فوزان بن عبدالله العقيل العتزي:

ان ضاق صدري فضت مع ريع سرهيد يطري عليه سجت للغزالة
الديرة اللي كن شوفه علي عيد ويرتاح بالي يوم اناظر رجاله
وأهل الغزالة من تميم أهل قفار جدهم حليان بن راضي وهو الذي أنشأ هذه
البلدة، وعمرها، وتوارثها ذريته من بعده إلى أن أصبحت بلدة كبيرة يقطنها
مجموعة من تميم وغيرهم.

ومن الأخبار المتعلقة بالغزالة أن أهل هذه البلدة تصدوا لحملة من أشرس

الحمالات التركية التي غزت بلاد الجبلين . وذلك في زمن الإمام تركي بن عبدالله آل سعود .

وذكر ابن بشر أنّ حسين بك أبو طاهر غزا بلاد الجبل في عام ١٢٣٧هـ ، وطالب بالزكاة منذ رحيل إبراهيم باشا في عام ١٢٣٤هـ ، وأنه أثخن في أهل البادية ، وأخذ إبلهم ، وضرب عليهم ضربات بالأريل ، ونزل الحصون ثم ذكر ابن بشر نزوله بلدة موقق^(١) .

ويروي الأخباريون من أهل حائل أن أهل الغزالة تصدوا للجيش الغازي وقتلوا أفراده ، وزادوا على ذلك بأن قطعوا آذان القتلى ، من كل قتيل أذن ، وربطوها بحبل ، وبعثوا بها للإمام تركي بالرياض كشاهد على عدد القتلى ، وأن الإمام تركي بعث لهم سلاح وذخيرة مكافأة لهم على ذلك ، وأمر عامله على حائل ابن علي بتعزيز سور الغزالة .

وإلى هذه الحادثة أشار ضيغم بن ثويني بقوله :

أمس الضحى عدت في رجم منيف	رجم طويل ونايف كل ما شاف
طالعت ديرة متعيين المهاديف	عوق الخصيم اليا تدالوه بخلاف
رسم الحمى بأطراف بلدانهم شيف	رسمه رجاجيل ومن شافهم خاف
من العوشزية للخشوم الذواريف	هاك الجماعة عايزين بالأوصاف
لا لذت مع حدة قلب الهيايف	سلم على اللي ذبحوا دولة أشراف
وسجلت الغزالة بذلك مفخرة من مفاخر البطولة ، والدفاع عن الوطن ،	
وأثبت أبنائها أنهم كأسلافهم في قفار في الإباء والشمم ، وعدم الاستكانة لقوى	
الغزو ، أو الخضوع لجيوش الطمع .	

والغزالة الآن محافظة من محافظات منطقة حائل يرتبط بها عدد كبير من المراكز ، والقرى ، والهجر في المنطقة ، وبها عدد من الدوائر الحكومية ، ومنشآت الخدمة العامة في أرض فسيحة ، رحبة يتوقع لها أن تنمو ، ويزداد عمرانها ، ومبانيها .

(١) ابن بشر : عنوان المجد ، حوادث عام ١٢٣٧هـ .

٦- قصير غُضُور

وهذه البلدة تقع إلى الجنوب الشرقي من الغزالة على بعد حوالي ٣٠ كم وأهلها من الحجيلان من الحمران من بني عمرو من تميم من أهل قفار. وسبقت الإشارة إلى بعض الأخبار التاريخية، والوقائع الجاهلية المتعلقة بغُضُور، وماء غُضُور الذي كان يعرف باسم «الوشل» وبرقة غُضُور التي حدث بها يوم من أيام العرب، في الطرف الجنوبي الغربي من جبل رمان. قال ابن صقيه:

وأهل القصير مروية كل عطشان عطشى السيوف اللي بكف المصاليث
ووادي غُضُور يتجه من جبل رمان جنوباً ماراً بالبلدة حتى يصب في الشعبة «الثلبوت».

٧- المهاش

تقع بلدة المهاش بقرب الغزالة إلى الشمال الشرقي منها، وأهلها من تميم أهل الغزالة النازحين من قفار، قال ابن صقيه:

وأهل المهاش ان صيفت غر الامزان أهل الجمال كل ما جيت حييت
وفروع أهل الغزالة أبناء حليان بن راضي التميمي هم:
العبدالله، والزيدان، والمنديل، والسعيد، والعلي.

وكتب الباحث عبداللطيف الريحاني عن أهل الغزالة في مجلة العرب، وأنهم من بني العنبر. واللافت للنظر أن صلة بني العنبر بالجبلين قديمة فقد ذكر ياقوت إن أبضة ماء لبني العنبر. وكان مجير الطير؛ وهو عنبري ذا صلة ببلاد الجبلين، وقد أسر حاتماً^(١)، وكذا كان طريف بن تميم، زعيم بني العنبر، وصاحب وقعة زرود.

والنازحون من قفار إلى وسط نجد يذكرون أجدادهم العنبريين في أشعارهم كقول رميزان:

لنا مفخر بالأصل عمرو ومنذر لا قدموا عند الفخار العشائر

(١) قال الجاحظ وبقي حاتم في أسر مجير الطير زمناً، وذلك في كتابه البخلاء.

وقول ابن ماضي في أهل عُمان
متسلسل بالأصل عمرو ومنذر
أصهار وأنساب رفيع الرتائب

٨- المستجدة

تقع المستجدة جنوب جبل رمان، قال ابن صقيه إن مناظر قصورها تدل على قوة رجالها، فإذا رأيت قصورها المشيدة الرائعة المحكمة البناء من الطين تدرك أنها بلدة كانت على جانب من القوة وأن أهلها لا يشرع لهم حياض، وهم من الحرمان من بني عمرو من تميم.

وقال إن أول من أسسها شعيب بن حمدان التميمي من أهل قفار، وشعيب هذا هو الذي اتفق مع صديان بن عيادة الشمري على حكم بلاد الجبلين بحيث تكون إمارة الحاضرة له وإمارة البادية لصديان وخططا للاستعانة بساق الذيب الوالي التركي بالمدينة المنورة لكن عبدالله بن رشيد أرسل أخاه عبيداً إلى ساق الذيب وقدم منه بقوة لتوطيد أركان إمارته الناشئة في حائل، وإفشال خطط مناوئيه، وفي هذه الحادثة وردت معارضات شعرية بين الطرفين، وسبقت الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن خصومة آل رشيد مع أهل قفار برواية منديل الفهيد.

وكان عياد بن جزا من الأحامدة من حرب والهليمة من مزينة من حرب أيضاً يكثران من الإغارة على أطراف رمان فوق عياد في المستجدة في إحدى غزواته الخاطفة فقتله أهلها فقالت ابنته ترثيه:

يا طير يا حاييم على المستجدة عينت لي ريف المراميل عياد
واطيري اللي كل ما جعت اهده ارج العشا من مخله وان قضى الزاد
وفي عالية نجد ماء تُعرف بالمستجدة غير هذه، حدثت بها وقعة للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وقد ظنها بعض الباحثين هي المستجدة الواقعة في منطقة حائل ومن هؤلاء صاحب كتاب «رمان»، وكتابه من إصدارات الرئاسة العامة لرعاية الشباب.

وكانت المستجدة من أغنى بلاد الجبلين - في وقت مضى - بالمتوجات

الزراعية لوفرة المياه وجودة التربة، وكثر عدد سكانها من تميم ومن نزل بجوارهم حتى عدها «فالين الفنلندي» في المرتبة الثانية في عدد السكان بعد قفار، وقبل حائل وذلك في عام ١٨٤٥م^(١).

أما موقعها فهو في أرض براح خارج الجبل، جبل رمان، وتقع بينه شمالاً وبين وادي الثلبوت «الشعبة» جنوباً، وفي عصر صدر الإسلام اصطلحت عبس وذبيان بعد الضغائن التي أورثتها حرب داحس والغبراء في الجاهلية، وهي أعظم الملاحم العربية، وأزاحت بني نصر الأسديين عن هذه الأرض وحلتها، وفي ذلك قال الحطيئة:

ألم تر أن ذبياناً وعبساً لباغي الحرب قد نزلا براحا
فقال الأجران ونحن حي بنو عم تجمعنا صلاحا
منعنا مدفع الثلبوت حتى تركنا راكزين به الرماحا
نقاتل عن قرى غطفان لما خشينا أن تذلل وأن تباحا

وقد عُرف عن الحطيئة كثرة هجائه، لكن الناظر في أشعاره يلمح مدائح من غرر الشعر العربي وقف جانباً مهماً منها على الثناء على آل شماس من بني سعد، وبني رياح من حنظلة، وكلا الفرعين من تميم، وهي قصائد في الذروة من البيان، وقوة السبك، وإحكام المعنى، ومن ذلك قوله:

عراض الخدود، كرام الجدود يمدون للمجد باعا طويلا
وأهل المستجدة من الكرماء الذين ذكرهم الشعراء، وأكثروا من مديحهم، وفي كتاب ابن صقيه «بنو تميم في بلاد الجبلين» شيء من هذا^(٢).

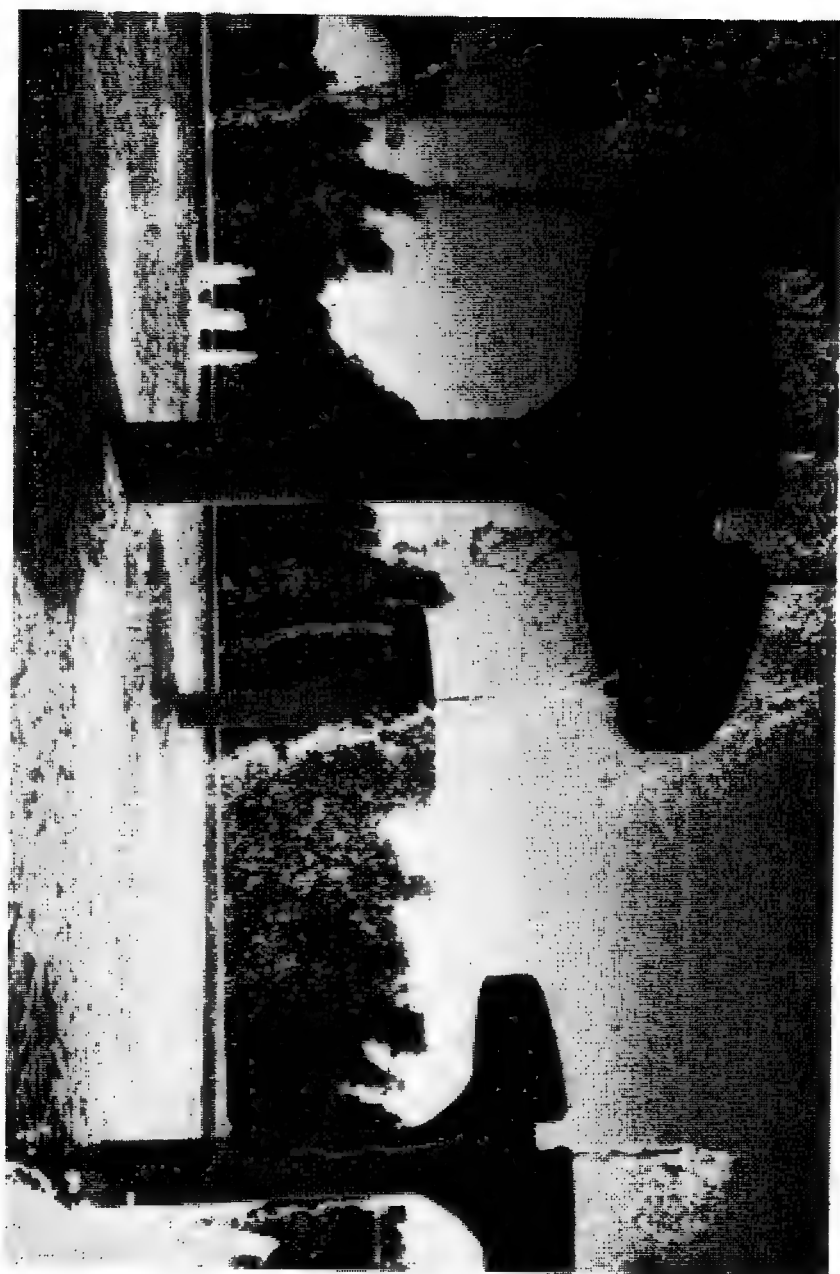
٩- الروضة

تعد الروضة من أشهر المدن المتفرعة من قفار، خرج أهلها إليها بعد نزاع

(١) فالين: صور من شمالي جزيرة العرب.

(٢) قال ابن صقيه:

وتركي إذا حمي الوطيس الربيعان أبو اليتامى شايح الصيت والبيت
يقصد تركي بن ربيعان أمير المستجدة.



نوافير مياه في مدينة الروضة

بينهم وبين أبناء عمومته على محلته المعروفة باسم «الغفيلية» في قفار .
وفي نزاعهم على هذه المحلة التي تتوسط البلد قال قائلهم حسب رواية
فهد بن عبدالعزيز الخوير - يرحمه الله :

بنت الصويرية عوى دونه الذيب لا واحلولا يا منايح بناتي
حطيت من دونه عقاد ولهابيب وصكيت دونه يا عطيب الهواتي
وفي وسط جبل رمان شرق موضع الروضة الحالي، حفر النازحون إليها من
العميرات من تميم أول بئر، وبنوا أول قصر سموه «وديد» وقال شاعرهم يطري
هذا القصر :

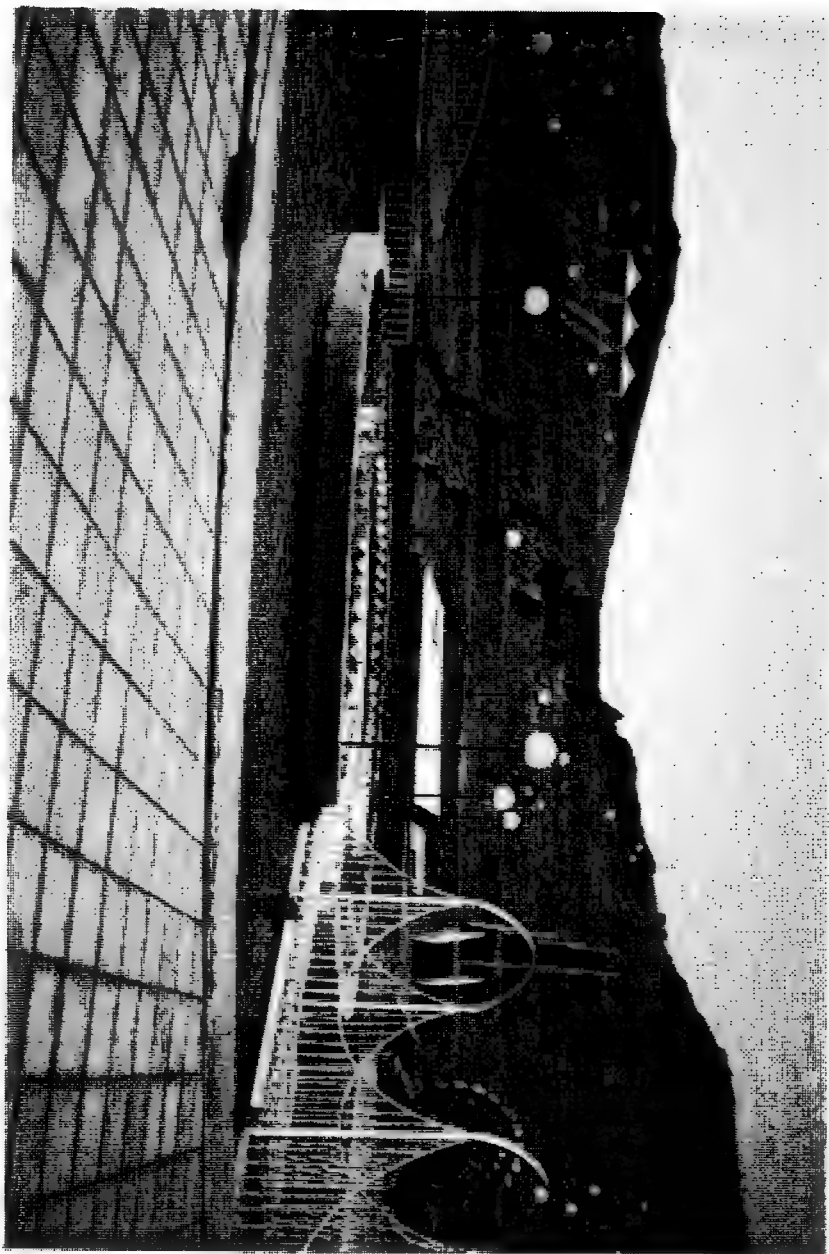
وديد رسينا بركونه متوضح بخشم الحصان
يا أهل النضلا تسفهونه مروا على قصر البيان
ثم كثر السكان في الروضة في مطلع القرن الحادي عشر الهجري من آل
عميرات ومن جاورهم، ونقل ابن صقيه أن أول من نزل الروضة منهم هو سليمان
بن حمود الراشد آل عمير التميمي .

وتقع الروضة فيما يعرف برمان الأسمر وفي ذلك قال صديان بن عيادة الشمري :
من فعلهم زادت عليه غبوني حدون عن رمان الأسمر على الشأن
واشترى حمود السليمان التميمي الروضة وحدودها حسب الوثائق الموجودة
من الوادي المعترض شرقاً (وادي الحفن) إلى القاع المعترض وهو القاع الواقع
في أعلى الروضة والذي يفضي إليه (ريع) اللقم، ويحدها جنوباً وادي (الخضر)
أحد روافد (وادي الحفن)، وشمالاً جبل سابل و(ريع المنصل)، وهو أحد روافد
وادي الحسا المسمى الآن (وادي الطرف) اشترى حمود السليمان هذا المكان
وانتقل إليه من قفار^(١) .

وفي سابل الوارد ذكره هنا وردت أبيات من الشعر العامي في الغزل على
طرق الهجيني لعائد بن فرج بن خربوش الشمري يقول فيها :
الراس من سابل شاببي يشيب الراس برقيه

(١) ابن صقيه : بنو تميم في بلاد الجبلين، ص ٣٥ . السويداء، رمّان ص ٣٨ .

شلال الحجة بمدينة الروضة



يا فريح وخاطري طابي مقناصنا كب تاليه^(١)
دعان وضاح الأنسيابي عين اشقر له بعليه
غرو زهى زين الاسلابي عليه قلبي وقع طيه
وسار عايد من سابل للصيد في جبل أجأ، وفي (حيّه) الموضع المعروف،
نهشته حية وكانت نهايته يرحمه الله، قال فهد الخوير: وقدم رفيق لعايد بمتاعه،
وبندقيته وسلمها لي في قفار.

وكانت وفاة عايد في حياة أبيه الشاعر المعروف فرج بن خربوش الأسلمي
الشمري «شاعر سلمى» ومما رثي به عايد قول إحدى الشواعر:
يا صيد لا تجفل ترى عايد مات عيون سلمى كلهن لك سبيل
ومن أخباره أنه أصاب عنزاً من الظباء في عين ماء بجبل فتك شمال بلدة
«السبعان» فهضت العنز وهي مصابة ومعها ولدها تريد جبل (نوف) شرق مدينة
حائل و (نوف) لا ماء بها فقال عايد:

يا (عنز) نوف ما ذكر به لنا عين ولدك بحام القيظ لا تذبحينه
ومن أشعار فرج بن خربوش:

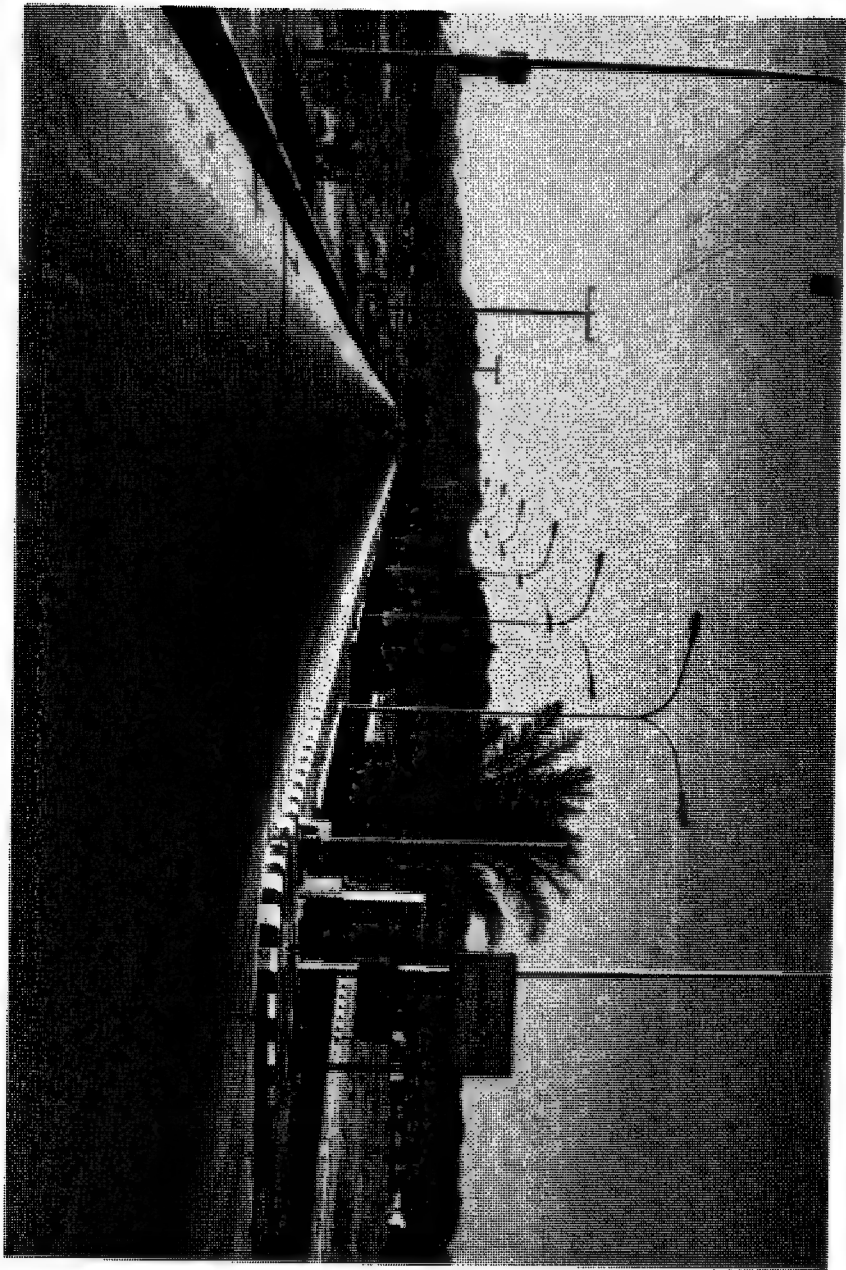
يا فريح أبوك الجزل حنا فقدناه يتمي علينا كلنا فاقدينه
والصلع جدك ما تسدد هواياه حلحيل ذربين اللحي هايبينه
كسار قدحان الكسل والمداراه يوم أن نطلان العرب حاضبينه
كم واحدٍ يسحب مثل جرة الشاه لعيون غيدٍ بالسري مكرمينه
غيدٍ حموهن بالبروج المبناه من دور (عفنان) ماهم مرخصينه
وإلى الشمال من مدينة الروضة تقع (الضربة) غير بعيدة عنها على الطريق
المتجه منها إلى حائل، بينها وبين بلدة السبعان، وورد ذكر (الضربة) في شعر
علي بن مزيد المفيد أمير بلدة السبعان حيث يقول^(٢):

يا راكب من فوق حرٍ عبورا يطوي مسير العشر يوم بزفزاف

(١) هو: فريح بن صالح بن دؤاس بن عفنان التميمي.

(٢) وروي أنّ هذه القصيدة لأخيه بدر بن مزيد التميمي أرسلها لحسين التميمي بالروضة.

جبل رمان وأحد شوارع مدينة الروضة



طريقه (الضربة) ترى به حدورا
واليا انحدر مع خبة به عثورا
لا جيت حسين رم عنه الوثورا
بنو بيوت كنهن الحيوورا
من غيته ايا ما جانا السحورا
تر مكرمين الضيف يوم الدهورا
شرقه وراحو يفتحون القبورا
وقد أجابه حسين التميمي من أهل الروضة بقوله:

حي الجواب اللي على وسق كورا
تستاهلون مروكات العطورا
وتستاهلون محنيات الظهورا
صرتوا لغراس المباكير سورا
وقد اشتهرت مدينة الروضة بغزارة المياه في القديم، ووفرة المنتوجات
الزراعية، وما تزال مزارعها خضرة نضرة وإنتاجها جيداً، وقد شملها العمران
المنظم الحديث، وعرفت الأسواق التجارية ومحلات البيع والشراء في مخططات
سكنية أشرف على ترتيبها المجمع القروي الموجود بها وخدماته تمتد إلى عدد
من المدن والقرى والهجر المحيطة بها.

وفي مدينة الروضة عدد من المدارس، ودور العلم والدوائر الحكومية،
وكانت هذه المدينة منذ القدم موطناً للحلقات العلمية، وخرج من أبنائها أعداد
كبيرة، مؤهلة ومثقفة من طلبة العلم في مجالات عديدة.
وفي عام ١٣٤٠هـ شهدت الروضة وقعة حرية من أشد الوقعات التي
حدثت في المنطقة إبان توحيد المملكة العربية السعودية.
ومن شعراء الروضة أميرها الحالي عبدالمحسن بن حمود الهذيلي التميمي،
وتقدم بعض من شعره، وستأتي له أبيات أخرى.

١٠- وسيطاء الحفن وسَمِراء

وتقع وسيطاء الحفن إلى الجنوب الشرقي من «الروضة» وتكاد تلتحم بها الآن في الطرف الشرقي من جبل رمان، على ضفاف وادي الرحبة الذي يتجه جنوباً ويصب في وادي الثلبوت (الشعبة) وهو من أعظم روافده. وكانت وسيطاء الحفن مجموعة من القرى المتناثرة في الوادي المذكور، ولها أسماء عدة مثل: الحفنة، والحفينة، والشعيب، والوسيطاء، ونقل الأستاذ عبدالرحمن السويداء أن هذه القرى مجتمعة هي «قفار الثانية» لكثرة من سكنها من أهالي قفار، وكثرة من نزح منها.

وتعد الوسيطاء الآن من أكبر مواطن الاستقرار، لا في منطقة رمان فحسب، بل وفي منطقة حائل، والمياه متوفرة بها، وفي أعلى واديها سد كبير أنشأته وزارة الزراعة والمياه، وتوجد في الوسيطاء زراعة النخيل وأشهرها «الحلوة».

واشتهر أهل الوسيطاء بالكرم الذي ذاع به صيتهم، وارتفع ذكركم بين الناس، وخلد الشعراء مآثرهم في ملاحم شعرية رائعة حتى لقد قال بعض المهتمين بتدوين الشعر العامي ودراسته أن قول الشاعر الكبير خضير الصعيليك الشمري:

والله ما يرخص بصنعاء بضاعة وابن لحيدانٍ على جاهد القاع
إن هذا البيت هو أمدح بيت قالته العرب في الشعر النبطي^(١)، وابن لحيدان من هذه البلدة، وهو علم من أعلام الجبلين، كريم، مضياف، جواد، سخي، تبوأ مكانة مرموقة بين أبناء عصره وقصد الناس مضافته الشهيرة من كل حذب وصوب، في زمن كانت فيه الموارد تشح حتى ليكاد كثير من الناس يعجز عن إدراك قوت يومه.

والمدائح في ابن لحيدان سارت مسير المثل وهي أكثر من أن تحصر هنا على أن من أجودها أبيات لفرحان بن سعيد شيخ الدغيرات من شمر وهي:

(١) قال بذلك الأستاذ أحمد العريفي.

ياما تمنوك المعايير شايب علات هتاش الخلا هو طبيبه
عليت يا نطاح كل النوايب شاييل نقيله واحد ما دري به
وقول الصعيليك:

والله ما يرخص بصنعاء بضاعة وابن لحيدان على جاهد القاع
ما نفذت كفه من البن ساعة يطبخ شهر للزوم بقاّص الأصباع
ليا من عيلات الأجاويد ضاعة يفدع لو أن المجيدي على صاع
والى الشرق من الوسيطاء بقربها يوجد منهل «فرتاج» وهو مورد جاهلي
شهير، قال بشير بن خليفة العنبري التميمي:

كأنما نظرت دوني بأعينها عين الصريمة أو غزلان فرتاج
يكشرون للهو واللذات عن برد تكشف البرق عن ذي لجة داج
ومن الشعر العامي ورد في فرتاج قول أحدهم:

مقطانها في واهج القيظ فرتاج ما تشرب الا من قراح اللجاليج
ومن شعر الجاهلية قول أوس بن حجر التميمي:

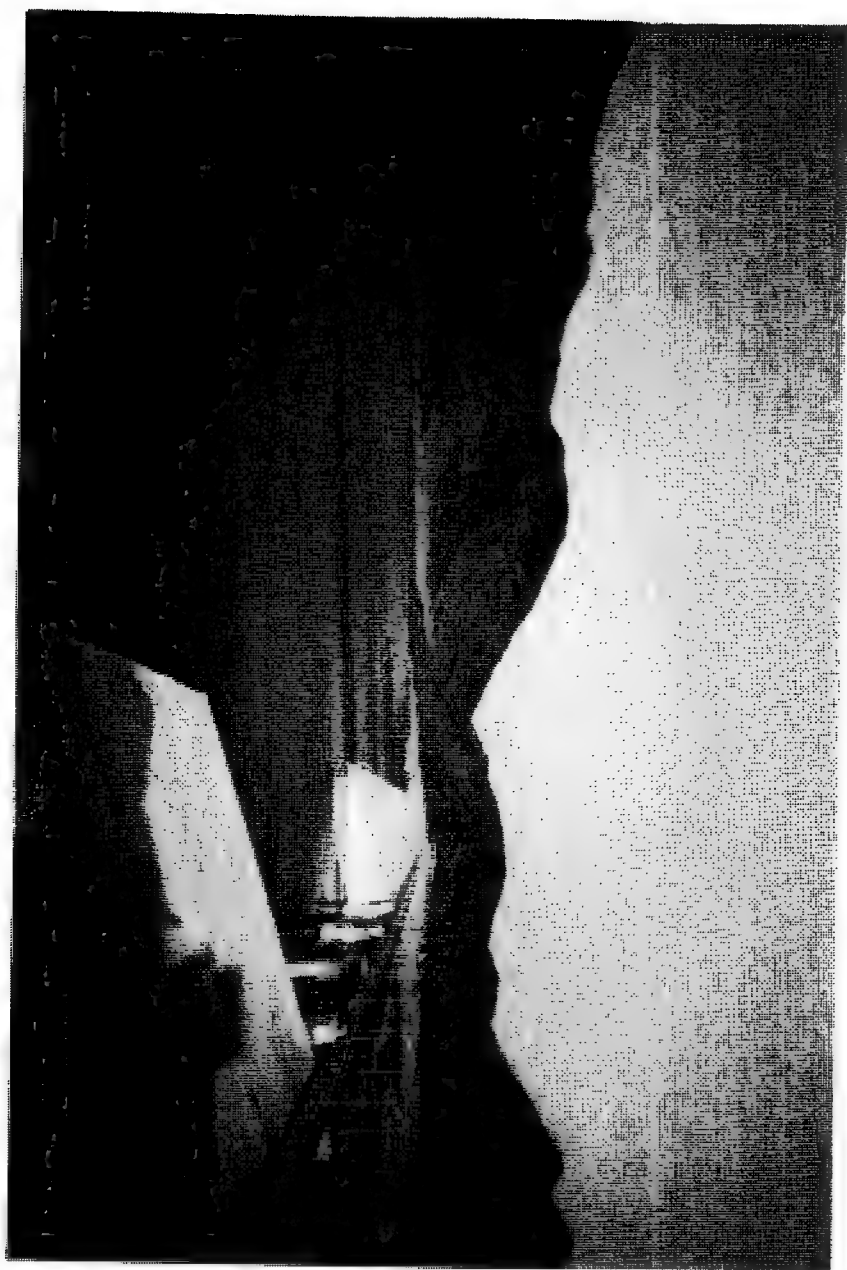
لكن بـ (فرتاج) فالخلصاء فلولى سراء فحنبل مسرور
وأوس هو رأس المدرسة الأوسية المشهورة في الشعر العربي القديم، وقد
تطورت هذه المدرسة في شعر تلميذي أوس النابغة وزهير ثم كعب والحطيئة،
من مخضرمي الجاهلية والإسلام، ثم عند كثير وجميل في عصر بني أمية وإلى
مسلم بن الوليد في العصر العباسي، وهي مدرسة الفن البياني الخالص التي
تعتمد على الخيال المتصل بالحس المادي^(١).

وأول من تنبّه لهذه المدرسة وقدم عنها بحثاً وافياً من المعاصرين الدكتور
طه حسين ثم الدكتور شوقي ضيف و الدكتور يوسف خليف والدكتور الجادر،
وسماها الدكتور المعيني مدرسة الصنعة التيممية وارتفع بها إلى علقة الفحل
التميمي وهو متقدم في الزمن على عصر أوس^(٢).

(١) طه حسين: في الأدب الجاهلي.

(٢) المعيني: شعر بني تميم في العصر الجاهلي.

سد و سيطاه الحفن برتان



وزهير ربيب لأوس وراوية له فقد كان أوس زوجاً لأمه، وزهير مزني يقيم مع أخواله في الحاجر (أرض البعاث) في جنوب شرق حائل، وأخواله من غطفان، و النابغة ذبياني غطفاني وأوس تميمي، وتميم و غطفان ومزينة من مضر العدنانية.

وإذا كان عرف عن الدكتور طه حسين إنكاره لشعر الجاهلية، وأنه عنده مصنوع موضوع فالذي يلاحظ هو أن المدرسة الأوسية أو مدرسة الصنعة التميمية كانت محل اهتمام الدكتور بحثاً ومناقشة واستنتاجاً إلى أن بين ملامحها منذ لدن أوس ومراحل تطورها من خلال شعر تلاميذه، فطه حسين إذن قد أبقى على شعر شعراء مضر العدنانية وتبناه، وأنكر في كتابه الأدب الجاهلي جميع ما ينسب لقبائل اليمن القحطانية، وكثيراً مما ينسب إلى ربيعة العدنانية من الشعر.

ومن الأخوانيات الشعرية قصيدتان الأولى للشاعر الراوية المشهور سعود ابن جلعود أرسلها من سميراء الواقعة إلى الجنوب الشرقي من وسيطاء الحفن، ويفصل بينهما جبل «ذرف» أرسلها إلى الشاعر بشير بن نزار التميمي، يقول سعود:

راكبٍ فوق حرٍ زاهي دله	ولد شقران منجوبٍ ويهقي به
سر وتلفى بشير هو وربيع له	ريف من هو يحث الهجن بعقابه
كيف رجله عسى ماهي بمنشله	جعل هرشٍ تسبب له لقصابه
ليت كسره برجل اللي نوى الذله	يوم سمع الموازر صابه رعابه
هالني واحد يمدح رفيق له	بالمجالس وبدع القيل ماثابه
ولما وصلت القصيدة إلى بشير بن نزار وهو في المستجدة رد عليها بقصيدة منها:	

صرت مع لابةٍ تتلي دخيل الله	وكسر رجلي برى لاجاك ماصابه
لا نتخوب (الحر) مع زينة السله	كل قرمٍ عديم زان مضرابه
ولا تلوم الذي يمدح رفيق له	كل من له محبٍ يمدح أحبابه
وانشد (الضيّط) مع مزحم و عبد الله	يوم كون الغنم كل تحكّي به

وقد استقر آل نصار في سميراء وهم من آل حمران، من أهل قفار، ثم المستجدة، وأهل سميراء هم الشبارمة، وآل صقيه من الوهبة من تميم، والجلاعيد من الدهامشة من عنزة، وتميَّز أهل سميراء بالرواية وحفظ الأشعار والحساب الفلكي، وينقل الرواة منهم أخبارا شعبية هي خليط من حوادث حرب البسوس الجاهلية، وأخبار الهلاليين في الإسلام ويروون أنها حدثت في سميراء، وواردات الواقعة بقربها، وهذا هو الشائع عند أهل الجبلين، مع أن حرب البسوس قد دارت رحاها في عالية نجد^(١) في سميراء وواردات والأحص وشبيث والذئائب، وهذه المواضع بعيدة عن سميراء التي نتحدث عنها، وحوادث البسوس مضبوطة في المصنفات القديمة التاريخية، والبلدانية، والأدبية، وأعلامها من الفرسان والزعماء معروفون، وشعرها فصيح بل هو في الذروة والسنام من الشعر القديم، وقد انتقلت حربها إلى شرق الجزيرة في أواخر أيامها ولم تطأ أقدام المقاتلين فيها أرض سميراء.

كما أن بني هلال الذين تنسب إليهم الأساطير من أهل عالية نجد، وهم فرع من بني عامر من هوازن، ووقائعهم تندرج في أيام بني عامر جاهلية وإسلاما إلى أن رحلوا من نجد إلى بلد المغرب العربي، على أن الأساطير الشعبية توسعت في ذكر حروبهم ومواطن تجوالهم حتى شملت الجزيرة العربية كلها لا سميراء وحدها، والعوام ينسبون كثيرا مما يجهلون أصله من الأخبار إلى بني هلال كما ينسب العرب القدامى الأخبار المجهولة إلى عاد.

(١) نشبت هذه الحرب وهي من ملاحم العرب بين ابني وائل: بكر وتغلب، بعد أن قتل جساس كليب وائل بقرب جبل «النير»، وجساس هو: ابن مرة من بني شيبان من بكر، وأمه الهائلة بنت منقذ من بني سعد من تميم أخت البسوس، ومن مشاهير هذه الحرب همام بن مرة أخو جساس وأخواله من بني أسد، ومن الأساطير الشعبية قصة الزير سالم، والمقصود به المهلهل أخو كليب.

وليس من أخبار بني هلال في سميراء وقعتهم مع بني تميم في «الوتدات» حيث قتلت تميم ثمانين هلالياً عامرياً في يوم يعد من أيام الجاهلية^(١)، إذ الودتات التي حدثت فيها تلك الواقعة ليست هي الواقعة في جنوب سميراء وترى منها رأي العين، فالودتات تلك تقع في الدهناء، في بلاد حنظلة، كما في كتاب أيام العرب لأبي عبيدة وكما هو مبين في المعجم الجغرافي لشمال المملكة^(٢). على أن سميراء حافلة بأخبار التاريخ العربي القديم فهي مركز مهم في بلاد بني أسد قديماً، ومسرح للوقائع التميمية الأسدية الجاهلية، وشهدت أرضها بعض وقائع داحس والغبراء بين عبس وذبيان، بل إن بداية هذه الحرب كانت في سميراء حيث بدأ سباق الخيل في واردات، وسقط أول قتيل في الحاجر إلى الجنوب الغربي من سميراء، وعُقد الصلح بعد جولات من الصراع في أنحاء متعددة من جزيرة العرب، بين القبيلين المتحاربين في سميراء، وورد في أخبار تلك الحرب ذكر التين، وقطن، والحاجر، وذبي حسي، والرقم وكلها مواضع قريبة من سميراء ليست عنها بعيدة.

والأسديون أهل اللغة^(٣)، والعرافة، والكهانة كانوا سبباً في القضاء على كندة في قلب الجزيرة وكسر شوكتها وذلك بقتلهم حُجر والد امرئ القيس في يوم «مأقط» وبرز منهم من أعلام الجاهلية: ربيعة بن حدار، عراف نجد، وكاهنها،

(١) قال أبو عبيدة: يوم الودتات لبني نهشل - من تميم - على بني هلال وناس من بني عامر، وكان معهم طفيل الخيل الغنوي فاستجار بعصمة بن سنان المنقري التميمي فأجاره، ووقع ظبيان بن زياد الهلالي وهو زعيم بني هلال في يد الحارث بن شمس بن جندل التميمي فأطعمه بالفداء فرفض التميمي وقال: إن أخي الذي سبق أن قتله بنو هلال كان يرويني من (خائر المرق) فقتل ظبيان الهلالي فقالت نائحة بني هلال:

أبلغ بني عامر عني مغفلة ما لهلال أراهم لا يؤمونا
إن لم تبن بهم قتلى بني حسب منكم بني نهشل دينا فسيبونا

(٢) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، مادة الودتات.

(٣) بنو أسد من القبائل التي تؤخذ عنها اللغة مثل تميم، وهذيل، ويقوم كاتب هذه السطور بإعداد بحث لغوي في هذا الموضوع.

الذي تنافر عنده القعقاع بن معبد «تيار الفرات» وخالد النهشلي من أعلام تميم، ومنهم عكاشة بن محصن الأسدي الصحابي الجليل الذي استشهد في جبل «سلمى» وطليحة الذي كان يُمني نفسه أن يكون ملكاً على الحليفين أسد وغطفان، وهو صاحب وقعة «بزاخة» في الردة وقد فرّ منها إلى الشام ثم أسلم واستشهد مجاهداً في «نهاوند».

ومن أشهر وقائع الأسديين في سميراء يوم خو^(١) حيث غدر ذؤاب بن ربيعة الأسدي بصياد الفوارس، وفخر الأسديون بذلك طويلاً، قال مالك بن نويرة التميمي: فخرت بنو أسد بمصرع واحد صدقت بنو أسد عتيبة أفضل قال أبو عبيدة:

أغار بنو أسد على بني يربوع - من تميم - فاكتمسحوا إبلهم فأتى الصريخ الحي، فلم يتلاحقوا إلا مساء بموضع يقال له «خو» وكان ذؤاب بن ربيعة على فرس أنثى وكان عتيبة بن الحارث بن شهاب «صياد الفوارس» على حصان^(٢). فجعل الحصان يستشيق ريح الأنثى في سواد الليل ويتبعها فلم يعلم عتيبة إلا وقد اقحم فرسه على ذؤاب بن ربيعة، وعتيبة غافل لا يبصر ما بين يديه في ظلمة الليل وكان عتيبة قد لبس درعه وغفل عن جربانها، حتى أتى الصريخ فلم يشده وراه ذؤاب فأقبل بالرمح إلى ثغرة نحره فخر صريعاً قتيلاً.

ولحق الربيع بن عتيبة فشد على ذؤاب فأسره وهو لا يعلم أنه قاتل أبيه، فكان عنده أسيراً حتى فاداه أبوه ربيعة بإبل معلومة قاطعه عليها، وتواعدا سوق عكاظ في الأشهر الحرم على أن يأتي هذا بالإبل ويأتي هذا بالأسير، وأقبل أبو

(١) وقد يعرف بيوم ذؤاب، وخو هو (الخوة) الآن شرق سميراء. انظر حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، مادة خو.

(٢) لصياد الفوارس أفراس معروفة منها: المكسر، والمدعاس، انظر ابن الأعرابي: أسماء الخيل، والتاجي: الحلبة، ولزيد من أخبار صياد الفوارس الذي كان يهتك البيوت ويخلع القلوب على حد تعبير الدكتور المعيني انظر يوم كنهل، ويوم الغبيط، ويوم آراب (جرب) وانظر ترجمته في حسين حسن: أعلام تميم ص ٣٩٠.

بركة توز في سميراء



ذؤاب بالإبل وشغل الربيع بن عتية فلم يحضر سوق عكاظ، فلما رأى ذلك ربيعة أبو ذؤاب لم يشك أن ذؤاباً قد قتلوه بأبيهم عتية فرثاه، وقال: أبلغ قبائل جعفر مخصوصة ما إن احاول جعفر بن كلاب ومنها:

ولقد علمت على التجلد والأسى أن يقتلوك فقد هتكت بيوتهم
أن الرزية كان يوم ذؤاب بعتية بن الحارث بن شهاب^(١)
بأحبهم فقدأ على أعدائه وأشدهم فقدأ على الأصحاب
وأورد أبو عبيدة من هذه القصيدة أحد عشر بيتاً وقال: فلما بلغ الشعر بني يربوع قتلوا ذؤاب بن ربيعة، قالت آمنة بنت عتية ترثي أباه:

على مثل ابن مية فانعياه تشق نواعم البشر الجيوب
وكان أبي عتية سمهرياً فلا تلقاه يدخر النصيب
ضروباً للكمي إذا اشمعلت عوان الحرب لا ورعاً هيوباً
وقال محقق كتاب الأيام الدكتور البياتي^(٢) أن الأبيات تروى بوجه آخر، وأحال إلى البكري، وابن دريد، وياقوت، وصاحب التاج وأوردها كالتالي:

تروحنا من اللعاء عصراً فأعجلنا الإلهة أن تؤوبا
على مثل ابن مية فانعياه تشق نواعم البشر الجيوب
وكان أبي عتية شمرياً ولا تلقاه يدخر النصيب
ضروباً باليدين إذا اشمعلت عوان الحرب لا ورعاً هيوباً
وقال: الإلهة هي: الشمس سمّاها العرب بذلك لأن بعضهم كانوا يعبدونها^(٣)، وقال في موضع آخر: وأطلقوا على الشمس اسم «الإلهة» لأن قوماً منهم كانوا يعبدونها، وجاءت بهذا الاسم في يوم من أيام العرب يقال له: «يوم ذؤاب» قالت

(١) وفي رواية ثلثت عروشهم.

(٢) وأحال الدكتور البياتي إلى العقد الفريد، ونهاية الأرب، وحماسة أبي تمام والأمال، ووردت أبيات أبي ذؤاب عند البحري في سلاسل الذهب.

(٣) أبو عبيدة: الأيام ص ٤٨٦.

آمنة بنت عتبية ترثي أباهها، وأورد الأبيات ثم قال: وكان للشمس صنم باسمها لذلك انتسبت الأسماء إليها.

وعبادة الشمس قديمة أيضاً عند الساميين، وليست مسلة «حمورابي» ببعيدة عن أذهاننا وفيها يتسلم هذا العاهل قوانينه الإلهية من يد الإله «الشمس». واستدل الباحثون على أن الإله (بعل) الذي عرف ببطن الجزيرة في الواحات ومساقط الأمطار التي كان يؤمها البدو انتجاعاً للماء والكلأ وإيفاء بندر، كانت له بالشمس علاقة، فهو الروح، والشمس جسد والآلهة عندهم روح وجسد كالإنسان، و«بعل» هذا إله بابلي كبير.

وعند ملاحظة الأبيات المتقدمة، ترسم لأعيننا صورة حزينة لغروب الحياة، فكل شيء في نظر الشاعرة هنا، يلم أشياءه ويجنح إلى الغروب حتى الإلهة ما دام رمز حياتها وبقائها وهو أبوها قد غادرها إلى الأبد^(١).

وابن ميه هو صياد الفوارس، وكان مالك بن نويرة يسميه «عتاب بن مية» في قصائده، وكان عمرو بن معدي كرب يقول: إنه لا يخشى أحداً من مضر ما لم يلقه حراها أو هجيناها، والحران صياد الفوارس وعامر بن الطفيل، والهجينان: عترة، والسليك بن السلكة التميمي، وعمرو بن معدي كرب فارس اليمن دون مدافع^(٢). وتجتمع تميم بأسد في إلياس بن مضر، ويجمعهم هذا النسب بقريش وهذيل أهل الحجاز، قال أوس بن حجر:

لقد علم بنو أسد أننا لهم نصر ونعم النصر
نحل الديار وراء الديار ثم نجعج بالجزر

ومنذ أمد لم يعد أهل الجبلين يذكرون الأسديين، وأشار إلى ذلك «فالين» وهو يتحدث عن تميم وهلال وطيء، وللشيخ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري دراسة عن القبائل القديمة في الجبلين من المتوقع أن تلقى مزيداً من الضوء على

(١) البياطي: الملاحم العربية، ص ٢٢٤، وهو ضمن كتاب الأيام.

(٢) مع أن في مرويات اليمن مبالغات كثيرة وبخاصة شجاعة عمرو وكرم حاتم وغزوات التبابعة!

أخبار الأسديين الذين يرى بعض الباحثين أن بقيتهم لا بد أن تكون انصهرت في القبائل التي عرفت في منطقة حائل بعد القبائل الأولى.

١١- قصر العشراوات

قصر العشراوات من القرى المتفرعة عن قفار، وتقع جنوبها ليست بعيدة عنها لا يفصل بينهما سوى ٢٠ كم فقط، وتقع بينهما قرية تعرف باسم «الودي». وأهل قصر العشراوات ممن نزحوا من قفار وأقاربهم فيها آل الخوير، وهم آل حمود ثلاثة بطون: آل قبال، وآل راشد، وآل مفيد.

والقصر في وهدة من الأرض في سفح جبل أجأ الشرقي على الطريق الرئيس المنطلق من حائل إلى المدينة المنورة قال ابن صقيه:

والقصر يسقي جوبته وبل هتان للي بحيه ساكن ما تناسيت
ونقل الأستاذ حمد الجاسر في المعجم: أن الرحالة «موزل» مرّ بالقصر ووصفه بقوله: أقمنا مخيمنا عند بساتين قرية القصر، وكان زعيم هذه القرية حسن المشيخ، وهي تضم ثلاثين بيتاً وكانت هناك دلائل قتال حديث تبدو في كل مكان^(١). وأحصى ابن صقيه أمراء القصر منذ انشائها فلم يرد ذكر لهذا الزعيم الذي قال «موزل» إن اسمه حسن المشيخ^(٢).

ويقال في سبب تسمية القصر بقصر العشراوات، أنه كان في عهد الأتراك تستوفى فيه رسوم ما يرد من البضائع إلى حائل بنسبة العشر، هكذا نقل الأستاذ حمد الجاسر، وقال الأستاذ عبدالرحمن السويداء في كتابه: رمّان «إنما سمي بهذا الاسم لأنه تجمع به عشور نخيل جبل أجأ البعلية»^(٣).

ومن مشاهير أهل القصر بل من مشاهير الجبلين عقيل القبالي وهو صاحب عبدالله بن رشيد، مؤسس الإمارة الرشيدية في رحلته من حائل إلى العراق، وقد

(١) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، مادة القصر.

(٢) ابن صقيه: بنو تميم في بلاد الجبلين، ص ٧٩.

(٣) السويداء: منطقة رمّان ص ٢٥.



أطلال قنار نحاسي شموخ جبال أجا

وصف رحلتها شعراً شاعر شمر رشيد بن طوعان بقوله^(١):

ياللي تردون المراسيل لرشيد الله لا يبلى بيوم جرابلس
أمس الضحى جتنا علوم التواكيد شيخ الجبل من نقرة السمر اشالي
ومنها:

ماني بحال الملقحة والكوايد لا راح عبدالله وراح القبالي
ما يقلط العبد الطغامة على السيد ولا ينقعد بالشمس عقب الظلالي
لا بد ما ينزل غنيم على فيد ونشوف من ينحى العدا بالفعالي^(٢)
ومن شعر ابن صقبة:

وعقيل مشهور القبالي بهيجان راع النبا الطيب عليه استدليت
وبيت القبالي من البيوتات المعدودة، ومضافته من المضافات الشهيرة، ومن
المعارضات الشعرية الطريفة التي يتمجد أصحابها بالكرم، والشهامة قصيدتان
الأولى لابن عبيكة الشمري ومطلعها:

لا ضاق صدري جبت وقدة جذامير وشييت نار مثل نار الحرايرة
والثانية للقبالي التميمي ومنها:

يوم التفت وشففت حمر الدواغير دلاً شعر راسي يشيل العصابة
وفي دراسة «جاكولين بيرين» الموسومة باسم «اكتشاف جزيرة العرب» قالت
هذه الباحثة عن منطقة حائل «إن سكان القرى يعتبرهم البدو متفوقين عليهم بالشجاعة
واستخدام السلاح» وذلك في تعليقها على دراسة المستشرق الفنلندي فالين^(٣).

ومن المحاربين الأشداء من أهل قصر العشراوات عبدالرحمن القبالي وقد
قتل في وقعة «النيسية» في عام ١٣٤٠هـ.

وقصر العشراوات الآن بلدة عامرة، وبها عدد من المدارس للبنين والبنات،
وبعض الدوائر الحكومية، وأميرها عبدالمحسن بن صالح القبالي التميمي.

(١) الشرعي: البادية بين عراق الماضي وأصالة الحاضرة.

(٢) المقصود غنيم الرضا، وهو من قبيلة عنزة.

(٣) جاكولين بيرين: اكتشاف جزيرة العرب ص ٢٧٩.

وتقع بلدة قصر العشراوات جنوب قفار - كما تقدم - وإلى الجنوب منها تقع (بُزَاخَة) على الطريق المتجه إلى محافظة الغزالة فالمدينة المنورة و(بُزَاخَة) أرض ذات آكام بها منهل قديم، عرفه العرب الجاهليون بهذا الاسم، ووقعة بُزَاخَة من أشهر أيام التاريخ العربي، وفيها قتل زيد الفوارس الضبي التميمي المحرق الغساني، ملك الشام، وأخاه زياداً، واستنقذ قوماً من طيء.

ويأتي يوم بُزَاخَة حلقة في سلسلة وقائع متتالية بين تميم والغساسنة ملوك الشام هي: كنهل، وإضم، والترويح، وفي يوم بُزَاخَة قال ربيعة بن مقروم التميمي مفتخراً:

طوال الرّماح غداة الصّباح ذوو نجدة يمنعون الحرّما
فدى بـ «بُزَاخَة» أهلي لهم إذ ملأوا بالجموع الحزّما
وقال الفرزدق في فخريته اللامية التي مطلعها:

إنّ الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول
قال:

زيد الفوارس وابن زيد منهم وأبو قبصة والرئيس الأول
ملكين يوم بُزَاخَة قتلوهما وكلاهما تاج عليه مكلل
وفي بُزَاخَة حدثت وقعة من وقعات حرب الردّة انتصر فيها المسلمون بقيادة خالد بن الوليد على المرتدين الذين تألبوا على طليحة الأسدي من طيء، وأسد، وغطفان، وفي تلك الوقعة قال القعقاع بن عمرو: ^(١)

ويوماً على ماء البُزَاخَة خالد أثار في هبوة الموت عثيرا

(١) هو القعقاع بن عمرو بن مالك من بني أسيد من بني عمرو بن تميم، وفي تميم قعاقة كثيرين أشهرهم القعقاع بن معبد، تيار الفرات، ولكاتب هذه السطور بحث بعنوان: جبل رحران وتيار الفرات القعقاع بن معبد، وبحث بعنوان: وقعة بُزَاخَة ودلالات أيام العرب، وذكر الواقدي وابن أعمش أن الزبرقان بن بدر التميمي كان على جناح جيش المسلمين في وقعة بُزَاخَة.

الحياة العلمية والأدبية في قفار ومشاهير أمرائها

- ١ - العلماء والقضاة في قفار
 - (أ) آل الملاحبي
 - (ب) الشيخ عثمان بن منصور التميمي
 - (ج) آل يعقوب
- ٢ - الشعراء والشعراء
 - (أ) الخوير التميمي
 - (ب) ابن ماضي والملحمة القفارية
 - (ج) ربحان مولى المخذ
 - (د) محمد بن عبدالله آل الشيخ مبارك التميمي
 - (هـ) بشير بن نصار التميمي
 - (و) حسن بن طلبحان
 - (ز) مزنة التميمية
 - (ح) الشيخ أحمد بن مشرف التميمي
 - (ط) حمير بن عيادة التميمي
 - (ي) جلعود بن لافي الهمزاني
 - (ك) الخشيم
 - (ل) ابن صفيه راعي قفار
- ٣ - مشاهير أمراء قفار

١- العلماء والقضاة في قفار

ظهر في قفار عدد من العلماء المشهورين، ووردت تراجم وأخبار هؤلاء وآثارهم العلمية، ومصنفاتهم في العقيدة، والفقه، والأدب، والشعر في عدد من كتب المعنيين بالدراسات الشرعية، والأدبية مثل: كتاب زهر الخمائل في علماء حائل للهندي. وكتاب تراجم علماء نجد خلال ستة قرون للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام، وكتاب روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين للشيخ محمد بن عثمان القاضي.

(أ) آل ملاحي

ومن أشهر علماء قفار الشيخ محمد الملاحي، قال الهندي: محمد الملاحي من أهل قفار، قرأ وتعلم على علماء حائل، وكان صالحاً ديناً ذا غيرة شديدة وله مواقف مشهورة، مات سنة ١٢٨٠هـ.

وترجم محمد القاضي لابنه عيسى الملاحي فقال: «هو العالم الجليل والفقيه الفرضي الشهير الشيخ عيسى بن محمد بن عبدالله بن بركة بن ليفان آل عيادة من تميم، ولد هذا العالم في بيت علم عام ١٢٨١هـ في قفار، وأهالي قفار تميزوا بالفقه، وأهالي لبدة تميزوا بالتوحيد، ذكره الشيخ علي الهندي، وتوفي أبوه عام ١٢٨٠هـ وابنه عيسى حمل فكفله عمه، وكان أبوه وعمه عالمان جليلين فتربى تربية حسنة، وقرأ القرآن على مقريء في قفار، ثم حفظه عن ظهر قلب وشرع في طلب العلم بهمة، ونشاط، ومثابرة، فقرأ على أعيان علماء حائل وما حولها. ومن أبرز مشائخه الشيخ يعقوب بن محمد بن سعد، وعبدالعزيز بن صالح المرشد وعبدالله الخلف. لازمهم في الأصول، والفروع، والحديث، ورجاله،

وعلوم العربية، ثم نرح إلى القصيم فقرأ على علماء عنيزة وبريدة، ومن أبرز من أخذ عنهم قاضي عنيزة عبدالعزيز بن محمد بن مانع، ومحمد بن عبدالله بن سليم وعبدالله بن مفدى، وظل في القصيم ملازماً لعلمائها، ثم رحل إلى المريدسية قرب بريدة فسكنها للقراءة على عبدالله بن حسين أبا الخيل، ولازمه زمناً، وجلس للطلبة بها، وقام برحلات عديدة لطلب العلم، ونبغ في فنون عديدة.

وكان ذكياً بارعاً في الفقه، وأصوله، وفي الفرائض، وحسابها، وعلوم العربية كلها، ويقرض الشعر بمهارة. ومن أوعية الحفظ، سريع البديهة، حاضر الجواب، أكب على كتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم وانتفع منهما، واشتهر بعلوم الحجة، والتف إلى حلقاته طلبة كثيرون، وكان حسن التعليم.

وقال القاضي أيضاً «ترجم له الهندي سطين وقال: إن فيه تحاملاً على بعض العلماء، وأثنى عليه بسعة الإطلاع، وبأنه شديد على أهل المعاصي، وجعل وفاته عام ١٣٤٥هـ ولكن الصحيح كما أيده أيضاً ابنه الشيخ يوسف أن وفاته عام ١٣٥٢هـ، وكان مربع القامة نحيفاً قليل الشعر، وحنطي اللون، وله رسائل، ونصائح كثيرة، وفتاوى كثيرة وعنده مكتبة فيها من نفائس المخطوطات الشيء الكثير، وخطه متوسط ولا يسأم من المطالعة، ويحب البحث في مسائل العلم. وله مؤلفات منها شرحه لكتاب التوحيد مجلد ضخيم، وفيه فوائد نفيسة كان قطعة منه عند الشيخ سليمان العمري، وجدته مع مخطوطاته في منزل ابنه، وعليه مأخذ فيه لم يسلم من علماء عصره، ومن ألف فقد استهدف، وله منسك ومختصر في علوم النحو وحواش من تقارير مشائخه، ومما يمر عليه أثناء مطالعته، نبهه صالح السالم البنيان على مأخذ في شرحه فلم يقتنع فجعل كل واحد منهما يتهم على الآخر نظماً ونثراً ثم إن كلا منهما عضده جماعة، وطال النزاع بين مؤيديه من علماء قفار، وبين مؤيدي صالح السالم كابن سحمان، وحمود الشغدلي، وعبدالرحمن الملق، وانتهى هذا التشاجر بهادم اللذات ومفرق الجماعات بعد حزازات أورث بينهما الضغائن. وللشيخ عيسى نكت حسان فكانت مجالسه ممتعة، ومحادثاته شيقة، وكان نزوحه من حایل مخافة على نفسه من ابن رشيد فقد هدده، وكرر ذلك وتوعده

فما كان منه إلا أن ينجو بنفسه لأنه كان قوياً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم، وجلبت له هذه الجرأة المشكلات وكان عزيز النفس ذا عفة وصيانة، وآية في الزهد والورع والتقى، رشح مراراً للقضاء قبل الشبيكية وبعدها فرفض تورعاً منه، وتوالت عليه الأمراض، ووافاه أجله المحتوم في الشبيكية سنة ١٣٥٢هـ.

وله أبناء خمسة: عبدالعزيز وقد تُوفي في حياة أبيه بـ (الأرطاوية) عام ١٣٤٦هـ، ومحمد وكان من طلبة العلم، واشتهر بتعبير الرؤيا، وتوفي عام ١٣٦٢هـ، وإبراهيم وقد تُوفي عام ١٣٦٦هـ، وسلمان الذي ما زال موجوداً وهو تاجر عطورات بالرياض^(١)، ويوسف وهو من خيرة علمائنا ويعمل موظفاً في الرياض وداعية خير ورشد وصلاح.

وأضاف الشيخ القاضي أن الشيخ عيسى الملاحي تم تعيينه قاضياً في «الشبيكية» من قبل الملك عبدالعزيز، واستمر قاضياً فيها ومرشداً، وإماماً، وخطيباً، في جامعها نحواً من عشرين سنة - كان فيها مثال العدالة، والنزاهة، محبوباً بينهم مستقيماً في دينه وخلقه، وكان له صوت حسن رخيم لا يود سامعه أن يسكت، ومن أبرز من تخرج عليه واشتهر بعلومه محمد العبدالله بن حسين من قضاة بريدة وعنيزة وسليمان المشعلي وعمر بن يعقوب، وعبدالله العودة السعوي^(٢).

وأشار الشيخ أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري إلى أن ابن سحمان كان حكماً فيما شجر بين الملاحي وآل بنيان... ونقل عن القاضي في ترجمة صالح السالم البنيان وحصل خلاف بينه وبين الشيخ عيسى الملاحي من علماء «قفار» يتعلق بالعقيدة.. وصار الناس يخوضون في حديثهم، ورفع الأشرار لها رؤوسهم، فبعث الشيخ عيسى الملاحي بقصيدة تبلغ خمسين بيتاً فيها مسبة للشيخ صالح السالم تركها عمداً.

قال أبو عبدالرحمن: ولقد أستفتى ابن سحمان في هذا النزاع فأفتى بقصيدته

(١) نبهنا الدكتور رشيد العمرو إلى أن اسمه سليمان وأنه توفي منذ سنوات رحمه الله.

(٢) القاضي: روضة الناظرين.

التي مطلعها:

ألا قل لأهل العلم من ساكن الجبل وصفوة أهل الخير من ذلك المحل
وانتصر ابن سحمان لآل بنيان وأصحابه .

وكتب الشيخ حمود بن حسين الشغدلي كتابه «تنبيه المصنف الصاحي»
ويوجد بعضه مخطوطاً بجامعة الملك سعود^(١).

(ب) الشيخ عثمان بن منصور التميمي

ومن أشهر من تولى القضاء في قفار الشيخ عثمان بن منصور الناصري التميمي،
قال القاضي: ولد هذا العالم في بيت علم وشرف ودين في الفرعة سنة ١٢١١ هـ^(٢)،
وتربى تربية حسنة وقرأ القرآن وحفظه وشرع في طلب العلم بهمة عالية، ونشاط،
ومثابرة فقرأ على علماء سدير والوشم، وكان ذكياً نبهاً واعياً وكان مشائخه
يعجبون من فرط ذكائه، ونبله، وثقوب فهمه، لازمهم في الأصول، والفروع،
وفي الحديث، والمصطلح، وعلوم العربية. . ثم رحل إلى الرياض وقرأ على
علمائها، ثم سمت همته للتزود والاستفادة فرحل إلى العراق ولازم علماء بغداد
الألوسيين وعلماء البصرة وذلك عام ١٢٣٣ هـ وكان من أبرز مشائخه الألوسيين
وهم حنابلة بغداد وداود بن جرجيس، وأجيز بسند متصل بالرواية، وغادر بغداد
إلى الزبير فقرأ على علماء الحنابلة ثم رحل إلى الكويت ثم حج وجاور المسجد
الحرام ودرس فيه، ولازم العلماء في المدينة المنورة حتى نبغ في فنون عديدة،
وعلم شتى.

باشر أعمال القضاء بحزم وكانت قضاياه مثاراً للإعجاب وكان مثلاً للعدالة،
والنزاهة، وجلس للطلبة، ووفد الطلاب إليه من كل صوب للاستفادة، واشتهر
وذاع صيته، وكان حسن التعليم، واسع الإطلاع.

عينه الإمام تركي بن عبدالله قاضياً في بلدة جلاجل ثم ضم إليه الإمام

(١) ابن عقيل: مسائل في تاريخ الجزيرة العربية، ص ٧٢.

(٢) تقدم أن أهل الفرعة قدموا إليها من قفار، وهم من النواصر من تميم.

فيصل بن تركي أعمال سدير كلها، ثم نقل من سدير إلى قفار فمكث بها مدة فنقل منها إلى قضاء حائل في عام ١٢٥٦هـ.

قال الهندي: ان للشيخ عثمان بن منصور معرفة تامة بالأدب، والشعر، والفقه، والأصول، وغيرها، وله أحكام بأيدي أهل قفار.

قال القاضي: وأحبه أهالي حائل، وسدد في أقضيته، وظل يقضي بينهم أربع سنوات، وحدث بين أمير حایل طلال بن رشيد وبين الأهالي خلاف ورأى من الشيخ عثمان ميلاً إليهم فرأى أن في عزله إغاية لهم فعزله عام ١٢٧٠هـ.. قال القاضي ومن تلاميذه عثمان بن بشر مؤلف (عنوان المجد في تاريخ نجد)، وقد أثنى عليه ثناءً حسناً^(١). كما أثنى عليه تلميذه الخال عبدالعزيز بن محمد بن مانع قاضي عذيرة نقل ذلك ابن الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع مدير المعارف سابقاً ووصفه بسعة الإطلاع، ووفور العقل.

وكان من أوعية الحفظ ينقل الفوائد ويجمعها، وكان مرجعاً في التاريخ، ومعرفة الأنساب، وليس حاطب ليل بل هو من أمناء النقل وكانت مجالسه ممتعة، وأحاديثه شيقة لا يمل من مجلسه، وكان آية في حسن الخلق والسماحة، حلو الشمائل حليماً، ذا وقار، وكان خطه فائقاً في الحسن والضبط.

وقال القاضي: إن من المآخذ على الشيخ عثمان أن من مشائخه داود بن جرجيس وداود قد عُرِف عنه بعض الانحراف في العقيدة، وقد دخل عليه بعض الشيء من هذا المعتقد السيء في شرح ألفه على كتاب التوحيد سماه (فتح الحميد).. وقد رد عليه الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، وآخرون كأحمد بن مشرف الأحسائي، وحمد بن عتيق، ردوا عليه نشرًا ونظماً وتحزّب علماء الحجاز فمن مؤيد لهذا، ومن مؤيد للآخر، وكذا علماء الأمصار. توفي الشيخ عثمان في العاشر من شهر ربيع الأول من عام ١٢٨١هـ^(٢).

(١) قال ابن بشر وهو يتحدث عن منصور بن يونس البهوتي: أخبرني شيخنا القاضي عثمان بن منصور الحنبلي الناصري، متع الله به. ابن بشر: عنوان المجد، ص ٥٠.

(٢) القاضي: روضة الناظرين.

(ج) آل يعقوب

وتولّى القضاء في حائل بعد الشيخ عثمان بن منصور تلميذه الشيخ محمد بن سعد وهو جد آل يعقوب من أهل قفار، وتنسب هذه الأسرة إلى يعقوب بن محمد بن سعد. قال القاضي عن الشيخ يعقوب: هو العالم الجليل، والفقيه المتبحر، الورع الزاهد، ولد في حائل عام ١٢٥٢هـ في بيت علم ودين وتقى، فنشأ نشأة حسنة ورباه والده العالم محمد بن سعد أحسن تربية وقرأ القرآن على مقريء في حائل وحفظه تجويداً ثم حفظه عن ظهر قلب.

قال الهندي: كانت لمحمد بن سعد (والد يعقوب) أحكام جيدة تدل على إطلاع واسع، وتنقيح للمسائل وفهم لها، وكان ورعاً زاهداً محباً للعلم وأهله، جمع كتباً كثيرة، قال الهندي: إنه رأى بعضها عند أبناء ابنه عمر، وأبناء ابنه يوسف، أمّا وفاته فكانت في عام ١٢٨٠هـ.

قرأ الشيخ يعقوب على العلامة عبدالله بن عبداللطيف، ولازمه في جلساته كلها في ولايته قضاء حائل، كما قرأ على غيره، ونبغ في فنون عديدة من أصول وفروع وحديث وعلوم عربية وتاريخ، وكان ثاقب الرأي، قوي الحفظ، سريع الفهم، ذكياً، قوي الذاكرة، واسع الاطلاع.

رشح للقضاء فامتنع مراراً تورعاً، وكان ذا مكانة مرموقة بين أهالي حائل سخيّاً يضرب به المثل في الكرم. وكان إماماً وخطيباً ومرشداً وواعظاً ومدرساً في جامع برزان، أشهر جوامع حائل. وتولّى إمامة هذا المسجد من بعده أبنائه وأحفاده، واستمرت إمامتهم به قرناً من الزمان، وكان آخر إمام فيه منهم هو عبدالله بن عمر بن يعقوب.

ومما يؤثر عن الشيخ يعقوب حبه للشعر وكان يتمثل بحكم أبي الطيب وأبي تمام وكثيراً ما كان ينشد:

شيئان يعجز ذو السياسة عنهما رأي النساء وإمارة الصبيان
أما النساء فميلهن مع الهوى وأخو الصبا يجري بغير عنان
وممن تتلمذ على يديه ابنه: عمر، ويوسف، وعيسى الملاحى، وحمود

الحسين الشغدلي، وخلف العبدالله الخلف، وكان الشيخ عبدالعزيز المرشد يستنبيه على القضاء وكانت وفاته في عام ١٣٢٠هـ ورؤي في سبب وفاته أن سمّاً وضع في فنجان قهوة للأمير طلال بن نايف الرشيد، فحلف الأمير ألا يشرب قبل الشيخ يعقوب فشرب الشيخ فنجان الأمير وشرب الأمير فنجان الشيخ ففوجيء من في المجلس باضطراب الشيخ، ووفاته في الحال وكثر الهرج، والمرج وتلفيق التهم، وصّلي عليه في جامع برزان.

وكان ابنه يوسف المولود في عام ١٢٨٨هـ على جانب كبير من الأخلاق العالية، والصفات الحسنة، وكان جواداً سخياً قرأ على والده، وعلى قاضي حائل الشيخ عبدالله بن مسلم التميمي، وقاضيهها عبدالله بن سليمان بن بليهد وكان مشغولاً بالمطالعة، محباً للبحث والنقاش توفي عام ١٣٥٥هـ.

وممن قرأ على الشيخ يوسف بن يعقوب وعلى أخيه عمر الشيخ ناصر بن حمد الدرسوني المولود في عام ١٣٠٧هـ، وذكر القاضي أن ممن قرأ على علماء قفار الشيخ ناصر السعد الهويد المولود في بلدة الروضة برمان قال القاضي إن هذا الشيخ قرأ على علماء لبدّة علم الأصول، والحديث وكانوا يمتازون بعلم التوحيد والحديث، كما قرأ الحديث والفقه على علماء قفار، وكانوا يمتازون بعلم الفقه وأصوله والحديث^(١).

قال الهندي: قرأ الشيخ عمر بن يعقوب القرآن على والده وأخذ العلم عن علماء زمنه فاجتهد وحصل، وتولى خطبة الجمعة والعيدين قرابة خمسين سنة، وكان جهوري الصوت حسنه جداً محباً للعلم وأهله كثير الصمت إلا عن ذكر الله، وكان لديه مكتبة قيمة تولاها بعد والده وجده يحب المطالعة والقراءة ولد في عام ١٢٨٦هـ وتوفي عام ١٣٦٦هـ عن تسع وسبعين سنة، وبيته بيت علم ودين، فأبوه وجده من خيرة العلماء، وله مكانة اجتماعية وعلمية، وله مجالس للوعظ والتدريس.

(١) القاضي: روضة الناظرين.

أما قاضي حائل عبدالله بن مسلم التميمي المتقدم ذكره فهو من مواليد الحلوة في حوطة بني تميم، وهو من المزاريع الذين انتقل جدهم مزروع من قفار إلى سدير في مطلع القرن السابع الهجري. قال الهندي: كان ابن مسلم آية في فقه الحنابلة، مع تحصيل في سائر العلوم، تولى القضاء في حائل سبع سنوات إلى عام ١٣٣٦هـ، ثم تولى القضاء فيما بين عامي ١٣٣٧هـ و ١٣٣٨هـ. وتوفي عام ١٣٤١هـ^(١).

ومن العلماء الذين عُرِفَتْ بهم قفار الشيخ الحميدي بن عبدالعزيز الرديعان، وهو من أهل الروضة بحائل، ولد في عام ١٢٨٠هـ وتولَّى خطابة الجمعة في قفار، قال الهندي: كان ديناً، فاضلاً، مرشداً، وداعياً إلى الله، له صوت ضخيم جهوري، وكان ذا عقل وافر، ورأي حسن، تعلوه هيبة، ووقار، مات سنة ١٣٧٠هـ عن تسعين سنة.

ومنهم أيضاً الشيخ سليمان بن عيادة التميمي وهو من أهل قفار، وقد تولى التدريس وإمامة الجمعة في عدد من قرى منطقة حائل.

٢- الشعر والشعراء في قفار

(أ) الخوير التميمي

لقفار شهرة كبيرة في الشعر النبطي، وقد سارت قصيدة الخوير في القهوة مسير المثل، وقيل: إن أحداً لم ينظم مثلها في موضوعها، واستثنى البعض قصيدة محمد العبد الله القاضي التميمي الشاعر المشهور التي تكاد توازيها. وبلغ من شهرة قصيدة القهوة للخوير أن طُبِّقَ صيتها أرجاء الجزيرة العربية، بادية وحاضرة، وتناقلها الرواة في بوادي الشام والعراق. ولا تكاد تخلو مجالس الشعر في تلك البوادي في ليالي السمر من ترديد مقاطع منها، أو عزف بعض أبياتها على الربابة.

(١) الهندي: زهر الخمائل.

وتحدث الدكتور سعد الصويان عن مظاهر الكرم في منطقة حائل وقال: أن عنصر الكرم من أهم عناصر الحياة الاجتماعية في منطقة الجبلين وقد كيفوا حياتهم على ذلك، فنجد مثلاً أن القهوة دائماً جاهزة والنار لا تطفأ أبداً، وقد سمعت أن هناك من الأخيار من لم تنطفئ ناره منذ مائتي سنة، وإذا ما حدث أن توقفنا لنسأل عن الطريق أو عن شخص ما، فإن المسئول حتى وإن كان طفلاً صغيراً أو امرأة يبادرنا بقوله «تفضلوا، اقلطوا القهوة زاهبة والله ما تسيرون إلا أنتم آخذين فنجال».

وفي بعض القرى والهجر تجد أن مجالس الرجال «القهافي» بدون أبواب، وقد ذكر ذلك زيد الخوير التميمي من أهالي قفار في قصيدة له، حيث يقول: إن ناره لا تخبو، وبابه مفتوح (مبرهج) بحيث لا يضطر الزائر إلى طرده بعقب سيفه، حيث كانوا قديماً يحملون السيوف:

دلال ما عنهن سنا النار طافي بوجار من لادونهن بابهن جيف
مبرهج تسفى عليه السوافي من خلقتة ماطق في ركزة السيف^(١)

وتحدث الدكتور الصويان عن رحلته في الشمال وقال: إن الصورة التي تظل عالقة في الذهن، والانطباع الذي يبقى بعد أن يزول النصب، وأس التعب هو الكرم الذي يتميز به أهل الشمال عموماً، وأهل الجبلين خصوصاً، لا شيء أعز عند ابن الشمال وأحب لنفسه من إكرام الضيف، وتوفير الراحة له فهم لا يزالون ينحرون الإبل لضيوفهم بالإضافة إلى الأغنام ويدفقون السمن عمداً على الطعام مبالغة في إكرام الضيف وتجد أمام بيوتهم جفاناً كالجوابي ودسائع ضخمة يعدونها للولائم. ومظاهر الكرم عند أهل الجبلين لا تنحصر في نحر الذبائح وتقديم الطعام، فالشيء الذي يهز النفس، ويمس الشعور هو طقوس الضيافة، ومراسيم الاستقبال. فما أن يرى صاحب المنزل ضيفه قادماً حتى يحث الخطى لاستقباله بوجه مشرق وأسارير متطلعة، وابتسامة عريضة، وتنهال من شفثيه كلمات الترحيب التي

(١) مبرهج: مفتوح دائماً هكذا ورد عند العامة، وفي الفصحى بهرج الشيء أباحه، ومكان مبرهج غير حمي، فيدخله من يشاء، انظر المعجم الوسيط.

أعدت خصيصاً لهذه المناسبة، ثم يجلس صاحب المنزل ضيفه في مجلس وثير بحيث يتكئ على يده اليسرى حتى تكون اليمنى حرة لتناول القهوة والطعام ومصافحة القادمين.

ويبادر المضيف بتقديم التمر والسمن إلى ضيفه. وأثناء ذلك يكون أحد أولاده قد حرث الوجار وأشعل النار مستعملاً المنفاخ لتأجيحها، وقام بغلي الماء وحمس البن بالمحماسة وسحنه بالهاون بإيقاعات جميلة قل من يتقنها في هذا الوقت. ويعتنون بعمل القهوة عناية فائقة، فبالإضافة إلى الهيل يطعمونها بقليل من الزعفران والقرنفل، وحتى طريقة سكب القهوة فن خاص لا يجيده إلا من تمرس فيه^(١).

وهذا الذي يشير إليه الدكتور الصويان من العناية بإعداد القهوة ومن أن لسكبها فناً خاصاً نجده يتمثل أصدق التمثيل في قصيدة القهوة للخویر الذي يقول بعد أن يشير إلى شاعريته، وتمكنه من نظم القوافي وبعد أن يتباهى بكرمه وأن بابه مفتوح أبداً وناره لا تخبو عن (دلاله) يقول: إن قهوته صافية، وإن من يقوم بإعدادها مؤهل ذو كفاءة لهذا العمل بدءاً من وضع الدلة الشامية على الجمر، وإلى حرصه على تقليب حبات البن التي هي (الكيف) عنده إلى أن تصفر وتحمر وكأنها الذهب، ثم طريقة سكبها من دلة أخرى خلاف الأولى حتى تكون صافية تماماً لا تنتقد، حتى مرحلة تذوقها التي هي فن آخر يعرفه المؤهلون لشربها من أبطال الرجال، وممن هم في القمة من المروءة، والكرم، يشترون القهوة ولو غلا الثمن، لا يرجون وراء اقتنائها مكسباً أو تجارة خاصة ويجلبون ما يلزم لها من «الهيل» الذي يجلب من الهند في مركب شراعي.

يقول الخویر وهو من بني عمرو من تميم في قصيدة القهوة:

قال الذي يبذل على كل قافي	من ضامره ياتن اريام مواليف
بمنومسٍ لقم على بكر صافي	عليه من شغل ابن سكران توليف
خله إلى ما تونس النذل غافي	وقرب ادلالٍ مثل بط مهاديف

(١) سعد الصويان: جمع المأثورات الشعبية.

ادلال ما عنهن سنا النار طافي
امبرهج تسفا عليه السوافي
واحمس ولقم بالعجل بالسنافي
حماسها قرم من الغوش شافي
وزله وصفه عن سريب المصافي
كنه إلى منه غشاه الرعافي
وابهارها من يمة الهند لافي
فنجالها لاشف بين الاشافي
وان كان تزل من طيور هوافي
صبه لمن يشني خلاف المقافي
اللي إذا غليت شراها جزافي
ونفل بها اللي بالمروات وافي
ياسامع مني اعلوم تشافي
دنياك لو ضحكت تراها بخافي
إنهب امنه من قبل ما العمر يافي
صبور عمرك ناهج للذلافي
اليا حصل عز مع الكيف كافي

بوجار من لا دونهن بابهن جيف
من خلخته ما طق في ركزة السيف
بشامية طرف لها الجمر تطريف
دايم يقلبها حريص على الكيف
من خوفة أحد قال بالكيف يا حيف
نثر الذهب من فوق لوح المشانيف
في مركب يقدها زجر العواصيف
لكن يجذب من شفا شاربه شيف
بيض فسد أفواهاها باشقر الليف
يوم الفرنجي يقذف الملح تقذيف
ماراطله عند الدلائل بنصيف
ما دور التجرات به والمصاريف
خذها من اللي نافل كل عريف
تبرم دوايب الشقا والتكاليف
صبور ما تقفي اركابك مواجيف
سمر الليالي تكمله بالتتاليف
ماني على الدنيا كثير التحاسيف

وزيد الخوير من السراة الممدحين، وهو من رموز الكرم في بلاد الجبلين،
قال جلعود بن لافي الشمري في قصيدة يعدد بها مشاهير أهل المضافات في
حائل:

وزيد الخوير إلى الآن باقيه
وداره لمن زاره تزف البشارة
راعي قفار اللي حريص بواجبه
وقال ابن صقيه:

بغبر السنين يقدرونك الياجيت

وأهل قفار موجه كل جيعان

وقال:

زيد الخوير وناصر ابن لحيدان
يلقى اللقيمي فوقه اذئاب خرفان
وقال في القهوة والخوير:

لقمّ ببغداية كن عنقها
وعده للي مركيات دلالة
وذكر عبدالله الحاتم في كتابه خيار ما يلتقط من شعر النبط أن الخوير مات
في عام ١٢٨٠هـ وأنه زيد بن سلامة الخوير، وأورد له قصيدة تشبه قصيدة
القاضي التميمي في القهوة في الوزن والقافية، وكتاب الخاتم من أوائل الكتب
التي صدرت عن الأشعار النبطية في الجزيرة العربية.
أما القصيدة فهي:

باح العزا ياديب قم دن الأوراق
وادنو دواة الحبر وادنو لنا ساق
ياديب عدل لي احروفه بالأطراق
واكتب من الأمثال ياديب ملاق
حد الحيا وقبل تنشيف الارياق
والموت إلى جا العمر ما هوب فهاق
واخلاف ذا ياراكب فوق خفاق
حر هميم المشي للدو سراق
إلى قدر الله فانتو عقب الاحقاق
سوق سقاه من الهماليل براق
من مزنة ساقه من الريح صفاق
دار الرخا منبت عذيات الاوراق
دار الذي وان حل تنشيف الارياق
والضد من عيلاتهم مثل مرهاق

قرطاس شامي صافي تقل غرنوق
عود اليراع بشذرة الموس مذلوق
ما زال قفل القلب ياديب مفهوق
قيل من اكنان الصناديق منسوق
ومن قبل ما يذرع لنا الخام مذلوق
والعبد عند اعماله إلى رقت فوق
نابي السنام امورد الزور نقنوق
مثل الظليم اللي عن الدحو مصفوق
حزة صلاة العصر تلفي لنا سوق
من مدلهم تالي الليل مسيق
باركانها توحى كما شوشة السوق
دار عذية مرتعه مرتع النوق
يردون دون أوطانهم كل مذلوق
ومحارب لذة شرابه مع الذوق

من ولب غوش مروية كل ذلاق
كسابه الانفال إلى ما الدهر راق
وقل للذي ينشد عن الحال مشتاق
عدل كفيت ووقيت شرات الافاق
قل له ترا لي بندق رميها لاق
مأمونة يطرب لها كل تفاق
إلى ما ورد مشقاصه على الحوض بلحاق
بصنع الفرنج امثومن كنه الساق
ما شفت ما بين الشفاتين ينعاق
إن كان تبكي حب معسول الارياق
قلبي مع الدلال يجلب بالاسواق
الصاحب اللي قادها بي بالافراق
ياعد ولا يافي قادها بي بالافراق
لاقلت جاز القلب عن كثر براق
ابو ثمان بين اشافيه براق
والخد يوضي والعشاريق شراق
جتني بضيق الحجل وان لاح بالساق
ليته صفى المولع فيه مشتاق
الي عاد لا وصل القلب مفهاق
وصلاة ربي عد ماناض براق
وقال زيد الخوير^(١):

قال الذي من ضامره جاب ما راد
قلته ولاني من ورا القيل وفاد

كم واحد يدفن ولا فيه معلوق
وبذالة للزاد من غالي السوق
ومسائل عني نبا كل مخلوق
وكفأك والي العرش عن كل صغفوق
بالقلب واطفى بالحشا كل حاروق
مضمونة وارخصت به غالي السوق
واعنتت أبا بالعين واغضيت بالموق
يهوم هيج الدو إلى رف بسبوق
إلى انجال عن عيني دحن كل مدقوق
فالحال قابضها من الهم ساروق
عامين عند معزل الوسط ما سوق
عيا يسجيني من الذيل الفوق
يعطي ولا يافي بما قال منطوق
وامجدل باطراف الاصابع مفروق
جدد جروح بالمعاليق وشلوق
والراس سافات كسى حنيه الطوق
ليمن مشت تشكي خلاخيله الضوق
في ساعة اشرفت فيها على العوق
يارب خذ مني غرامه بلا فوق
على النبي المبعوث إلى كل مخلوق

كلام احلى من نظيم الجماني
من شن ابقلي وان هذابه لساني

(١) هذه القصيدة ذكرها صاحب الأزهار النادية ونسبها للخوير.

القليل عندي مثل جم إذا زاد
حنا الذي نلوي المصاريح وانكاد
لو كان شربي در خلفات الازواد
لو سفح السمن العرابي على الزاد
وبالنفس من كثر الهواجيس لهاد
على الذي نهديه بالصدر قعاد
فمن جنباه عفت مجلى الاعضاد
واحسرتي حزنه تجدد لي او كاد
قصر نصيبي يوم طلعات الارشاد
ابو ثمان كالقحاوي بالابراد
عندل عنود اخشوف ترتع بالافواد
خوفه ياطالع طلعة الشمس صياد
يا قبر ماتنباج عن غض الانهاد
وللخوير من الشعر الغزلي قصيدتان، وهما من جيد الشعر، قيل إنه نظم

الأولى وهو في الحجاز، وهي القصيدة التالية:

يا راكبين اكوار هجن عرامس
هجن من المسرا دقاق كوانس
لا شم اثرهن بالخلا الذيب يانس
هجن يشادن للمحال الامارس
ولا فيشذن النعام المكانس
أذوب ذوب اللي قلته المحامس
ابكي عصور قد مضت لي دوارس
يا عقل كني تالي الليل حارس
يا عقل يا حامي اركاب خوانس

أما الثانية فهي التي تقدم بعض من أبياتها وتكملتها هي:

لو اعلا من علله يابن حماد
لو ابعيني لو تمنيت مافاد
ما هي من اللي قوطرن يم فهاد
ولا هي من اللي حطت المسك وازباد
ريحه طفل كافورة عند كداد
يا عين لو صحتي ونحتي بالجهاد
يا رب تجعلني إلى جيت وفاد
عليت ياللي بالحشا طق الاوتاد
نزّه عن الانسان ما جاء نقاد
لاهي بنجد ولا مع اللي عنه غاد
او من زها اللفاف بديار الاكراد
للشام لاصطمبول للهند لهناد
ما قط يخبر زين مزموم الانهاد
تمت وصلى الله على السيد القاد

وحدث فهد بن عبدالعزيز الخوير - رحمه الله^(١) - فقال: جمع ابن رشيد جيشاً في حائل لغزو الجوف، فلما أتم الجمع نظر فاستشار من حوله فقال له المشعلي - وهو من خاصته - : إن من جمعت لا يصلحون للغزو. وليسوا بأهل حرب والرأي أن تستعين بأهل قفار، فأخذ ابن الرشيد برأي المشعلي، وأرسل إلى دخيل الخوير، وهو كبير تميم، وأمير قفار، في بداية عهد الإمارة الرشيدية، فظهر في ذلك اليوم «الفين مردوفة» من قفار وقال دخيل الخوير قبل الرحيل: من قفار وحايل ظهرنا واعتلينا ظهور النجايب

(١) قال ابن صقيه: أمير قفار في هذا العهد (١٤٠٠هـ) عبدالعزيز بن عبدالعزيز بن راشد الخوير وهو رجل ذو ديانة وريانة، وحسن خلق وصراحة كثر الله من أمثاله، وأخوه فهد بن عبدالعزيز الخوير، رجل خشن يذكر كبرك بخسونة بني تميم القدامى، والأخوان الكريمان من أهل الهيئة والوقار وأبناؤهما يحذون حذوهما في مكارم الأخلاق، ابن صقيه: بنو تميم في بلاد الجبلين، ص ٥٩.



جانب من قصر الخوير التميمي بقفار

وذلك في قصيدة مشهورة معروفة، ولما طال مكث الجيش في محاصرة الجوف كان الناس يذكرون بلادهم في حائل بالأشعار.

وكان ممن اشتهر شعره أثناء الحصار دخيل الخوير في قصيدة نسبت للخشيم خطأ. قال فهد الخوير: أصبح الناس ذات يوم وهم بالجوف فقالوا من قال شعراً البارحة، فقال دخيل الخوير: أنا قلت:

لا ضاق صدري قمت اسوي من الكيف فنجال بن ما يغيب سريبه
قال فهد الخوير: إن هذه القصيدة لدخيل الخوير وقد ذكر فيه أملاكه في شرق قفار، على ضفة الوادي. والذين نسبوها للخشيم لم يفتنوا إلى أن ملك الخشيم في غربي قفار، لا في شرقها، ومضى فهد الخوير، يقول: إن هذه القصيدة انتشرت في حائل وسمعتها زيد الخوير وكان ممن لم يحضر غزوة الجوف، فخشي أن يكون فيها تعريضاً بتخلفه عن الغزو فنظم قصيدته المشهورة قصيدة القهوة التي سبق ذكرها فاشتهرت قصيدة زيد وعلا صيتها وعرفها الناس في كل مكان وغطت شهرتها على قصيدة ابن عمه دخيل أمير قفار.

ولدخيل الخوير قصائد أخرى روى علي بن ناصر اللحيان منها:

نصيحة ياهل القلوب النصاحي	يا تايهين الرأي خوذوا نصيحة
حطوا ثلاث يجذبن القراحي	ثلاث من غير العقايب مريحة
تلقي الودية من شخيل البطاحي	قناه فوق العصب مثل البطيحة
القلب من كثر الهموم استراحي	والبن يقعد داخ الراس ربحه

أما هذا الذي يرويه فهد الخوير عن غزو الجوف فهو ينسجم مع ما ذكره «فالين الفنلندي» الذي زار حائل في عام ١٨٤٥ هـ وقال: إن ابن رشيد يدين لتميم بجميع انتصاراته على جيرانه، وأنه إذا قرر غزوة ما دعا أهل القرى فرداً فرداً فيلبون النداء عديدين، وهم يؤلفون القوة الأساسية في الجيش، وطول الحملة يقدمون المؤن مما يملكون، وهم أشجع وأكثر مهارة في استخدام السلاح، وبعدهم يدعى البدو، الذين يكونون احتياطيين، لا يعتمد عليهم في المعارك إلا قليلاً.

(١) فالين: صور من شمالي جزيرة العرب.

ويلاحظ أن أشعار آل رشيد كثيراً ما أشادت بمن وصفهم فالين بالقوة
الأساسية بالجيش قال عبيد بن رشيد:
حضر الجبل والبدو ناتي صليبين يتلنا جمالات سود الجدايل
وقال حمود العبيد:
جنبنا قفار وحایل سايرين وهو كان بين المطرقة والسندانه

(ب) ابن ماضي والملحمة القفارية

تعد القفارية من درر الشعر النبطي، وهي قصيدة تربو على التسعين بيتاً
نظمها عبدالعزيز بن جاسر بن ماضي في عام ١٢٣٥هـ، والقفارية تنحو منحى
الشعر الفصيح في ألفاظها، ومعانيها، جيدة السبك، مؤثرة، متدفقة، غزيرة بالمفردات
اللغوية المستعملة في نجد في تلك الفترة من تاريخ شبه الجزيرة العربية.
أما صاحبها فقد ورد عنه في تاريخ آل ماضي أنه كان جريئاً شجاعاً رئيساً
مطاعاً في عشيرته، وله معرفة فائقة في الحساب، ومطالع النجوم. آية في معرفة
أنساب العرب وله كتاب خاص بأنساب أهل نجد لكنه مفقود، وقصائده تنحصر
في الحماسة، وشكوى الزمان، وتقلبات الدهر خاصة وقد عايش حوادث مؤسفة
من الفتن، والحروب نظم من أجلها ثلاث مطولات شعرية من جيد قصائده
تنضح بالشكوى والفخر، وقد عاصر عبدالعزيز بن ماضي فترة حكم الإمام تركي
بن عبدالله آل سعود، وله في الإمام تركي قصيدة طويلة. أما قصائده الثلاث فقد
وسمت الأولى منها باسم القفارية تمييزاً لها عن الآخرين اللتين بعث الأولى
منهما إلى آل بوسعيد في عُمان وخص به عبدالله الذي هو كما قال:
متسلسل في الأصل عمرو ومنذر أصهار وأنساب رفاع الرتايب
وبعث بالثانية إلى أهل الحوطة. وقد تمنى عبدالعزيز في القفارية سحابة
لقفار من هتون المزن تروي (السلف) في أجأ إلى (الضبط العالي) إلى (الهضبة
السفلى) جنوب حائل لتنعم دار عمرو النداء موطن أجداده بالخصب، وتخضر
مراع ذويه من آل حماد، وآل حمران، وأبناء عيادة، والمفيد، الذين أطل في

تعداد مآثرهم ووقف جانباً من قصيدته على الافتخار بصلابتهم . بعد أن سارت مطيته وهي (عيدية) من (التيه) (وجنا) من (القود الهجان) كأنها النعامة، وراكبها صميدع يُعَرِّب بها إلى أرض الجبل حتى تقف به على أعلى قفار حيث الأهل والصحاب . يقول عبدالعزيز :

لنا حل من ضيم الليالي وزورها	بالأوطان حالات وزورها
يحل لنا من ضيم الاتعاس والنيا	ماحل بأسلاف مضوا في عصورها
من النقض والابرام حتى تتابعت	جل الحوادث مورداً غرورها
وضاقت مناهج حيلتي وأضرم الحشا	من الوجد نيران سكير سعورها
حيث اتضح ميدان الأيام واعتدى	جند تعامى وردها عن صدورها
وغابت شمس الحي منا وغربت	حقوق الاعادي بينها فجورها
واغتالت الأقدار عزمي وهمتي	كما اغتال حبال سماوي طيورها
فلو كنت مطلوب وللشار طالب	نطلب أن افراجها في حضورها
ظنيت ان يبعث لنا الله ناصر	والاضداد يجعل كيدها في نحورها
وياذن لنا بالعز بأطراف ديرة	من ورث جدان ارفاع قدرورها
عسى وقفت فيها وهي غاية المنى	وتحظى بحلولها ليالي سرورها
ارسل من أولاد المنيعي رفاقه	أدلو عليها قبل ينضاح نورها
مناعير الورى ذرا روس لابه	تميمة من هم حماها وسورها
على رأي من منهم ولو شمر العدى	عن ساق حرب زارها في قصورها
أبو ناصر الامي إلى كل طولة	بعزم قطع عملت الاعداء شرورها
يزود العدا بمرفف الحد والقنا	من الضد يعطي كل عين ذورها
واخلاف ذا ياراكب عيدهيه	تبيهه تكسر مصاليب كورها
وجنا من القود الهجان لكنها	ربد تخافق ريلها مع نشورها
لكنها غب السرى في مسيرها	ساجية بالما ولام دبورها
تكملت المرباع والصيف بعد ما	حازت مطافيل المها في قفورها
مغفلة حتى ذوى العود بالثرى	إلى حيث عدا عن ثورها

يدني لها حرز الضمير سميع
دليل عيرات وكم من تنوفه
مدله مواليه وفر إذا اعتدى
حيث اعتلى في كورها ثم سلفت
وقل هيه ياراعي الذي زاد جريها
احفظ جناحن الجدیل كما أنها
وعج رأسها من قبل تمسي تنوفه
بالله عج لي يافتي الجود ساعة
أوصيك واهدى سايارت شوارد
من آثار تيجان المعالي دوارس
منظومة ياقوت ودر وعسجد
بصفح السجل من اليراع زواهر
أوصيك لا تنسى جوابي ورسلتي
واضرب علة صعبات الاشيا وكن لها
وامسك عنان العزم بالكف يا فتى
اركب ولا تلوى إلى صارخ الندى
من الحزم ثورها إلى هوم الدجى
واجعل مغيب الشمس ان عاقلك الردى
وغب اربع تبهش بقرب الرفاقة
عسى الحيا بالوسم يعتاد دارهم
من الضبط العالي إلى السلف حدها
وعسى الحيا بالصفيف دايم يعودها
دار المروين القنا نعمة الملا
لهم طایل نايف على شمشخ الذرى
وكم عانى جانا شد عن بيوتهم

من السد ما يعطي النيا لحبورها
من أرض العد مادابها من سبورها
عبث إلى ركب العوادي ظهورها
يعجبك عن بعض المساحي نفورها
من الهجن لا تثق بها في وعورها
تجفل إلى بدا لها ما يذورها
متطامس في غبة اللال فورها
تأخذ بها افكاري إلى حول دورها
غزو المعاني غمته في بحورها
الذ وأروى في ثقافي مرورها
وجواهر يوضي بالأطلال نورها
إذا ما اشتغل ديوانها في سطورها
ولا تتصل بجبال خب جرورها
بصدم لشدات المعاني صبورها
فحتف المنايا زار من لا يزورها
من خارد الفيحا وعمران دورها
إذا بالعشي قابل سهيل عبورها
بصفح من اليسرى يحاذي نورها
تميمية دم المعادي ظهورها
بنو حقوق من الماء نشورها
إلى الهضبة السفلى تدارج نهورها
وبها نحيا ما قد نحا من نهورها
نحاز لمن جا طامع في عشورها
ونوايل ما من فيها بذورها
إذا الغير ما يقبي ليالي عسورها

فان عاد منيوب وفي القلب واهس
جلو عنه عظمت من الضيم جودة
وكم عايل جا طامع في شوامهم
ردوه في حفظه من الغيظ وانثنى
إذا اصبحت في بلدان كسابة الثنا
فاقرهم التسليم منى وعمهم
واختص لي مجنى حميد ومرشد
وعرج على الحمران وابنا عيادة
سلام مشتاق إلى حضرة الندى
سلام ابهج من زلال على الصفا
وقل يابني عمي ولايا رفاقه
بالسمت ما يغضي على النقص ماجد
غدا المال قطع في مبادي خيانة
أجل عنك ما ننسى من الضد ما جرى
من غلطة سفساف حي تجاذبوا
جيران سو من قدر نشو
غدو لنا عن ديرة كان قبل ذا
وشعلنا بها نار الحروب طالما
وصبرنا على الشدات فيها كما انها
ترى مثلها اللابق بها ياذوي الندى
حمى الدار منا هبة الجار وان مضى
كما دالت الهندي إذا قال وانتفى
ورفاقه ياطال مازاروا الندى
كم صادموا في دارهم من قبيلة
بعزم أقطع من شبا الحد باللقا

من الهم دالوب بكف بدورها
عر القلب بأنياب حديد ظفورها
من البدو وسكان القرايا حضورها
بلا عز إلا وبه من الذل مورها
وطالعت في نادي تميم صقورها
بترحية تضفي عليهم خدورها
اولاد حماد لمثلي ذخورها
وابنا مفيد عمهم في حضورها
من أولاد عمرو وفي تميم قعورها
والا حليب من مباكير خورها
أرى الضيم مقرن بليث هصورها
وعن المجد ما تغضي عوادي نمورها
والأبطال غدر وليعوها دثورها
مدى الدهر مذكور إلى نفخ صورها
ردي الغر مالاذوا بشيء من عذورها
يميل عن الماقادي عن الحق زورها
منازل لنا فيما مضى من عصورها
تصدى لنا فيها خيون غدورها
حمانا على طيب الليالي وجورها
كما كاعب في بيت زوج غيورها
على شوفي ماسال عنها حذورها
من الرأي فصال إلى جا بشورها
بفتيان تحمي صفوها عن كدورها
وكم كسروا عدو القنا في صدورها
عناف عن اللي بالمشاجا يعورها

مزاريع ما دانوا لحي ولا دانوا
مع لابة هداثها ضيغمية
كم أوقدوا في دارهم من سعيرة
جند من أولاد المنيعي لكنهم
كم أنصفوا بأرض العدى طالب الندى
ويا ما رموا لأضدادهم من رمية
ويا ما جلا عنا من الهم فعلهم
صبوا لنا في كل فن حمية
وكم أغضبوا في حقهم طالب الرضا
ترى كل من لي من صديق إذا له
فهو شایل عني من الضيم جانب
معاد لي صبر بالاولاد غيرهم
أولاد عمرو وكل من كان دونهم
وصلوا على خير البرايا محمد
نعوته بها توراة موسى بشارة
صلى عليه الرب ماذر شارق
وما همى وبل الساء وأظلم الدجى
ومن الشعراء الذين ذكروا قفاراً الشيخ أحمد بن مشرف المالكي الأحسائي^(١)

في مدحه للإمام فيصل بن تركي قال في قصيدة طويلة:
تميمية حلت بتيماء ودونها من الجبل الطائي قفار فحائله
ووصف أحد شعراء حائل النبطيين وهو سعيّد بن فهيد بن دوخي الهمزاني
قفار فقال:

(١) قال ابن عيسى في حوادث سند ١٢٨٥: وفيها توفي الشيخ العالم العلامة القدوة الفهامة أحمد بن علي بن حسين بن مشرف المالكي الأحسائي، وهو من المشاركة من الوهبة من تميم - رحمه الله تعالى - كان إماماً عالماً فاضلاً سلفياً حسن العقيدة أديباً شاعراً بارعاً ماهراً، وله ديوان شعر مشهور.

ماساقت الخاوة ولا عقد الإيجار عزيزة وسط البلاد محشومة
وقال مهنتاً بزيارة معالي الشيخ إبراهيم العنقري المستشار الخاص لخدام
الحرمين الشريفين لحائل عام ١٤٠٦ هـ: (١)

من تميم العرب قادات النشير لا بطل بالمعركة عذالها
كالجمال اللي تحاشا للهدير دافعت باموالها ورجالها
في نهر (جيحون) وبلاد (أردشير) وفي فتوح السند روس أبطالها
كم تغنى بمجدهم قيس وجريير والفرزدق يفتخر بافعالها
وعدد جلعود بن لافي الهمزاني أهل المضافات في بلاد الجبلين في قصيدة
نبطية متباهياً بمناقب المشاهير من الكرماء وخلالهم الحميدة وقال:

راعي قفار اللي حريص بواجبه في كل درب بالوفاء محمود
وقال حسن بن طليحان الشمري من قصيدة له في بني تميم:
وجدودهم يوم الصحابة لهم شان بالدين والفرسه ورسم الحضارة
بني تميم وشمر فعلهم بان من بالقري وساكنين مداره
وقال سعدون العواجي من شيوخ عنزة بعد وقعة ظفروه:

ياراكب من عندنا فوق نساس ومعرّب من ساس هجن أصايل
مامد روّاي ولامد عساس يشدى ظليم منحدر مع خمايل
لاجيتهم في ربة الشيخ جلاس قل بالجبل جتنا قفار وحايل
وقال عقاب العواجي:

عشة طوية يالتبينني رعيناه غصب على دولة قفار وحايل
ويضاء نثايل بالمعارك كسبناه بالسيف ما هي للجدود الاوايل

وقال قاسم بن ثاني التميمي، أمير قطر:

حاتم على كل السلاطين واقبلت تجد السرى تبغي قفار وحايل

(١) كان ذلك عندما كان معاليه وزيراً للشؤون البلدية والقروية.

وقال عبيد بن رشيد في قصيدة رد عليها ابن خليفة التميمي من أهل الشنانة
بقرب الرس بالقصيم:

جونا ييونا ديارنا والبساتين يغنون منزلهم قفارٍ وحایل
حضر الجبل والبدو ناتي صليبين يتلنا جمالات سود الجدایل

(ج) ريحان مولى المفيد

ومن قديم الشعر النبطي في قفار ما روي لريحان مولى المفيد حيث يقول:
يقول ريحان الذي ولّف البنا والامثال ياعمي خطايٍ وصايب
تقول خيل ولا بالخيل مطمع كم قوطرت خيل بخيل جنايب
ذبحنا منكم طلعة الشمس عشرة مع عشرة ما بين شبٍ وشايب
لا الحشر ما تمحى مدافق دماكم لو جاء من وبل الثريا سحايب
وكان ريحان شجاعاً فاتكاً، قتله المفيد بعد أن دبر أحد مناوئهم من آل
عبادة حيلة جعلتهم يشكون في ولائه لهم^(١).

ومن المعارضات في الشعر النبطي قصيدة لابن صقيه وأخرى لجلعود بن
لافي الشمري، وقد أشار جلعود إلى قفار وبعض البلدان المتفرعة عنها في
قصيدته فقال:

من روس تميم وتميم أهل النسب من عهد ابونا آدم تجدد رسومها
وقال:

لكن المشهور السيف والرمح والقنا وخيل مع البيدا هميم رهومها
وقال:

وبين جبلين أجأ وسلمى ونفدها بني تميم الطيب سابع سجومها
بـ (قفار) و(السبعان) وأهل (السليمي) وأهل (المهاش) ومن مشى في حزمها
ومن سار من حایل إلى ديرة الحسا^(٢) يرى قراكم تتصف في نعومها

(١) وريحان في هذه القصيدة يرد على حُمير بن عبادة حينما قال حُمير:

لي بندق من دار غرب شريته تر ضربها يوم الملاقات صايب

(٢) يقصد الأحساء.

(د) محمد بن عبدالله آل الشيخ مبارك التميمي

وللشيخ الشاعر محمد بن عبدالله بن عبداللطيف آل مبارك^(١) قصيدة فصيحة في قفار، وآل مبارك أسرة مشهورة في المنطقة الشرقية، وسبقت الإشارة إلى تاريخ انتقالهم من قفار إلى وسط نجد ثم إلى الأحساء، برواية الشيخ يوسف بن راشد آل مبارك التي اثبتها الشيخ حمد الجاسر في الجمهرة، يقول محمد بن عبدالله بن عبداللطيف آل مبارك:

قرأت شعراً لغازي مفعماً أرجا	يحكي أحاسيس عن سلمى وشم أجا ^(٢)
يروى لنا عن رباها عن مناظرها	عن صيدها الغر عن مجد لهم وحجا
عن مائها العذب سلسالا يرق صفا	سماح اقداحه من ذاقه لهجا
في حائل ملتقى اعطاه منطلقا	كهمة الوصل ذا غاد وذا ولجا
وللتجارة في مغناه مكتسب	وللزراعة فيه مورد لهجا
وفي سهول سلمى أجا ترى أسرا	للدين قد نذروا الأرواح والمهجا
فما قفار سوى أنموذج لبني	عمرو تميم نما هم للعدو وجا
يا مرحبا بك يا غازي ما نطقت	به قريحتك يحكي لنا السرجا
توجتموا حائلاً من مجدكم درراً	تضيء كالكوكب الدرّي فوق دجى
اسعدتموا حائلاً في وضعكم حجراً	يرسي الأساس لنور الكهربا انبلجا ^(٣)

(هـ) بشير بن نصار التميمي

اشتهر آل حمران الذين خرجوا من قفار بأعداد كبيرة إلى بلدان رمان^(٤) وغيرها بعدد من الشعراء النابهين، ومن هؤلاء بشير بن نصار التميمي، ومن قصائده هذه القصيدة التي قالها بمناسبة غزوة سار بها أهل حائل من تميم وشمير مع محمد بن رشيد إلى عاليه نجد وكان ابن نصار في هذه الغزوة فقال:

(١) يعمل الشيخ محمد في المكتبة العامة بالأحساء.

(٢) الدكتور غازي بن عبدالرحمن القصيبي.

(٣) تم وضع حجر الأساس لكهرباء منطقة حائل في ٢٦/٢/١٤٠٢هـ.

(٤) ذكر الأستاذ عبدالرحمن بن فهد الربيعان أن الحمران أهل قفار ينتمي إليهم معظم بني تميم في

حائل. مجلة العرب، ج٣، س ١٩، ١٤٠٤هـ.

الحمد للي يعلم الخافياتي
 واشوف عيرات النضا شايشاتي
 والشيخ نادى بالرمك والولاتي
 ومن كل يم جن لهم وارداتي
 واستجنين مثل المها وارداتي
 وخمن بنا ظلم وهن مقفياتي
 طار العقاب تشقلمن بالتفاتي
 وصحنا على ابن حميد هرج ثباتي
 وهذا جزى اللي ما صخى بالزكاتي
 ورجنا وربعنا بزين الفلاتي
 وتشاملن لديار اهلن متكاتفاتي
 صفق بوفق جيب طرش الحفاتي
 وابن نصار شاعر متمكن سجل بقصائده أخبار الغزوات التي حدثت في
 وقته، والتي كان هو شاهدها، وقصيدته السابقة برواية سليمان بن دحيم الشبرمي .

(و) حسن بن طليحان

وللشاعر حسن بن طليحان الشبرمي قصيدة يذكر فيها أهل المضافات في
 قفار والبلدان المتفرعة عنها يقول حسن :

جينا مسابير على ابن لحيدان
 عمار يادار بها ابن لحيدان
 بني تميم بالفضايل لهم شان
 رمز الكرم والجود ياوي عنوان
 ابن لحيدان على الطيب شفقان
 له مجلس دايم من الغوش مليان
 والمدح بالطيب دليل وبرهان
 جينا مسابير على ابن لحيدان
 ما كر صقور من نوادر حراره
 مكارم الاخلاق دايم شعاره
 مفاخر الأجواد عز ووقاره
 عثير ضيفه والمسير وجاره
 شباب نار يعطي البن كاره
 واللي تجر بالطيب نعم التجارة

ما همته دنياه زايد ونقصان
وراعي قفار بالمككارم وعثمان
وراع القصر والشبرمي وابن عفنان
ومع الهذيلي والهيافا ابن حمدان
واخو شما الهريش ساس له اركان
وبني تميم عموم من غير حقران
ويا ما انفقوا من حب صنعاء وسيلان
وجدودهم يوم الصحابة لهم شان
واهل الجبل عموم حضر وبدوان
بني تميم وشمر طيبهم بان
أهل العصام أجا وسلمى وorman
واهل الصفاة ونعم ذريين الايمان
عسى الحيا ببلادهم كل الازمان
وصلوا على المختار بالسر واعلان

مقدم قروم ما يهاب الخسارة
منارة بالطيب نعم المنارة
لا سولفوا بالطيب نسمع خباره
ولا قالط من قوم الا خياره
زبن الضهيد اللي بحاله غياره
معادن بالطيب تاتي خباره
اللي بسفن الهند ياتي بهاره
بالدين والفرسة ورسم الحضارة
فازوا وحازوا طيبهم بالجداره
مشاعل توضى بليل ونهاره
أهل القرى واللي سكن في مداره
أهل البيوت اللي يشرف جواره
دار الصخا عساه تخضر دياره
وسلام ياللي تسمعون العبارة

(ز) مزنة التميمية

قال منديل الفهيد: وهذه قصيدة لبنت^(١) ابن سُلمي من أهل قفار تميمي مع
ابن عمها، وجاها الخبر أنه ميت بوباء عام معروف في الحج، وماتت هي بأسبابه
بعد أيام قليلة من زايد المحبة له فتقول:
عسى الحرم ربي من الوسم يسقيه
حيث ان زمل صويحيي بركت فيه
امن اول ما هو ببالي ولا اطريه
ولها أيضا:

علم لفا عن مهجة الروح شنّاع

نقض علي اللي بقا من جروحي

(١) مزنة بنت فراج بن سعد بن فواز بن سُلمي.

حللت يا زين النبا حللو الاطباع حل يخفف عنك يا سيد روحي
لو هو من الحيين يشرى وينباع لا اسوق به مالي وافادي بروحي
مير انهم خلوه في صحصح القعاق وحطو على قبره رسوم تلوحي^(١)
وقال ابن رداًس: «وهذه شاعرة من البادية اسمها (بنت فراج بن سلمى) من
سكان قرية قفار» وذكر الخلاف بين أعمامها وأخوالها، وأورد لها القصيدة التالية:

الماء غدوا به عن عمامي خوالي يالعن ابوكم اذبحوهم ولو بوق
الماء غدوا به متعبين المحالي مثل العساكر بالضبط لجته فوق
وش عندكم تسوون ياهل العوالي تزهّد بكم لباسه الخصر والطوق
ان كان ما منكم رجال مدالي سباع تهاب وتأخذ الطاق مطبوق
عسى نساكم ما تجيب العيالي وعسى علکم جيب الاحباب مشقوق^(٢)

وآل سلمى من أشهر البطون التميمية في قفار، انتقلوا منها إلى القصيم وفتحوا
إلى أسر عديدة أشهرها: الفريح، والسلامة، والمحمود، والعبيد، ومن العبيد
هؤلاء معالي الدكتور عبدالله بن صالح العبيد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي،
وآل سلمى من بني العنبر من بني عمرو من تميم. ويرى الدكتور عبدالعزيز الفريح
وهو من هؤلاء أنّ أهل قفار، ومن انخزل منهم جميعهم عنبريون^(٣).

(ح) الشيخ أحمد بن مشرف التميمي

وممن ذكر «قفار» في شعره الشيخ أحمد بن مشرف الوهبي التميمي المتوفى
عام ١٢٨٥هـ، وهو أديب شاعر مجود فقيه محدث سلفي مالكي، من أهل الإحساء.
ذكر قفاراً في قصيدة يرثي بها الإمام فيصل بن تركي آل سعود المتوفى عام

(١) منديل الفهيد: من آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية، ص ٩٩.

(٢) ابن رداًس: شاعرات من البادية، ص ٢٤٤، وعند رواة الشعر النبطي أن اسم الشاعرة مزنة بنت
فراج بن سلمى التميمي، وأخوالها آل عيادة من النواصر من تميم.

(٣) وبقي من آل سلمى في منطقة حائل أسرة تقيم في «قصر العشروات» جنوب قفار، ومن أسرة
آل محمود الفريق صالح محمود - يرحمه الله - ومن آل فريح الشيخ عبدالمحسن بن محمد
الفريح المتوفى في عام ١٣٧٩هـ.

١٢٨٣هـ يقول في قصيدته:

أقبل عذر الصب أم أنت عاذله
غزال حوى كل المحاسن والبهها
فتاة كأن الشمس غرة وجهها
نأت فنأى عن صبهها كل عاذل
فمن لعذول لا يزال بجهد
وما أنا إلا كالفتى في اعتلاله
وقد أصبحت (سلمى) بأبعد شقة
(تميمة) حلت بتيماء ودونها
فعن مثلها فائن العنان ميمماً
إله السما والأرض فأسأله راغباً
فنشكو إلى الله الزمان الذي استوى
به اندرست كل العلوم وأقفرت
وقائله أقصر فما بعد فيصل
اترغب في نظم القريض وجسمه
فقلت: دعيني أن يكن مات فيصل
فقد ورث المجد المؤثل والندى
أبو النجم عبدالله حامي حمى الهدى

بذكرى حبيب عنك شطت منازل
يغازلني بعد العشا وأغازله
فأتى يبين البدر حين تقابله
فياليتها تدنو وتدنو عواذله
يجادلني في حبها واجادله
فلا اثر تبديه فيه عواذله
يكل بها كم المطي وهازله
من الجبل الطائي (قفار) وحائله
مليكا عظيماً لم يخب قط سائله
تنل كل ما ترجو وما أنت آمله
لدى أهله قس الكلام وباقله
فانكر فضل العلم بالعلم جاهله
لذي أدب حظ فماذا تجادله
موارى بقبر غيبته جنادله
فخالقه حي وما مات نائله
لنحل زكت اخلاقه وشمائله
بغرته بشر الندى مخائله

قال حسين حسن: كان أحمد بن مشرف عالماً فقيهاً ومحدثاً أديباً وشاعراً موهوباً راسخاً في الأدب، وقد بلغ درجة الأستاذية مدرساً بالإحساء فأفاد وعلم الناس ونظم رسالة في الفقه نظماً طريفاً واختصر صحيح الإمام مسلم اختصاراً جميلاً، وكان بينه وبين الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ محمد بن عبدالوهاب صحبة أكيدة ورسائل علمية مفيدة فيها كثير من الحكم واللطائف وأشعار الإعجاب والعتاب ضمنها ديوانه المشهور.

وله في الإمام فيصل قصيدة مشهورة نظمها في عام ١٢٧٨هـ وفيها:

أأسلو وقلبي للغرام غريم
ولي مقلة لا يقطع العذل دمعها
وجسمي كطرف الغانيات سقيم
وقلب إذا جن الدجاء يهيم
ومنها:

فلما علا رأسي البياض تباعدت
فأصبحت مأسور الفؤاد بحبها
وذو الشيب عند الغانيات مشوم
وما ذاك من كيد النساء عظيم
وتهجر شيخاً والداه تميم
ولي عهد ود بالإمام قديم
الم تدر أن المقرنين شيعتي
إمام حوى كل المكارم والعلا
له نسب في وائل بن ربيعة
تفرع من صيد الملوك الذين هم
يقصد بالمقرنين آل سعود نسبة إلى جدهم مقرن.

وابن مشرف من الذين كانت لهم مأخذ على عثمان بن منصور الناصري
التميمي قاضي قفار في عهد الإمام فيصل، ويأخذ ابن مشرف على ابن منصور
اتصاله بدادود بن جرجيس. وكان مما قاله ابن مشرف:

واقذف جنود بن جرجيس وشيعته
بكل هجو بمنظوم ومأثور
وأول القصيدة:

يا ظبية البان، بل يا ظبية الدور
الصبح من وجهك الصبيح الأسنى بدا
والشعر داج بظلماء وديجور
قد هام ما بين ممدود ومقصور
مددت للصب طرفاً قاصراً فلذا
لا عيب فيها سوى إخلاف موعدها
أو أنها لم تجد يوماً بميسور
والخلف للوعد معدود من الزور
كم واعدت بمزار غير موفية

وقد أشار إلى طرف من الردود على الشيخ عثمان بن منصور الشيخ الهندي
في كتابه «زهر الخمائل في علماء حائل».

(ط) حُمَيْر بن عيادة التميمي

شَيْد حُمَيْر بن عيادة التميمي - أمير قفار - قصراً كبيراً في غربي قفار مقرباً من جبل أجا (لا يزال القصر قائماً) وحين مر به أحد المسافرين قال له: سلم على عبدالله بن رشيد بحائل وقل له: (نشرب من جوابينا وناكل من قريننا ونلطم وجه اللي بظلم يجينا) فلما وصلت هذه الرسالة إلى عبدالله بن رشيد قال^(١):

ياسعید اركب فوق حمرا معفات	كنك غرابٍ نازل في ظهرها
سرّه اليا ماتجي دار التميمات	نعم الحمايل عند ميله دهرها
سقنا تميم عن محل الخشيمات	سوق الظوامي عن زلالي نهرها
سقنا لجفيفا وللمستجدات	وفرافره له من يقلع شجرها
وبخشوم سلمى للمفيدات مشهات	كل يحدر مرزقه من وعرها

وحين سمع حُمَيْر بن عيادة التميمي هذه القصيدة رد عليها بقوله:

يا راكبٍ من فوق حمرا سبنتات	ما ضرب أبوه كود يعرف مهرها
هيهات يا جويلان هيهات هيهات	هيهات وين سيوفكم وين أثرها
لو أن دارك للتميمات مشهات	قزوك عنها يم حامي صقرها
فَنَك تحط براس اعيرف منارات	وتشرب قراح من زلالي نهرها
ما غير تشرب من هماج الحميضات	وأوذيت نطار الخضر في نطرها

والسبنتات من أسماء السبع، وأبيات هاتين القصيدتين غير مرتبة وفيهما نقص كبير، والقري: التين ووفرة هي بلدة السليمي، وهي فرافرتان قديماً، وهيهات فصيحة وهي لغة بني تميم، وقريش وأهل الحجاز يقولون أيهاات وقد ورد في القرآن الكريم هيهات بلغة تميم قال تعالى ﴿هيهات هيهات لما توعدون﴾ {المؤمنون: آية ٣٦}، ذكر ذلك السيوطي في المزهري، وزعم مختار سيدي الغوث في كتابه (لهجة قريش) أن السيوطي عكس سهواً وأن أيهاات هي لغة تميم بدليل قول جرير:

فأيهاات أيهاات العقيق وأهله وأيهاات وصل بالعقيق نساءله

(١) روى لي مناسبة هاتين القصيدتين فهد الخوير - رحمه الله - وقال الدكتور رشيد العمرو إن ابن عيادة يقول: ونذبح اللي يجينا.

والمقصود بداره السويقله شمال مدينة حائل الحالية، ومياها الجوفية تأتيها من قفار، وتقدم فيما سبق تحليل لهاتين القصيدتين.

وأعيرف جبل صغير في وسط حائل، والحميضات بطن من تميم في قفار، أما ذكر الخشيمات في أبيات عبدالله فلعله من النحل إذ سكناهم لقفار متأخرة عن عهده، كما أن البلدان التي يذكرها عبدالله في قصيدته مسكونة ببني تميم قبل زمن القصيدة.

ومن شعر حمير بن عيادة، القصيدة التالية، وهي من قصائد المعارضات:

اجلितوا العربان عن كل منزل	ولا سد عنكم يا حمد در خوره
واويل من عصر تلودون بيته	أرذال قوم قاصرات شبوره
إن غاب عنكم مير التميمات ليله	بـ (السلف) جيتوا مثل ها في نسوره
بيح كنين القلب...	والثالث جذاب الدما من نحوره

(ي) جلعود بن لافي الهمزاني

لجلعود بن لافي قصيدة بعنوان «تقاسموا هذا تميم وشم». عدد بها أهل المضافات الشهيرة بحائل، وذكر مجموعة من بيوت الكرم في قفار، والبلدان المتفرعة منها والقصيدة هي:

سميت باسم الواحد الرزاق الذي	له كل خلقه خاضعين سجود
ومن بعد هذا أبداً بنظم المثايل	أبيات شعر قالها جلعود
والجود والمعروف والمدح والثناء	في جو رزاق الملا موجود
وحشمة خوي الدرب والجار عندنا	والضيف لا جانا ماهو مطرود
كلمة هلا بالضيف وأهلا ومرحباً	هي رمزنا هي غاية المقصود
حائل وأهلها منبع المدح والكرم	وحنا على نهج الكرام نجود
إلى قوله:	

راعي جفيفا يوم قصف المرازق	راعي صخا ما هو كما الجلمود
وابن لحيدان ان تنصاه ملتجي	يعطيه مما يثمر العرجود

وياكم زهّـب راعي القعود
يا جاء ملهود يشوف الفود
ياكم فرج كربة المضهود
بابه عن ضيوفه ماهو مردود
ياصار في بعض الأمور صدود
مقصورته تلفح عليها النود
وفيها أدلال ما ارمردن بسمود
في كل درب بالوفاء محمود
كم من مقل منه شاف الزود
ولكن هذه مشاركة مجهود
له نصف طيب ونصف للنفود
لاهانوا اكرام اللحي بالكود

قدام باب البيت دايم واقف
وراعي السليمي له فعول غرا
وراعي الجثامية كريم السجاي
ومنا ابن خربوش اللي له فعایل
يقول نعشي ضيفنا من نما الغيد
وزيد الخوير اللي إلى الآن باقيه
داره لمن زاره تزف البشارة
راعي قفار اللي حريص بواجبه
وزيد الخشيم ان جاء ضيفه حيّا
ولو ابي اعد أتعب ولا حصيت عدهم
سلمى ورماني وأجا مع سهالها
تقاسموا هذا تميم وشمر

(ك) الخشيم

الخشيم اسمه زيد، وهو معاصر لزيد الخوير التميمي، وللتفريق بينهما ربما
قيل للأخير، زيدان، ومن المرويات أنهما كانا في حملة حجاج حائل، في سنة
من السنين، وبعد الحج استعجلا بالعودة، بمن معهما من أهل قفار، فشق ذلك
على حجاج حائل، وقال قائلهم:

تر زيد وزيدان ما جزيوا بخير
ولما قال الخوير:

لي ديرة سمر الغرايب قبالة
قال الخشيم:

لي ديرة سمر الغرايب قبالة
بشرقي أجا يا حلو زمة حيوره
في قصيدتين طويلتين مشهورتين، على أن هناك من يرى أن كلتا القصيدتين
لآل الخوير، زيد وابن عمه دخيل، أمير قفار.

ورغم ما بين الخوير والخشيم من الألفة والوثام فقد تهاجيا وتلاحيا، ولما تغنى الخشيم بمحلته؛ الفرعة في قفار مفتخراً رد عليه الخوير بهجاء مقذع^(١). وسبقت الإشارة إلى رواية منديل الفهيد عن طلب الخشيم للإمام عبدالله الفيصل بقصيدة جيدة حين زار حائل حتى أعطاه (الفرعة)^(٢)، والقصيدة هي:

رجلي تسوج وشف بالي يقوده	الرجل ساجت مادري وش بلاها
طالبك تجبر خاطري من وجوده	وتجللن باتباع نفسي هواها
يا معطي سرده وجرده وقوده	خيل ترامى بالجراير حذاها
لي ميمر عيا لسانني يعوده	من كثر ما جيته ندور عطاها
نجد كما الصيوان وأنتم عموده	ما تستقيم إلا بشعلة عصاها

والخشيم شاعر جيد العبارة، كريم مضياف وهو من بني خالد.

(ل) ابن صقيه راعي قفار

ابن صقيه اسمه عبدالله بن صقيه التميمي، من حنظلة، اختلف مع أمير قفار، حُمير بن عيادة، ورحل عن بلدته وقال:

يا راكب من عندنا فوق عرماس	عملية قطع الفيافي منهاها
تلقي لآخو (عبطا) على هجعة الناس	واليا لفت للشيخ هو متهاها
من باعنا بالرخص بعناه بافلاس	بيعة هليب ميسن من رجاها
طول الجدار وقصرة الرجل نوماس	لا صار ما للرجل داع دعاها

وأخو عبطا هو حُمير بن عيادة، وابن صقيه هذا من أسرة الشاعر الكبير عبدالله بن علي بن صقيه التميمي المنتشرة في مدن حائل، وجبة، وسميراء، والعظيم بمنطقة حائل، وفي خارجها في بلدان متعددة^(٣).

(١) روى لي فهد بن عبدالعزيز الخوير - رحمه الله - طرفاً من نقائضهما.

(٢) يرى الدكتور رشيد العمرو أن سكنى الخشيم بالضبط في قفار كانت قبل عهد آل رشيد، وهذا يناقض ما أورده في الخبر الذي ذكره الشيخ أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري من أن الخشيم حصل على منحة من الإمام عبدالله الفيصل إبان إمرة طلال بن رشيد على حائل، وهي عبارة عن مبدع قليب.

(٣) ومن شعراء قفار ذندن الفهيم... وهو من ملاحظات الدكتور رشيد العمرو على مسودة الكتاب.

٢ - مشاهير أمراء قفار

تعاقب على إمارة قفار عدد من الأمراء من أشهرهم عقيل بن سلامة بن عيادة، وهو من أعلام الجبلين في زمنه، عاش في فترة لم يكن في حائل إمارة قوية ذات مركز حضاري مستقر، فكان عقيل بن عيادة ممن يتطلعون إلى تثبيت الأمن في حائل في ظل حكم منظم، وبلغ من شهرته في هذه النزعة أن محمد بن علي الذي أصبح أميراً لحائل كان يهدي إليه أبياتاً من الشعر تعبر عن مدى إعجابه بحكمته، وسداد رأيه، ونزوعه إلى أن يكون في حائل قيادة يطمئن الناس إليها وكان ذلك قبل وقعة العدو في عام ١٢٠٥ هـ التي انضوى بعدها أبناء حائل تحت مظلة الدولة السعودية الأولى^(١).

وينتمي عقيل بن سلامة إلى آل عيادة من النواصر، والنواصر كما يقول الأستاذ حمد الجاسر قبيلة تميمية تتفرع منها أسر كثيرة، ونقل الأستاذ حمد عن الشيخ عبدالله البسام أنهم: من ذرية عبّاد بن الحصين بن عباد وعباد هذا سُمي عبّادان في دولة بني تميم بالبصرة منهم آل عيادة وآل رحمة والرومي والحرمان، وباديتهم في بر فارس، ولهم عالية شط (كارون) في الأهواز ومنهم نواصر نجد الحميضات أهل المذنب وأهل قفار وتوابعهم^(٢)... وقال الشيخ البسام في ترجمة الشيخ عثمان بن منصور الناصري - قاضي قفار - قال المترجم له بالحرف الواحد: لما سافرت من البصرة عام ١٢٣٦ هـ مع شط كارون - دجيل قديماً - مع أناس في سفينة وجدت النواصر^(٣) نازلين على فلاح لهم بالأهواز فسألتهم من أي النواصر؟ فقالوا: نحن من آل عباد وآل رحمة وآل حرمان وآل بو

(١) وذكر الدكتور العثيمين أن محمد بن علي قد نُصب أميراً على حائل من قبل حجيلان بن حمد التميمي أمير القصيم، وذلك في تحقيق العثيمين لكتاب «كيف كان ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب».

(٢) حمد الجاسر: جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، ص ٨٤٧.

(٣) أخبار آل عيادة أهل قفار وعلاقتهم بآل عيادة في البصرة نقلته عن روايات الشيخ عثمان بن منصور وكتب الشيخ ابن زاحم والشيخ ابن بستم والشيخ حمد الجاسر، وقال الدكتور رشيد العمرو: إن آل عيادة في قفار هم غير آل عيادة في البصرة وسواها.

حسين والرومي^(١).

أما عبّاد بن الحصين فهو الفارس المشهور المقدام الذي كان يعدل في المعارك بألف رجل^(٢)، وقد ولي شرطة البصرة في أيام ابن الزبير وقبلها كان شهد فتح كابل - ببلاد الأفغان الآن - وهو من سجستان قديماً، وفي أخريات أيامه عاد إلى كابل وهو مفلوج وبها قتل عام ٨٥هـ^(٣).

ويُكنى عباد بأبي جهضم، وهو فارس بني تميم في عصره، وذكره الجاحظ في حديثه عن إحدى الوقائع وقال: إنه فارس الناس دون مدافع^(٤) ومن نسله «مسور الخيل» وهو المسور بن عمرو بن عباد الذي عناه الفرزدق بقوله:

وما انكشفت خيل يبابل تتقى ردى الموت إلا (مسور الخيل) واقف^(٥)
قال الجاحظ: اطنب مسور الخيل ذات يوم في وصف عتاب بن حَسْكة الحبطي التميمي فقال قائل: لقد كان عتاب قلعاً قال: وما يضره ذلك والفارس النجيد في كفه كالخرنق، ونقل الخولي عن ابن دريد: أن عتاباً كان أحد بني تميم بخراسان له ذكر وصيت^(٦).

وقد خلف عقيل بن سلامة على إمارة قفار ابن عمه حُمَيْر بن فريح بن عيادة المتقدم ذكره، ولم يُعرف في بني عمرو بهذا الاسم غير حُميري بن هلال المازني^(٧) صاحب خصومة «المرغاب»^(٨) مع عبدالله بن أبي بكرة في عصر بني أمية، وهو ابن هلال بن أحوز، وهلال قائد من الشجعان القساة، قال الزركلي:

(١) المرجع السابق، ص ٨٤٨.

(٢) حسين حسن: أعلام تميم، ص ٣٦٢، وترجم له فقال هو: عبّاد بن الحصين بن عمرو بن أوس بن سيف بن الحارث - الحبط - بن عمرو بن تميم.

(٣) المرجع السابق.

(٤) الجاحظ: العميان، ص ١٤.

(٥) ديوان الفرزدق.

(٦) الجاحظ، نفس المصدر، ص ١٧٣.

(٧) مازن والحارث (جد النواصر) من بني عمرو بن تميم.

(٨) المرغاب: بخراسان بين هراة ومرو.

عرفه ابن حزم بقاتل المهلب بـ «قنديل» قال البلاذري: هرب بنو المهلب^(١) إلى السند في أيام يزيد بن عبد الملك فوجه إليهم هلال بن أحوز فقتلهم بـ «قنديل»^(٢) وتبارى جرير والفرزدق في مدح هلال وأطرائه بعد عودته من البصرة^(٣).

وقد تقدم طرف من أخبار حُمير بن فريح بن عيادة، وهو شاعر قوي العبارة، كثير الفخر، عُرف بالصلابة والدهاء، وهلك أكثر ذويه بحميّ قفار، وله قصر شامخ البنيان لا يزال قائماً على يسار المتجه من حائل إلى المدينة المنورة وتُرى بعض الأطلال المتصلة بالقصر قديماً على يمين الطريق في سفح جبل أجأ ليست بعيدة عنه.

وقد توفي حُمير في مطلع النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، ولحُمير ذكر حسن ويعتبره تميم حائل من مفاخرهم، وكثيراً ما تغنوا بقصائده، وأشادوا ببطولته ودهائه. قال السنافي في قصيدة يعدد بها أعلام الجبلين ومشاهيرها: وحُمير المشهور وعواد ومثيب حمر النواظر كان صار الدهر شين ومطلع القصيدة:

سميت واديت النجائب من النيب نجائب يزهن جديد السباهين^(٤)
والنجائب هي النوق الكرام، قال الشاعر:
ودويه قفر تحار بها القطا إدلاء ركبها بنات النجائب
والدوية هي المفازة المغبرة، يعني أن السارين بها يستدلون على الطريق فيها بما يسقط في الطريق من ولاد النوق النجيبات فتبقى مطروحة على الطريق، وأراد بالركبين الذاهب والجائي^(٥).

(١) آل المهلب أو المهالبة من العتيك من الأرد الكهلانية القحطانية.

(٢) الزركلي: الأعلام، مادة الهاء.

(٣) وقال ذو الرمة:

رفعت مجد تميم يا هلال لها رفع الطراف على العليا بالعمد
حتى نساء تميم وهي نأثرة بقلّة الحزن فالصمان فالعقد
ووترت اليمن بذلك اليوم، وكان الطرمّاح لا ينفك يفخر على تميم بفعال المهالبة:
تفاخر بابن أحوزها تميم لقد حان المفاخر لي وحانا

(٤) ديوان شاعر اللوى.

(٥) ابن الأثير: المصنع، ص ٢٧١.

أما السنافي فهو شايح بن رباح أمير العيساوية وهو من الحمران من تميم
ومن شعره:

ما دام ستر الله على الناس ضايفي صدور المجالس ضايقه بالصناديد
ولا صار بأطراف الحدود اختلافي كنك تراعي لك حباري ملايد
واليا صفى الصافي وصارت عوافي ردوا كما كانوا وصاروا موارد
الناس في عصر ماحد فيه خافي راع الغنم يعرف كما يعرف السيد^(١)
ولما مات حمير بن فريح بن عيادة خلفه على إمارة قفار دخيل الخوير
التميمي من أسرة الخورة المشهورة. وأملاك هؤلاء في الطرف الجنوبي الشرقي
من قفار.

ودخيل هو صاحب القصيدة الحربية التي مطلعها:

من قفار وحایل ظهرنا واعتلينا ظهور النجائب
قالها أثناء الإعداد لغزوة الجوف أيام تكوين الإمارة الرشيدية بحائل، وسبقت
الإشارة إلى خبر هذه الغزوة، وتجهيز الجيش في قفار، وذكر ابن جنيد في
تعداده لأحياء مدينة الجوف حي الرحييين وأن ممن اشتهر من هؤلاء خليف بن
عرسان الخليف الذي يخاطبه عبيد بن رشيد بقوله:

يا من يبشر بي خليف وخطاب تبشير فرعون بموسى وهارون
قال ابن جنيد: وفي خليف تقول الشاعرة ظاهرة الشرارية، وقد أخذ
السييلة لها غنماً فشكت إليه أمرهم فرد عليها غنمها منهم.

يا خليف عيوا لا يجون السييلة متجزعين كيف للحق يمشون
الحق ظلما والمصقل دليله ولا تنقضي حاجات من يتبع الهون
وذكر أن الرحييين ٤٠ بيتاً أهله من تميم يُقال: إنهم نازحون من قفار وأن
من أقاربهم السميحان في حي ينسب إليهم ويتكون من ١٥ بيتاً^(٢).

وذكر عبدالعزيز بن عبدالعزيز الخوير أن الرحييين هم من أقارب آل سلامة

(١) ابن صقيه: بنو تميم في بلاد الجبلين، ص ٥٥.

(٢) ابن جنيد: بلاد الجوف أو دومة الجندل، ص ١٢٦.

الذين ما يزالون في قفار، ومن مرويّات العامة في قفار أن جد الرحيبين قال حينما رحل من قفار الى الجوف:

جلّيت عن دار المفيدى محمد يوم العذارى ما يبطل نديبه
وقال ابن جنيدل أن خليف بن عرسان الرحيبي التميمي كان ذا مكانة ونفوذ
في الجوف، وخليف هو صاحب السيف «دابان» مضرب المثل، قال ابن صقيه:
يا العمروي يا مروى السيف دابان ترويه من دم العدا لا تعزويت
جداك تنزح من (قفار) على شان كسب العلا وائته على الجد عليت
هذا وقد مات دخيل الخوير التميمي أمير قفار في حدود عام ١٢٨٥هـ في
وقت قريب من وفاة ابن عمه المشهور زيد الخوير التميمي، وقد سبقت الإشارة
إلى أن الإمام عبدالله الفيصل منح زيدا الخشيم الخالدي (مبدع قليب) في غربي
قفار بعد أن مدحه بقصيدة نبطية أثناء زيارته لحائل في عهد أميرها طلال بن عبدالله
بن رشيد (١٢٦٣ - ١٢٨٥هـ) وذكر الأستاذ عبدالرحمن بن زيد السويداء أن زيدا
الخشيم قد أصبح أميراً لجزء من بلدة قفار^(١) - وهو الجزء الذي تم إقطاعه إياه -
وقد تزامنت إمارة الخشيم على جماعته مع الفترة الأخيرة من إمارة دخيل الخوير
على قفار، وذكر الشيخ أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري: ان ابن رشيد غضب
على الخشيم أمير قفار وعزله عن الإمارة وجعل مكانه القنصعي نائب الخوير^(٢).
وبعد دخيل الخوير تولّى إمارة قفار ناصر بن عفنان التميمي ومحلته في
جنوب شرقي قفار، وقصره لا يزال قائماً شمال منزل الخوير، وروى فهد بن
عبدالعزیز الخوير أن ناصر بن عفنان - أمير قفار - وأخاه راشد بن عفنان، كانا
على جانب كبير من الثراء والدهاء، ولما بطش الأمير محمد بن رشيد بآل جبر
أسفق هذان الأخوان على البقية الباقية منهم فأضافاهم في قصرهما المشار إليه في
دور وسرايب مدة من الزمن، وحدثني الشيخ سليمان اليعقوب بحديث قريب

(١) السويداء: القهوة العربية، ص .

(٢) ابن عقيل: أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء، ص ١٤٨.

من حديث الخوير، والشيخ سليمان من آل يعقوب وهم أسرة من أهل الفضل والعلم في مدينة حائل، وكانوا قبلها في قفار.

ومن أخبار آل عفنان أهل قفار أن كبيرهم ناصر قد بلغ من ثرائه أنه كان يجلب عدداً من الخيل والعبيد من سوق المدينة المنورة إلى قفار ثم يجلبها إلى حائل في سوق يحمل اسم (عفنان) في وسط المدينة.

وبعد ناصر بن عفنان تولّى إمارة قفار علي بن رشيد بن عيادة في رأس القرن الثالث عشر الهجري، وكان هذا الأمير صلباً، قيل أنه امتنع على الأمير محمد بن رشيد عندما أراد منح قطعة أرض لأحد الراغبين في الاستيطان بقرب قفار، بل لقد قيل إنه قال: إذا حفر هذا الرجل بئراً فسوف نردمه عليه. مع أن علياً هذا كان في فترة بدأ يضعف فيها شأن قفار بسبب الحمى، والحروب. قال ألويس موزل الذي زار قفار في عام ١٩١٥م: وفي السنوات الأخيرة اجتاحت مرض الحمى القرية فقضى على النساء والأطفال، بينما هلك الرجال في الحروب.

والذي يلاحظ هو أن آل عيادة الذين منهم علي بن رشيد كانوا من بين الأسر التي أثرت فيها الحمى تأثيراً قوياً فمات أكثرهم في قفار، على أنه مما تجدر الإشارة إليه أن كثيراً من الأسر كآل مفيد وآل حمران والمزاريع وغيرهم من آل حماد قد نزحوا من قفار قبل الحمى بزمان طويل فعمروا بلداناً جديدة في منطقة حائل وفي غيرها من المناطق النجدية من البلدان.

وفي قفار الآن أسر قليلة تنتمي إلى آل عيادة صليبة، وأسر أخرى في قفار والحائط تنتمي إليهم ولأء لا صليبة^(١).

وتولّى إمارة قفار بعد علي بن رشيد بن عيادة عفيصان بن سليمان بن عفيصان، وهو من آل الخوير ومحلة ذويه غرب محلة آل الخوير في جنوب شرق قفار، وفي هذه المحلة قصور وأسوار.

وممن تولّى الإمارة في قفار فريحان الموكا، وفي عام ١٣٥٠هـ تم تعيين

(١) ومنهم أسر في تيماء وموق.

عبدالعزیز بن عبدالعزیز بن راشد الخویر التیمی امیراً لقفار، فظل امیراً بها حتی وفاته فی عام ١٤٠٤هـ، ثم تولى الإمارة من بعده ابنه راشد الخویر وعند إنشاء مراكز الإمارة فی منطقة حائل، أسس مرکز لإمارة قفار فی عام ١٣٩٨هـ، ورئیسه الآن راشد المذكور والمركز یخدم قفار، وبدائع قفار، والنقرة، ومریق، وبدائع مریق، وحمراء الویر.

وفی شهر جمادی الأولى من عام ١٤١٩هـ أقام بنو تمیم بحائل حفلاً کبیراً احتفاءً بصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزیز النائب الثاني لرئیس مجلس الوزراء، ووزیر الدفاع والطیران والمفتش العام أثناء زيارته لمنطقة حائل، فقدم لسموه راشد الخویر امیر قفار درعاً تذکارياً نیابة عنهم، بعد أن ألقى کلمتهم الأستاذ الأذیب المری عبد الله بن ترکی البکر التیمی، وألقى القصيدة الترحیبة الشاعر عبدالمحسن بن حمود الهذیلی التیمی، وقدم الحفل الأستاذ رشود بن عمر التیمی.

وفی قصيدة الهذیلی ورد قوله:

حنا تمیم محاربة صفر الأعیان نرفع بیارقکم علی العسر واللین
من عهد فیصل ما بنا واحدٍ خان واضدادکم نبني علی راسه الطین
فی إشارة إلى حادثة بني تمیم مع الترك فی قفار.

النهضة الحديث في قمار

- ١ - المدارس
- ٢ - حلفاء التدريس
- ٣ - الجمعية التعاونية
- ٤ - الحاصلون على الشهادة الجامعية فما فوق
- ٥ - مركز التنمية الاجتماعية
- ٦ - المخطط السكاني الحديث
- ٧ - مركز الرعاية الصحية
- ٨ - نادي قمار الرباصي

١ - المدارس

توجد بـ «قفار» مدرستان ابتدائيتان، ومدرسة متوسطة وأخرى ثانوية، وافتتحت أول مدرسة ابتدائية بها وهي مدرسة عبدالله بن مسعود في عام ١٣٧٥هـ، وبها ٨ فصول، يدرس بها ١٣٣ طالباً.

وافتتحت المدرسة الابتدائية الثانية في قفار وهي مدرسة بلال بن رباح في عام ١٣٩٨هـ، وبها ٦ فصول، وعدد الدارسين بها الآن يبلغ ٥٤ طالباً.

أمّا متوسطة قفار فقد افتتحت في عام ١٣٩١هـ، وبها ٧ فصول، وعدد الطلاب بها في هذا العام ١٩٣ طالباً، وتخرج منها ٤٠٣ من الطلاب.

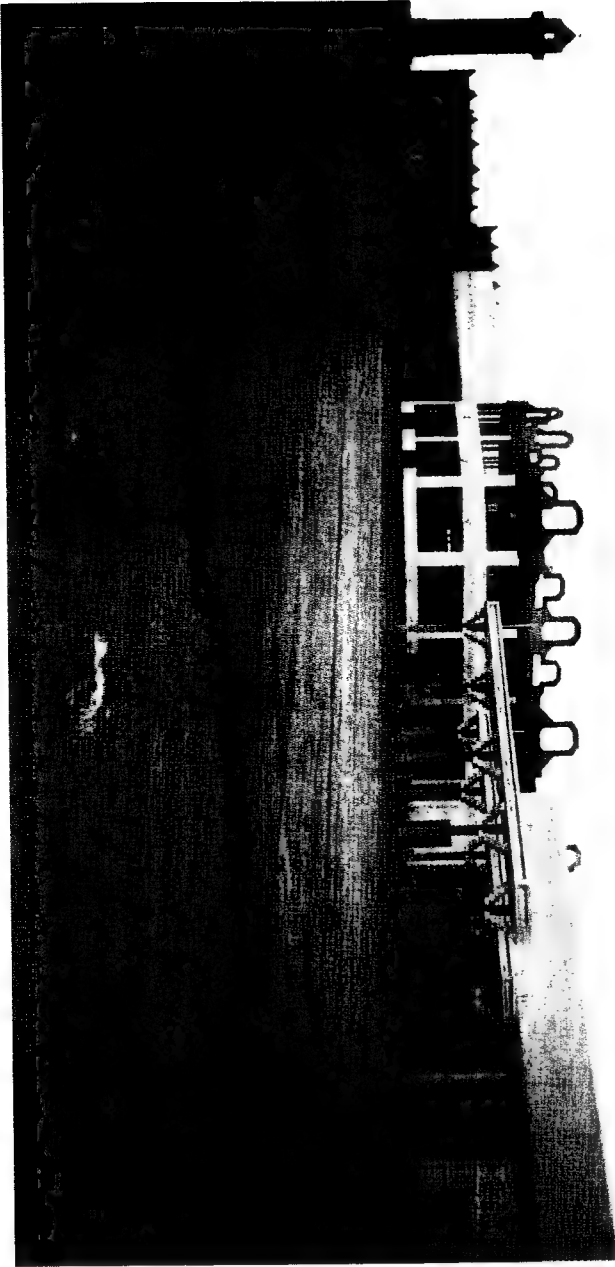
وفي عام ١٤١٢هـ تم افتتاح ثانوية قفار، وعدد فصولها ٦ فصول، يدرس بها ١٣٠ طالباً وتخرج منها منذ تاسيسها ٦٠ طالباً.

أما مدارس البنات فهي ابتدائية ومتوسطة وثانوية، وقد افتتحت المدرسة الابتدائية للبنات في قفار في عام ١٣٩٤هـ وعدد فصولها ٨ فصول ويدرس بها ٢٠٧ من الطالبات. هذا في حين اتم افتتاح متوسطة قفار للبنات في عام ١٤٠٤هـ وعدد الدارسات بها يبلغ ١٧٥ طالبة في ٦ فصول وتخرج منها ٢٥٨ طالبة.

وفي عام ١٤١٣هـ تم افتتاح ثانوية قفار للبنات وعدد فصولها ٤ فصول وعدد طالباتها ١٠٢ طالبة وبلغ عدد الخريجات من هذه الثانوية ٢٦ طالبة.

وفي بداية التعليم النظامي بقفار، وحينما افتتحت أول مدرسة ابتدائية بها تولى التدريس في تلك المدرسة عدد من المعلمين هم مدرسو قفار القدماء الذين أسهموا في نشر العلم والمعرفة وتعلمذ على أيديهم مجموعة من الطلاب الذين حصلوا بعد سنوات طويلة من الجهد على درجات علمية عالية وخدموا في مجالات التعليم والإدارة والسلوك العسكري.

مبانٍ حديثة تحت الإنشاء في قفار



وأبرز أولئك المعلمين القدماء في قفار :

- ١- محمد الملاحي .
- ٢- عبدالله السردى .
- ٣- إبراهيم الشعيب .
- ٤- عبدالعزيز البكر .
- ٥- بكر العمر .
- ٦- سليمان الراشد
- ٧- محمد البخيت

٢ - حلقات التدريس

يوجد في قفار ٢٣ مسجداً منها ثلاثة جوامع ومصلى للعيد .
ويتولى إمامة الجوامع الثلاثة حالياً :

١- فضيلة الشيخ ناصر بن فهد بن عبدالعزيز الخوير القاضي بالمحكمة
الكبرى بحائل

- ٢- فضيلة الشيخ تركي بن عبدالعزيز بن عبدالعزيز الخوير التميمي .
 - ٣- الشيخ فهد بن سالم السلامة التميمي .
- وتقام في قفار حلقات للتدريس في المساجد الآن ويتولى التدريس فيها :
- ١- مبارك بن عبدالعزيز الخوير التميمي .
 - ٢- تركي بن عبدالعزيز الخوير التميمي .
 - ٣- عبدالمحسن بن عبدالعزيز الخوير التميمي .
 - ٤- سعود بن راشد الخوير التميمي .
 - ٥- أحمد بن راشد الخوير التميمي .

٣ - الجمعية التعاونية

وفي قفار جمعية تعاونية متعددة الأغراض تأسست في عام ١٣٨٢هـ،

ورأس مالها ٩٥٠, ٤١ ريالاً وعدد الأسهم ٤١٩٥ سهماً، وسعر السهم ١٠ ريالات، ومقدار المبلغ القابل للتوزيع في نهاية العام ١٤١٥هـ ٣٤٥, ٧٥, ١٠٠ ريالاً.

٤ - الحاصلون على الشهادة الجامعية فما فوق من أهل قفار

- ١- الشيخ ناصر بن فهد الخوير التيمي .
- ٢- الدكتور رشيد فهد العمرو .
- ٣- الدكتور علي سالم العصيفير .
- ٤- الدكتور سعود فهد العمرو .
- ٥- عبدالرحمن بن سالم العصيفير .
- ٦- عبدالرحمن بن سليمان العيادة التيمي .
- ٧- عيسى عبدالله الملاحي التيمي .
- ٨- عبدالرحمن فهد الخوير التيمي .
- ٩- عبدالمحسن عبدالعزيز الخوير التيمي .
- ١٠- إبراهيم فهد سالم السلامة التيمي .
- ١١- صالح بن فهد العمرو .
- ١٢- علي بن فهد العمرو .
- ١٣- عبدالعزيز رشيد العمرو .
- ١٤- خالد حمد القنون .
- ١٥- فهد حمد القنون .
- ١٦- خلف عبدالعزيز الخوير التيمي .
- ١٧- علي عبدالعزيز الخوير التيمي .
- ١٨- سعود راشد الخوير التيمي .
- ١٩- تركي عبدالعزيز الخوير التيمي .
- ٢٠- مطلق راشد الخوير التيمي .
- ٢١- هذال ليل البركة .

- ٢٢- محمد عبدالعزيز الخوير التميمي .
- ٢٣- متعب ليل البركة .
- ٢٤- مبروك حمود الشمري .
- ٢٥- علي منسي الشمري .
- ٢٦- عبدالله فهد السلامة التميمي .
- ٢٧- حمود يوسف المزيني .
- ٢٨- نواف خليف الوياري الشمري .
- ٢٩- عبدالرحمن سليمان عبدالله .
- ٣٠- مياح سليمان عبدالله .
- ٣١- محمد سليمان عبدالله .
- ٣٢- إبراهيم سالم المحمد التميمي .
- ٣٣- رشيد حسن العقيل .
- ٣٤- طامي مسلم الشمري .
- ٣٥- محمد مناحي الشمري .
- ٣٦- إبراهيم المبروك .
- ٣٧- عارف عبدالهادي الشمري .
- ٣٨- سعود صالح فيصل الشمري .
- ٣٩- علي صالح فيصل الشمري .

٥ - مركز التنمية الاجتماعية بقفار

من أهم مراكز الخدمة في منطقة حائل مركز التنمية الاجتماعية في قفار، أنشئ هذا المركز في عام ١٣٨٢هـ وتولى إدارته عدد من الأساتذة منهم:

- ١- عبدالكريم المهنا من عام ١٣٨٢هـ - ١٣٨٣هـ
- ٢- علي عبدالله الراجح من عام ١٣٨٤هـ - ١٣٨٦هـ
- ٣- حماد محمد الناصر من عام ١٣٨٧هـ - ١٣٩٣هـ

- ٤- حمد سعد الحريبي من عام ١٣٩٤هـ - ١٣٩٥هـ
٥- زيد علي الحمدي من عام ١٣٩٦هـ - ١٣٩٧هـ
٦- محمد سالم الحمدي من عام ١٣٩٨هـ

وهذا تقرير موجز عن هذا المركز

يقوم مركز التنمية الاجتماعية بقفار بخدمات جليلة للنهوض بالمجتمع المحلي وذلك عن طريق تنفيذ العديد من البرامج والمشاريع الاجتماعية والصحية والثقافية معتمداً بذلك على المشاركة الأهلية المادية والمعنوية والجهد الذاتي في هذه البرامج والمشاريع وكذلك على الدعم الحكومي .

القسم الإداري: الموظفون الإداريون والمستخدمون وعددهم (١٣) موظفاً .
القسم الاجتماعي بشقيه الرجالي والنسائي ويعمل به (٢٣) موظفاً منهم عدد (٧) على وظائف رسمية (١٦) موظفة برواتب مقطوعة على ميزانية البرامج والأنشطة وجميعهن عاملات برياض الأطفال ودور الفتاة .

القسم الصحي: وهو عبارة عن مركز للرعاية الصحية الأولية ، يوجد داخل مبنى المركز ويعمل به (١٠) من الموظفين ويخدم قرتي قفار ومريفق ويتم الإشراف الإداري المباشر عليه من قبل إدارة المركز وتتولى إدارة المركز تذليل الصعوبات التي تعترض سير العمل فيه .

القسم الثقافي: ويوجد به أخصائي ثقافي تابع لوزارة المعارف ويتولى الإشراف على مكتبة المركز وتشغيلها إلى جانب تنفيذ البرامج الثقافية التي تعتمدها الوزارة في خطة المركز السنوية .

القسم الزراعي: هذا القسم متوقف عن النشاط منذ عام ١٣٩٨هـ وقد حاولت إدارة المركز إعادة نشاط هذا القسم بالطرق الرسمية والشخصية وذلك مع مديرية الزراعة والمياه بحائل إلا أن ذلك لم يتم إلا على فترات متقطعة وقصيرة لم يستطع معها القسم القيام بالعمل المطلوب منه .

اللجان الأهلية العاملة في المركز:

يعمل مع المركز (٤) لجان تنمية اجتماعية محلية وذلك لسد احتياجات المجتمع المحلي في النواحي الاجتماعية والصحية والثقافية والزراعية وبحث احتياجات الأهالي والإسهام مع المركز في تخطيط وتنفيذ البرامج والمشاريع التي يحتاجها المجتمع المحلي فهي حلقة وصل بين المركز والمجتمع المحلي وهذه اللجان هي:

- ١- لجنة التنمية الرئيسة بقفار.
 - ٢- لجنة التنمية الاجتماعية بموقق.
 - ٣- لجنة التنمية الاجتماعية بعقلة ابن جبرين.
 - ٤- لجنة التنمية الاجتماعية المحلية بالصهوة.
- وتعمل جميعها وفق لائحة اللجان الأهلية الصادرة من مقام وزارة العمل، وكل لجنة لها حساب مستقل في البنك لإيداع إيراداتها به، ويصرف منه حصة كل برنامج أو مشروع.

نشاطات المركز

- ١- الإشراف المباشر على نشاطات وأعمال الجمعيات التعاونية والخيرية بمنطقة حائل وعددها (٧) جمعيات خيرية و(١٣) جمعية تعاونية حيث يقوم المركز بالإشراف الإداري والمالي على هذه الجمعيات حيث يوجد باحثون اجتماعيون ومحاسبون متخصصون بالمركز يقومون بزيارة هذه الجمعيات وإعداد التقارير اللازمة عنها وحضور اجتماعات جمعياتها العمومية.
- ٢- تنظيم برامج النشاط النسوي ورعاية الطفولة: حيث يتبع المركز عدد (٥) رياض أطفال في كل من قفار/ النقرة/ مريقق/ موقق/ الودي/ وعدد الملتحقين بها من الأطفال (١٦٨) طفلاً وطفلة. وكذلك عدد (٣) دور فتاة لمحو أمية السيدات وتعليمهن مبادئ الخياطة والتطريز والتفصيل والتدبير المنزلي حيث تدرس الملتحقة منهن بمركز محو الأمية وفق المنهج المعد من الرئاسة العامة

لتعليم البنات حسب المرحلة التي تدرس بها، ويعقد لهن اختبار في كل عام على مرحلتين بإشراف إدارة تعليم البنات وتمنح الدارسة شهادة من الرئاسة بالمرحلة التي تتخرج منها حيث يوجد عدد (٦٢) دارسة لهذا العام الدراسي، ويقام بالمركز معرض سنوي لمشغولات دور الفتاة من الأشغال الفنية والخياطة والتطريز وأعمال التدبير المنزلي.

٣- دعم أنشطة الشباب والإشراف عليها والمتمثلة في شغل وقت فراغ الشباب عن طريق تشكيل مجموعات الشباب في القرى وإقامة البرامج المفيدة والنافعة لهم، وكذلك إقامة الدورات التدريبية السنوية للشباب مثل دورة الآلة الكاتبة الأولى بالمركز والثانية بموقق حيث يمنح الدارس شهادة إتمام الدورة مصدقة من المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني، وقد اجتاز الدورة في عام ١٤١٦/١٤١٧ هـ (١٤) دارساً.

٤- المشاركة في حملات التوعية والإرشاد عن طريق المساهمة في أسابيع الخدمة العامة بإعداد النشرات.

٥- دعم وتشجيع جماعات تحفيظ القرآن الكريم بالمنطقة، وكذلك تنظيم المسابقات الثقافية بين المدارس الواقعة ضمن منطقة الخدمات، وكذلك تشجيع ارتياد مكتبة المركز وإتاحة الفرصة لإعارة الكتب للراغبين في الاطلاع والقراءة.

٦- تنظيم دورة في الإسعافات الأولية لطلاب المدارس سنوياً بواسطة المختصين بالمركز الصحي حيث التحق في العام الماضي ١٤١٦ هـ في هذه الدورة (٢٥) طالباً.

٧- التعاون والتنسيق مع مراكز الرعاية الصحية الأولية بمناطق الخدمات لنشر الوعي الصحي بين الأهالي.

٨- كما أن المركز يقوم بالتعاون مع اللجان بدراسة أي برنامج أو مشروع جديد تتطلبه حاجة المجتمع المحلي، حيث إن برامج ومشاريع اللجنة قابلة للتجديد والتطوير حسب متطلبات المجتمع المحلي.

أسماء الجمعيات الخيرية بالمنطقة التي يشرف عليها المركز:

- ١- الجمعية الخيرية بحائل .
- ٢- الجمعية الخيرية بالروضة .
- ٣- الجمعية الخيرية بموقع .
- ٤- الجمعية الخيرية بالغزالة .
- ٥- الجمعية الخيرية بترية .
- ٦- الجمعية الخيرية بجبة .
- ٧- الجمعية الخيرية بالشملي .

أسماء الجمعيات التعاونية بالمنطقة التي تقع تحت إشراف المركز:

- ١- الجمعية التعاونية متعددة الأغراض بحائل .
- ٢- الجمعية التعاونية بالحليفة العليا .
- ٣- الجمعية التعاونية بالمستجدة .
- ٤- الجمعية التعاونية بقفار .
- ٥- الجمعية التعاونية بالروضة .
- ٦- الجمعية التعاونية بالمضيق .
- ٧- الجمعية التعاونية ببحرة .
- ٨- الجمعية التعاونية بغمرة .
- ٩- الجمعية التعاونية بالشويمس .
- ١٠- الجمعية التعاونية بالوهيبة .
- ١١- الجمعية التعاونية بالفيضة .
- ١٢- الجمعية التعاونية بجبة .
- ١٣- الجمعية التعاونية بالصغوى .
- ١٤- الجمعية التعاونية بالشملي (تحت التصفية) .
- ١٥- الجمعية التعاونية بالنيصية .

٦ - المخطط السكني الحديث

قامت بلدية منطقة حائل بتخطيط الأراضي الواقعة جنوب قفار، وغربها، فيما بينها وبين جبل أجأ، تخطيطاً منظماً حتى مدخل (ريع السلف) الشهير، وتم توزيع أراضي المخطط على الأهالي، وأنشأ الأهالي عليها المباني السكنية بعد أن حصل أغلبهم على قروض من صندوق التنمية العقاري، ويقسم الطريق المتجه من حائل إلى المدينة المنورة المخطط إلى قسمين متقابلين شرقي وغربي، وهناك مجال لزيادة المخطط الغربي بالاتجاه شمالاً لمواجهة البلدة القديمة، ويشتمل المخطط الأول ورقمه (٣٢٩) على (٨٨٠) قطعة، ويشتمل الثاني ورقمه (٥٧٩) على (٤٨٦) قطعة.

وفي قفار خدمة كهربائية، وهاتفية، ومكتب بريد.

٧ - مركز الرعاية الصحية

مركز الرعاية الصحية بقفار هو أول مركز افتتح بمنطقة حائل، وكان ذلك في ١٣٨٢/٨/٣ هـ وهو يشغل جزءاً من مركز التنمية الاجتماعية بالبلدة، ويخدم قفار ومريفق، ويعمل به الآن طبيان، وثلاث ممرضات، وممرض، ومساعد صيدلي، ومراقب صحي، وفني مختبر، وسائق، ومستخدم، ومستخدمة، ويبلغ عدد المستفيدين من هذا المركز ٣٠٤٩ نسمة.

٨ - نادي قفار الرياضي، الثقافي، الاجتماعي

تأسس النادي الرياضي في قفار عام ١٤٠٤/١٤٠٥ هـ ويقع مقره في داخل البلدة القديمة، غير أن الملاعب تقع شمال المخطط السكني الجديد غرب طريق حائل المدينة المنورة في مقابل (الرصف) في جبل أجأ، وبها ملعب مزروع لكرة القدم بمرافقه.

ويتكون مجلس إدارة النادي الحالي من:

رئيس مجلس الإدارة

١- فهد عواد السمران



العمران الحديث في قفار

- ٢- خلف عبدالعزيز الخوير التميمي نائب رئيس مجلس الإدارة
- ٣- عارف نادر الحربي أمين عام النادي
- ٤- ماجد يوسف المرشدي أمين الصندوق
- ٥- صالح أحمد العوض عضواً
- ٦- أحمد راشد الخوير التميمي عضواً
- ٧- محمد صالح فضي المبارك عضواً
- ٨- نصار نايف الرشدي عضواً
- ٩- عبدالهادي خالد الشمري عضواً
- ١٠- ناصر عبيد الهمزاني عضواً

ويعمل بالنادي كل من :

- ١- أيوب عبده سرو مدرب دراجات
 - ٢- مؤمن حجازي الباجوري مدرب كاراتيه
 - ٣- خالد عواد السمران مدرب كرة اليد
 - ٤- محمد سعيد الفايز الشمري مدرب كرة القدم للفريق الأول
 - ٥- سعود سالم الحسين مدرب كرة القدم ناشئين وشباب
 - ٦- محمد أحمد محمود العشيري مشرف اجتماعي
 - ٧- محمد فؤاد رضوان مشرف ثقافي
 - ٨- عادل عبدالله القرملة مدرب الجودو
 - ٩- خالد يوسف المرشدي مدرب كرة المضرب
 - ١٠- محمد إبراهيم المجحدي مدرب تنس الطاولة
 - ١١- ديفنديران ساناتا عامل
 - ١٢- انيفا سليم عامل
 - ١٣- محمد كانو شوكت سائق
- وللنادي نشاطات اجتماعية، ورياضية، وثقافية.

نادي قفار الرياضي



وتمثل النشاط الرياضي بـ (١٤) لعبة هي:
كرة القدم / الطائرة / السلة / اليد / الدراجات / تنس الطاولة / كرة
المضرب / السباحة / ألعاب القوى / رفع الأثقال / الجمباز / السلاح /
الكاراتيه / الجودو.

إنجازات النادي

١- في كرة القدم:

- حقق النادي بطولة المنطقة لأندية الدرجة الثانية عام ١٤٠٩هـ.
- حقق النادي بطولة المنطقة لأندية الدرجة الثانية عام ١٤١٢هـ.
- حقق النادي بطولة المركز الثاني للشباب عام ١٤١١هـ.
- حقق النادي بطولة المركز الثاني ناشئين عام ١٤١١هـ.
- حقق النادي بطولة المنطقة لأندية الدرجة الثانية عام ١٤١٤هـ.
- حقق النادي بطولة المركز الثاني لأندية الدرجة الثانية عام ١٤١٥هـ.
- حقق النادي بطولة المجموعة عام ١٤١٦هـ.
- حقق النادي المركز الثاني لكأس ولي العهد عام ١٤١٧هـ.

٢- في الدراجات:

- حصل النادي على بطولة حائل للشباب عام ١٤٠٨هـ.
- حصل النادي على بطولة حائل ناشئين عام ١٤٠٩هـ.
- حصل النادي على بطولة حائل للدرجة الأولى عام ١٤٠٩هـ.
- حصل النادي على بطولة حائل للناشئين عام ١٤١٠هـ.
- حصل النادي على بطولة حائل للناشئين عام ١٤١١هـ.
- حصل النادي على بطولة حائل للدرجة الأولى عام ١٤١٢هـ.
- حصل النادي على بطولة الناشئين عام ١٤١٢هـ.
- حصل النادي على بطولة حائل للدرجة الأولى عام ١٤١٣هـ.

- حصل النادي على بطولة الشباب عام ١٤١٣هـ.
- حصل النادي على بطولة الناشئين عام ١٤١٣هـ.
- حصل النادي على بطولة منطقة حائل والقصيم لدرجة الشباب عام ١٤١٤هـ.
- حصل النادي على بطولة منطقة حائل والقصيم للدرجة الأولى عام ١٤١٤هـ.
- حصل النادي على بطولة المملكة للأندية أبطال المناطق لدرجة الشباب عام ١٤١٤هـ.
- حصل النادي على بطولة المملكة للأندية أبطال المناطق للدرجة الأولى عام ١٤١٤هـ.
- وصعد النادي للدوري الممتاز في درجتي الأولى والشباب بنفس العام.
- حصل النادي على المركز الخامس على مستوى المملكة في الدوري الممتاز عام ١٤١٥هـ.
- حصل النادي على المركز الخامس على مستوى المملكة في الدوري الممتاز عام ١٤١٦هـ.
- حصل النادي على المركز الرابع على مستوى المملكة في عام ١٤١٧هـ.

٣- إنجازات النادي في لعبة الكاراتيه:

- حصل فريق النادي على المركز الثالث ناشئين على مستوى حائل والقصيم والجوف عام ١٤١٢هـ.
- حصل النادي على المركز الثالث للدرجة الأولى على مستوى حائل والقصيم والجوف.
- وفي عام ١٤١٣هـ حصل على المركز الثالث في الدرجة الأولى والشباب والناشئين على مستوى منطقة حائل والقصيم والجوف.
- وفي عام ١٤١٤هـ حصل على المركز الرابع على مستوى المملكة شباب.
- وفي عام ١٤١٥هـ حصل النادي على المركز الثالث على مستوى حائل والقصيم والجوف للشباب.

- وفي عام ١٤١٦هـ حصل على المركز الأول على مستوى حائل وتبوك والمدينة المنورة وينبع والجوف للشباب.
- وفي عام ١٤١٧هـ حصل على المركز الثالث على مستوى المملكة.

٤- وفي لعبة الجودو:

- عام ١٤١٥هـ حصل النادي على المركز الثالث على مستوى المملكة.
- عام ١٤١٦هـ شارك النادي في بطولة المملكة.
- عام ١٤١٧هـ حصل النادي على المركز الثاني على مستوى حائل والمدينة وينبع.

٥- وفي لعبة كرة اليد:

- حصل النادي على المركز الأول أعوام ١٤١٥هـ و ١٤١٦هـ و ١٤١٧هـ في درجتي الناشئين والشباب.
- والمركز الثاني للدرجة الأولى لنفس الأعوام.

٦- وفي لعبة تنس الطاولة:

- شارك النادي في بطولات المنطقة للدرجات الثلاث لعام ١٤١٧هـ.

٧- وفي كرة المضرب:

- حصل النادي على بطولة المنطقة في درجة الناشئين عام ١٤١٧هـ.

٨- وفي كرة السلة والطائرة:

- شارك النادي في بطولات المنطقة بدرجاتها الثلاث عام ١٤١٧هـ.

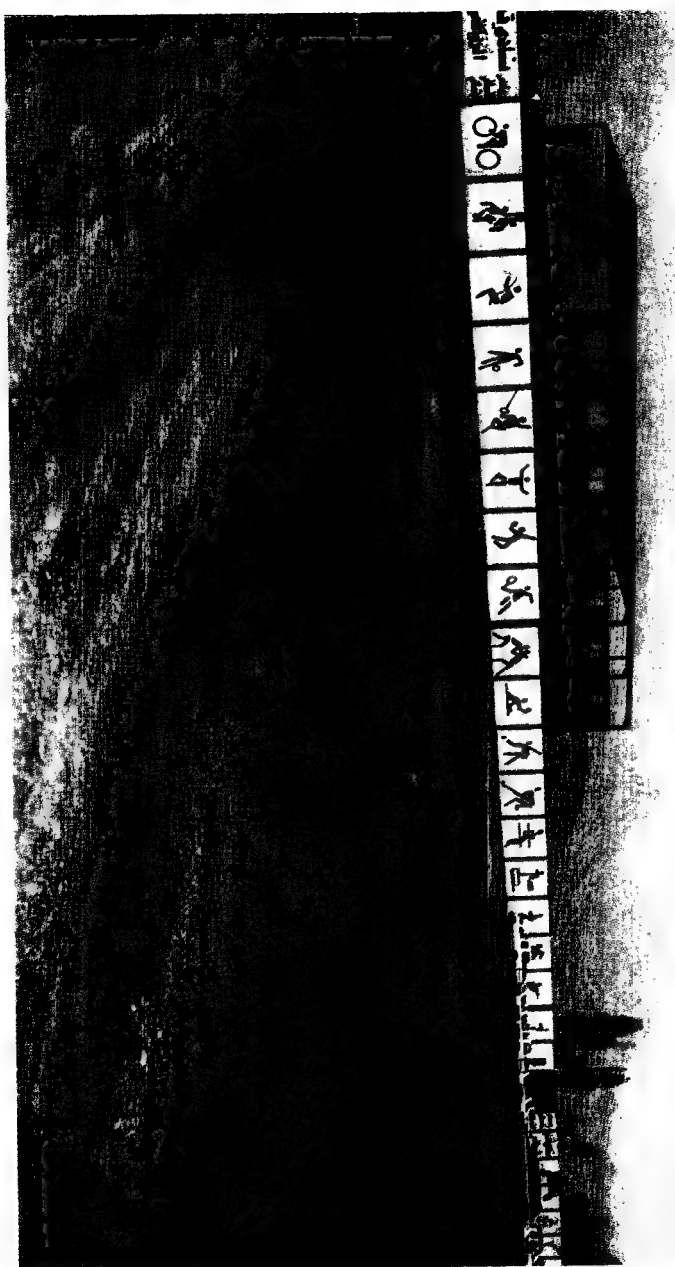
٩- الأنشطة الاجتماعية:

- شارك النادي في الأسابيع العامة مثل:

- أسبوع المرور، أسبوع الشجرة، أسبوع مكافحة التدخين، اليوم العالمي للصحة النفسية، الأسبوع الصحي، الحملة القومية لمقاومة شلل الأطفال.
- كما قام النادي بتنفيذ معسكر ترويحي لشباب النادي بالمعسكر الدائم بضبع.
- كذلك معسكرات عمل لتشجير ملاعب النادي.
- كما نفذ النادي عدة رحلات علمية وترفيهية لشباب النادي.
- أقام النادي عدة ندوات توعية لشباب النادي.
- يقيم النادي مجموعات تقوية لشباب النادي من الطلاب بالمراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية قبيل امتحانات الفصول الدراسية مجاناً.
- يشارك النادي في معسكرات الكشف لخدمة الحجيج كل عام.

١٠ - النشاط الثقافي

- المشاركة في الأسابيع العامة.
- حصل النادي على المركزين الأول والثاني في مسابقة المراسم على مستوى المملكة.
- قام النادي بتنفيذ مسابقات لحفظ وترتيل وتفسير القرآن الكريم.
- قام النادي بتنفيذ مسابقة ثقافية بين شباب النادي.
- كما قام بإعداد دورة للفنون التشكيلية لشباب النادي.
- كذلك يتبع النشاط الثقافي بالنادي حلقة تحفيظ القرآن الكريم يشرف عليها عضو مجلس إدارة النادي الأستاذ/ أحمد الخوير.
- كما يضم النادي بين جنباته مكتبة متنوعة تحتوي على أكثر من ألف عنوان بنسخ متعددة لخدمة محبي القراءة وطلبة العلم ورواد النادي وشباب القرية بصفة عامة.



مبنى نادي قمار الجديد في الرصف بأجاء

مظاهر الحياة الاجتماعية والأخبار الشعبية

- ١ - ملامح عامة
- ٢ - أسطورة ظلمات
- ٣ - حمى قفار
- ٤ - الزراعة والأكلات
- ٥ - الفنون الشعبية

١ - ملامح عامة

تقع قفار - كما سبق - في أرض منبسطة، فسيحة، رحبة، طينية حمراء، وعلى هذه الأرض كانت المباني المسقوفة بخشب الأثل، وجريد النخيل تشكل مجمعات سكنية للأهالي، يضم كل مجمع في داخله مجموعة من الأسر (الحمايل) ويحيط به سور ضخمة، ذو بوابة كبيرة، ويتوسط المجمع الذي يسمى قصراً ساحة مكشوفة يُعرف بالمناخ «مناخ الإبل» وهو محط راحل المسافرين والضيوف، وأهم ما يميز تلك القصور القديمة أن كل قصر منها يحتوي على قهوة واحدة. والقهوة مبنى مسقوف مستطيل ومنفصل نسبياً عن بقية القصر، وقريب من البوابة الرئيسة، وفيها يستقبل أهل القصر ضيوفهم، وفيها موقد النار، وربما الحطب في جزء منها، وفيها (الأخلة) المثبتة في الجدران وبها يعلّق (الطراقي) أمتعتهم، وفي أرضيتها (مراكي) من الطين ملتصقة في الجدران يتكىء عليها الجالسون، وربما تكون القهوة قهوتان: إحداها للصيف، والثانية للشتاء. وهي بدون بوابة في الغالب، وإن كان لها باب فهو مفتوح دائماً، ومن العيب إقفاله، وفي ذلك قال زيد الخوير من أهل قفار:

امبرهج تسفى عليه السوافي من خلقتة ماطق في ركزة السيف
وقال ابن خربوش في آل مفيد أهل السبعان، وهم من أهل قفار:
ريع قهاويهم على غير بيان بملافظ الشريان ما أطروا مملّه
ما حطوا التجارة صراير وغرضان حطوا مناخ والغروس المظلة
والقهوة، هذا المجلس الكبير، أخذت اسمها من القهوة العربية وهي أول ما يقدم للضيوف، أما وضعها بالصورة التي أشرنا إليها فهو مستمد من الهيئة العربية القديمة إذ يتوسط الحي متدى للجميع توقد به النار، ويفد إليه العرب من أهل

الحي وغيرهم، وهو محل الضيافة، والسمر، والشعر، والشورى، ومن النادر أن توقد النار في موضع غيره، والقدماء يسمونه النادي، قال بشر بن أبي خازم الأسدي:

وما يندوهم النادي ولكن بكل محلة منهم فئام
وربما سمّوه المجلس، كما في قول المهلهل:

انبئت أن النار بعدك أوقدت واستبّ بعدك ياكليب المجلس
وتكلموا في أمر كل عزيمة لو كنت حاضر أمرهم لم ينبسوا
ومن أهم ما لفت أنظار الرحالة الأوروبيين الذين زاروا قفار، هو تفرد أهلها بصفات جسمانية ميزتهم عن سواهم من القبائل العربية، وفي حين أعمل «فالين الفنلندي» جهده في التنقيب والاستقصاء للبحث عن سر هذه الظاهرة ظاهرة الفتوة، واهتدى إليه من خلال المصادر العربية، فإن «تشارلز داوتي» البريطاني الذي زار قفاراً بعده اكتفى بتسجيلها، ولم يبحث لها عن تعليل قديم.

والفرق ما بين الاثنين أن «فالين» قد كتب برؤية نقدية مشبعة بروح التحليل والمقارنة، والاستنتاج إلى حد كبير بينما كان «داوتي» يسجل أخباراً ويصور مشاهد.

قال «فالين» وهو يتحدث عن قفار: وفي تجوالي بين بدو الجهات الغربية من شبه الجزيرة كان هؤلاء يسألونني دائماً - ومثلهم المصريون والسوريون - عن بني تميم، وعن عاداتهم، ولغتهم، وقاماتهم، وميزاتهم الأخرى، وهم يبدأون بالسؤال عن حجم بني تميم، وعمّا إذا كانت قامتهم أطول من قامة سواهم من العرب، وما إذا كانت لحاهم أطول وأكثر، ويبدو لي أن هذه الملاحظة تعود لمعنى كلمة (تميم) وكانت تطلق في الأصل القديم على رجل قوي البنية، صحيح البدن، وهذه الملاحظة تصدق في القبيلة المذكورة.

ويلاحظ أن المصادر القديمة نظرت في هذا الذي أشار إليه «فالين» وأشبعته بحثاً، ومن ذلك مثلاً ما ذكره الجاحظ عن بيت مسكين الدارمي في قومه تميم حيث يقول:

ونحن أناس تملأ البيض هامنا ونحن حواريون حين نزاحف

وما ذكره أيضاً عن حديث رسول الله ﷺ فيهم (وإنهم: ضخم الهام، رُجح الأحلام، وأشد الناس على الدجال آخر الزمان). وقد أحال الدكتور الخولي محقق كتاب الجاحظ إلى ديوان مسكين، وعند الهيثمي في كتابه «فخر العرب» تنمة له وهي أنهم «هضبة حمراء لا يضرها من ناوأها».

ونقل الأزهري بعد أن عقد فصلاً في «فتوة التمايمة» أن عبد الملك بن مروان قال لداود بن متمر بن نيرة أراك جسيماً؟ قال داود هكذا قومي.

وفي يوم الكلاب الثاني، وهو من أشهر أيام العرب في الجاهلية، قال علقمة الفحل التميمي، الذي ذكر يوم الهيماء (قفار) في شعره:

وقرت لهم عيني بيوم حُذنة كأنهم تذيبح شاء مُعتر
عمدتم إلى شلو تنوذر قبلكم كثير عظام الرأس ضخم المذمر

قال الشنمري شارح ديوان علقمة: شبههم بهامة كثيرة العظام، شديدة، وكانت تميم يقال لها على وجه الدهر: هامة مُضر.

٢- أسطورة ظلما

ظلما امرأة من قفار ينسب إليها غار في ريع السلف في (أجأ) لا يزال يعرف باسمها.

ومن أخبار أهل الجبلين أن ظلما تقتنص المسافرين في هذا الطريق، وهو أشهر درب في الجبل، وتأكلهم، ويحوك هؤلاء حول ظلما، وطريقتها في أكل الناس أحاديث كثيرة غاية في الغرابة والطرافة، ويعتقد كثيرون بصحة ما ينسب إليها من أخبار اقتناص المارة، وتقطع أوصالهم.

وقيل أنها لا تعرض لبعض الناس لما تدركه بحسها من عدم قدرتها عليهم، وقيل أنها تستدرج من لا يعلمون من أمرها شيئاً إلى غارها فإذا اطمأن المسافر استدارت من وراء الهضبة التي فيها الغار، وأهوت عليه حصاة من حجارة كانت قد هيأتها لهذا الغرض ثم تنزل وتجهز عليه، ومما يروى أن معها ابنة لها تعينها على ذلك وظل الناس في الجبلين يفزعون أولادهم بظلما وأخبارها.

ومن طريف الحوادث ما رواه أحد أهل قفار أن أحد آل عيادة - من تميم - خرج عليها في غارها، حين استطار شرها، فقتلها وعاد بابتها إلى قفار، قال الراوي: دخل رجل سوق قفار فشاهد ابنة ظلما فأطرقت خجلاً حين رآته، أما هو فقال:

الله على مخة الساقين...

يذكرها بشعر لأمها قالت حين همت بأكله لولا أن أفلت منها، فقالت له البنت على الفور:

الستر يابن الأجواد هذا لا ليه ولا لك

أي أن هذا أمر قد فات وانقضى وماتت ظلما ولا شأن لك ولا لي به، وذكر الراوي أن ابنة ظلما تزوجت في قفار وأنجبت.

٢ - حمى قفار

عُرفت قفار بمرض الحمى الذي ظل يعصف بالناس لآماد طويلة، ولم يزد «ألويس موزل» الذي زار قفار في عام ١٩١٥م على وصف هذا الوباء وهو من أشهر الأوبئة في بلاد الجبلين سوى أن قال بلغة شعرية:

ثم اختفت جبال الفرع المهيبة التي كان يلفها شعاع ذهبي بين الماردية والكشرية فيما وراء بساتين قفار - وتغطي بساتين قفار منطقة واسعة لكنها توحى بانطباع حزين، يرمي بظلاله على الأطلال الكثيرة والبيوت المهجورة. . كانت قفار في أحد الأوقات أكبر من حائل، وفي السنوات الأخيرة اجتاحت مرض الحمى القرية فقضى على النساء والأطفال، بينما هلك الرجال في الحروب، فأصبحت البيوت المهجورة، والنخيل مهملة، والبلدة مقفرة إلا من أربعين بيتاً بدأها الخراب، يسكنها بعض العجزة من الموالى والنساء والشيوخ والأطفال^(١).

ولم تؤثر حمى قفار، وهي مضرب المثل بالفناء، بأصحاب البشرة السوداء، وكثر هؤلاء في قفار، وزاد عددهم أثناء الحمى. ووفد إليهم آخرون، قال

(١) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، مادة قفار.

العريفي: وباع الموالي أملاك أعمامهم بأبخس الأثمان^(١).

وظلت الحمى معروفة مشهورة إلى سنوات قريبة وتحاشى الناس المرور بقفار لئلا يصابون بها. . ويعرف من تُصيبهم حمى قفار ولا يموتون بعلامات واضحة في وجوههم من الاصفرار.

والمصنفات التي عرضت لحمى قفار تذكر أنها حمى الملاريا، وسببها كثرة المياه، والمستنقعات بها في وقت مضى، على أن للعوام تعليقات كثيرة وغريبة في أسباب هذا الوباء، ومما يتناقله القصاصون أن فتية من أهل قفار كانوا يجربون ما يقتنون من السلاح بأول قادم يمر على حائل، وأن أناساً منهم سلكوا تيساً وهو حي، وأن بعضاً منهم كانوا يدهنون حبلاً من الليف قابلة للاشتعال، ويربطون كل حبل برجل طير من الطيور، ثم يطلقونه بعد أن يشعلون في الحبل ناراً فتلتهمه، ثم تأكل الطير.

ويعدون من أمر التجبر والقسوة قبض أهل قفار على الجاسوس التركي ودفنه في الجدار، وقطع لسان صاحبه. ولذلك وأمثاله يرى أصحاب هذه الأخبار الشعبية أن حمى قفار عقوبة من الله لهذه المخالفات، والعقوبات الإلهية حق لا جدال فيه، وهي فوق مستوى النقد والتحليل، لكن هل حدث من أهل قفار ما يذكره هؤلاء؟

إن ذلك مما لا يجزم بوقوعه، أما دفن الجاسوس التركي فقد سبقت الإشارة إلى أن ذلك تم أثناء مهاجمة جنود الدولة العثمانية لمنطقة حائل، في غزوة تعد من أشد الغزوات وأعताها، فكان التصدي لهذه الغزوة والفتك بها مما لا بد منه، وهذا ما حدث من أهل قفار.

أما ما يتردد في الحواديث ومجالس السمر فهو مما يتوسع فيه الخيال الشعبي، وينزع القصاصون إلى نسج أخبار مثيرة حوله للتسلية والتشويق.

ومع أن «فالين الفنلندي» قال عن أهل قفار: إن بني تميم يميلون إلى التباهي، والزهو، وهم ارستقراطيو شمر، ومن معاني الزهو: التجبر، والكبر،

(١) فهد العريفي: حائل ص ٨٥.

مضخة الماء في إحدى آبار قفار



والخيلاء، فقد قال: أنهم أحرص من الوهابيين على تأدية الواجبات الدينية، وتقواهم في الأرجح بسبب حجهم مراراً كثيرة في جماعات غفيرة إلى مكة، ومع أنهم يعودون منها بما يستطيعون حمله من البضائع فهم يحجون في سبيل الدين لا في سبيل الكسب^(١).

وعلق الأستاذ حمد على موضوع بني تميم في حائل و«الوهابية» بقوله: إن «فالين» يجهل من يسميهم الوهابيين أي اتباع الطريقة السلفية التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - وبنو تميم - بل سكان هذه الجهات كلهم - من أتباعها.

وورد في كتاب ابن صقيه: أن كلمة الوهابيين استعملها أعداء الدعوة السلفية للتفجير منها، ولكنها فيما بعد أصبحت علماً فاستعملها كتاب الإفرنج^(٢).

٤- الزراعة والأكلات

تحدث «فالين» عن قفار في عام ١٨٤٥هـ وقال: إن فيها أكبر مخازن التمر والذرة في المنطقة، وقال «موزل» في عام ١٩١٥هـ: كانت قفار في أحد الأوقات أكبر من حائل، وقبل عشرين سنة فقط كان تمر قفار تمراً مشهوراً، وكانت نكهته ممتازة بالنسبة الى تمر (شثاا).

ووصف آخرون كـ «داوتي» قفاراً بأنها واحة خصبة بها أعداد كبيرة من النخيل، وقال «فالين»: وفي زمن الحصاد يجتمع حول قفار بدو من شمر وعنزة لبيع ماشيتهم ومنتجاتها، أو المقايضة بالتمر والذرة.

فالتمر إذن من أشهر الأطعمة في قفار، وهو كما قال شوقي:

طعام الفقير وحلوى الغني وزاد المسافر والمغترب

ونخيل قفار يسقى من الآبار، وهي كثيرة، وافرة المياه قديماً، ومياه الآبار تنضح بالسواني، وقد انتزع شعراء الجاهلية كامريء القيس وعلقمة الفحل التميمي،

(١) حمد الجاسر: معجم شمال المملكة، مادة قفار.

(٢) ابن صقيه: بنو تميم في بلاد الجبلين.

وزهير، وليد من حياتهم صورة السانية الدهماء وهي تحطو الرشاء وتجري ذاهبة آتية تنضح الماء في دلاء ضخمة، وتحيله إلى جدول متدفق لا ينقطع ماؤه، واستغلوا هذه الصورة في تشبيه دموعهم الدائمة الجريان في أثر الأحباب.

وتساءل الدكتور أبو سويلم: لماذا اختار الشعراء صورة السانية وهي تسقي المزارع؟ ولماذا قرنها بالحديث عن دموعهم إثر الحبيبة الراحلة؟ فالدموع في غزارتها قد تشبه بالنهر أو البحر أو تشبه بماء المزادة المهزمة أو ماء الدلاء. هل يريد الشاعر أن يقول: إن الماء مثلما ينضح من القلب بقسوة فإن الدموع تنتزع من عينيه دون إرادة منه؟ لكن لماذا كان هذا التفصيل في مناظر السانية وهي تنضح الماء وتحيله إلى جدول تحبو صفادعه جبوراً وسعادة، والمزارع الخضراء ترف عليها نشوة الفرح. أكان هذا التصور معادلاً موضوعياً عن وصول الهدف الذي سعت إليه القبيلة المهاجرة؟! أكان الشاعر يعبر عن وصول القبيلة المهاجرة إلى الغاية المنشودة ففضل منظر السانية رمز الرخاء والخصب؟

وعرض أبو سويلم تحت عنوان «السانية» صوراً شعرية جاهلية بعد أن قال: إن عرب الجاهلية عرفوا الزراعة المنظمة في الواحات الخصيبة المنتشرة في أماكن كثيرة من الجزيرة العربية، وكانوا يسقون أراضيهم بالسانية كما يروي المصريون أراضيهم بالساقية، أو كما يروي أهل الشام أراضيهم بالنواعير. . . وكانت وسيلتهم في انتزاع الماء من الآبار هي الإبل المدربة على هذا العمل الشاق.

وفي الصورة الشعرية تلك تتبع دقيق لحركة الناقة وجريانها، ولصوت البكرة الذي يذهب ويجيء، والثقب الذي يدور كلما مطت الرشاء، وهذا السائق العنيف الذي يحث الناقة على الجري، وهي تخشى منه الضرب فتمد صلبها وعنقها، وهذا القابل الذي يتلقى الدلو تكاد تسمع غناءه وأنغامه.

وعن قصيدة لزهير نُقل شرح للدكتور النويهي يقول: وقد رأيت وسمعت في هذه الصورة تعدد العناصر التي تشاركت في تكوينها وإصدار حركاتها وأصواتها، من عنصر إنساني من أدوات السانية والجدول والحياض، وعناصر طبيعية من ماء وريح وأرض ونخيل غرسه الإنسان.

واحات النخيل في سفح أجأ بفار



وقال: للنخيل أهمية خاصة في وجدان العربي القديم، ووجودها يرتبط دائماً بمعنى الحياة والخصب والنماء، ويكثر الشعراء من تشبيه الظعن بالنخل المكمم، أو الكارعات الحوامل التي حان صرامها كثرة لافته.

ودائماً يجعل الشعراء أشجار النخيل سامقة، تتأبى على مريدها وترتفع عن أيدي جناتها، ويأتي التشبيه بأشجار الأثل في مرتبة ثالثة وللأثل ثقل وجداني في أعماق الشاعر الجاهلي، إذ منه اشتقوا معنى الأصالة والمجد الموروث:

ألست متتهياً عن نحت أثلتنا ولست ضائرهما ما أطت الإبل
وترتبط الظعائن في أذهان الشعراء بالشجر العظيم، ويخص الشعراء للنخل الباسق بأهمية واضحة دون غيره من الأشجار العظيمة، ويختار الشعراء للنخلة وضعاً خاصاً عندما يشبهونها بالظعن فلا بد أن تكون بالحمل مكمومة قد حان صرامها، وقد زهت أعناقها بالثمار الملونة الزاهية، ولا بد أن تكون نخلة تطاولت فروعها وسمقت شماريخها.

ونخيل قفار الكثير كان يروى قبل المكائن الحديثة بالسواني، وعلى كل بئر ثلاثة من الإبل للسقي، قال دخيل الخوير التميمي:

حطوا ثلاثٍ يجذبن القراح ثلاث من غير العقايب مريحه
تلقى الودية من شخيل البطاحي قناه فوق العسب مثل البطيحة
وقال زيد الخوير في قصيدة غزلية:

القيـل عندي مثل جم اليا زاد ما ينتزح لو ساهرته السواني
والودية هي النخلة في مرحلة من مراحل نموها، وهي فسيـلة أولاً، ثم ودية، ثم جبارة.

وقال زيد الخوير:

لي ديرة سمر الغرايب قباله بشرقي أجأ يا حلو شلّه قناها
والقنا حمل النخلة وجمعه قنوان بلغة قریش، وقنيان بلغة تميم. والقنيان هي العذوق، قال الشّماخ الجحاشي:

خور بريان العسيب كأنه إهاب عذوق فوقهن عذوق
ومن الشعر النبطي، قال محسن التميمي:

لما سمعت مصافق العسب ببلاد طوال العذوق محملات الجمال
يا ما عوينا دونهن كل معواد يشهد على جمهور هرجي فعالي
كم فتاة فاردينه من أذواد لو هي سمين ما تعقب الهلال
نرخس شذاهن عند أهلهن بالأزواد ونطمع الشاوي نجيب الجلال
إلى أن قال:

نبي اليا جونا هجافا وشراد اطلاق وجه لنطحنا الرجال
فالغاية من العناية بالنخيل هي إكرام الضيوف بثمارها. قال أبو سويلم في
حديثه عن الشعر والإبل: صورة النسر والنخلة تكادان تكونان الصورتين الوحيدتين
اللتين يشبه بهما ذيل الناقة وقد نجد وجهاً قريباً للشبه في غزارة قنو النخلة
المتعشك، وغزارة ريش النسر الوفير.

لكن لماذا خص الشعراء النسر والنخلة بذنب الناقة دون الأشجار الكثيفة
ودون الطيور الوافرة الريش؟

النخلة لها ثقل وجداني كبير في ذهن الجاهلي فهي تعني لديه الحياة الخصبة
المستقرة، والنسر رمزوا عنه بالسلامة والبقاء وطول العمر.

وكانت قفار واحة لزراعة الحنطة وهي أنواع منها: اللقيمي، والمعيرة وهذان
النوعان يمكن تخزينهما بسنابلهما فضلاً عن تخزينهما حبوباً، والهلباء وهي هشة
السنبلة لا تحتمل التخزين، والطيارة وهي ذات سنابل سود وقد يقال لها:
سُميراء، ومن هذه الأنواع تصنع الأكلات كالهريس والجريش والمرقوق والرغفان.
وفي الصيف تزرع الحصنية والذرة. ومن أصناف الشعير التي تزرع الجهنينة وعمرها
نصف عمر الشعير والكرز وهو أكثر أنواع الشعير حبوباً.



النخيل السامق في قفار

هـ - الفنون الشعبية

يأتي شعر العرضة في الطليعة كلون شعبي من الشعر المغنى الذي يقال في مناسبات الحروب، وقد عُرِفَت قصائد هذ الشعر بالقصائد الحربية وأبياتها محكمة، جيدة السبك، تثير الحماس، وتستنهض الهمم، وتدعو إلى اقتحام الأهوال، والإقدام على ميادين المعارك، وعندما ينشر اللواء وهو راية الحرب، ويدق الدمام يكون شعراء الحماسة قد نظموا القصائد التي تشيد بالشجاعة، وتذم التخاذل، والتواني. وقد تكون القصيدة وصفاً لوقعة قد حدثت. وقديماً وصف العرب بعض أشعار الحماسة بأنها تشجع أجبن الخلق كما قيل عن حماسيات قطري بن الفجاءة المازني التميمي الفارس الخارجي الشهير.

وأوزان شعر العرضة أو الشعر الحربي مختلفة فمنها: الخفيف، وهو الشائع، مثل قول دخيل الخوير التميمي - أمير قفار:

من قفار وحايـل ظهرنا	واعتلينا ظهور النجايب
مع مضيق الشـعيب انحدرنا	مثل مزنٍ حدثه الهبايب
كم غلام لرجله هجرنا	طايـبٍ والا على غير طايـب

ومنها الطويل كما في قول بشير بن نصار التميمي:

اترك اللي يوم رز اللواء ما جاك شمام	بارد المفزاع هذاك لا تسلم عليه
بارد المفزاع عليه من ربعه ملام	مع بنات مخينق شيلة ترمى عليه
انشد المطران يوم الدخن مثل الكتام	يوم حماد الزغيبي يصفق في يديه
دارنا من يوم جداناقبل الكمام	ومن بغاها بالعداوه لعنا والديه

وكما في قوله:

يا سعيد اكتب هل المدح بكتاب الخطيب	واكتب الشردان وكتابهم ما به سلام ^(١)
اكتب اللي حاربوا عند زينات الحليب	نفذوا صفر المحازم بعيدين العلام
وارفع الفنجال عن كل رعديد يهيب	وقلط الفنجال للي يحظون الزحام
لو هبى خطو الغليـم ترانا ما نهيب	لو بدا شيب العوارض نخاف من الملام

(١) المقصود سعيد الشبرمي التميمي - أمير سَمِيرَاء - .

ليت خطو اللاش يعطى عن البندق عسيب يوم شاف الرمي قلبه حكى بالانهزام
يوم ابو محسن خليفه وقع منا صويب شافوا الشردان دمه غدوا جفل النعام
ليتكّن بالبيض عندي على جال الشعيب تنظرن بعيونكن ما تبين رد العلام
ولشهرة بعض القصائد الحربية تظل تردد في غير مناسبتها وعلى مدى سنين
متتالية وأجيال متعاقبة.

وهناك شكل آخر من أشكال الشعر الشعبي ذو قافية موحدة في الشطر
وأخرى في العجز لكنه أخف وأقصر في الوزن من الشعر الحربي ويطلق على هذا
اللون اسم «الهجيني» نسبة إلى الهجن إذ غالباً ما يغنى على ظهور الإبل في
السفر، ولسهولة الهجيني فإن الكثيرين ينظمونه، ومع سهولته فإن بعض أبياته
تحمل صوراً حسية رائعة كهذه الهجينية لجارية ابن لحيدان التميمي تقول:

ياونتي ونتك يا حمود امك على أبوك طنيانه
هي ما تشوف الطيور السود تلف بيضه بجنحانه
والا تشوف الجمال القود تحن وترزم لحيرانه
وغير الهجيني هناك «الحداوي» وهي أراجيز نبطية حماسية تقال عادة في
مناسبات العمل الجماعية.

وفي قفار الآن فرقة للفنون الشعبية يرأسها ضيف الله بن سالم العبوش
وأداؤها جيد في السامري، والعرضة السعودية، وتشارك فرقة قفار في المناسبات
الوطنية والأعياد، وقد شاركت على سبيل المثال في حفل العيد بحائل في عام
١٤١٢هـ وعام ١٤١٣هـ، وفي مهرجان حائل السياحي الأول في عام ١٤١٨هـ
بقرية مشار السياحية.

ومن أبرز مشاركتها أداؤها للعرضة السعودية ولعدة ليالٍ في الحفل الكبير
الذي أعدته قبيلة بني تميم احتفاءً بصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن
عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش
العام أثناء زيارته لمنطقة حائل في شهر جمادى الأولى من عام ١٤١٩هـ. وفي
تلك المناسبة تم إلقاء عدد من القصائد الحربية لرئيس الفرقة ابن عبوش ولغيره



جانب من قفار يبدو من خلال فتحة أحد الأسوار الفخمية

من الشعراء، ومن تلك القصائد قصيدة للشاعر الأستاذ إبراهيم بن علي المنصور يقول فيها:

من قفار رفعنا الصوت لاشلنا	والسليمي وضرغط ردت الجابه
من سمراء على السبعان واقبلنا	ودارنا المستجدة ونتمعنى به
والغزالة وغضور والحفن النا	وديرة الروضة حنا اللي نزلنا به
والقصر والمهاش وباقي حللنا	مع جفيفا لنا تاريخ نعننى به
وشيخنا مقرن ولا قيل بدلنا	الوفا طبعنا ما قيل خنا به
جمعنا من تميم ولا احد يجهلنا	من جهلنا له التاريخ يقرأ به
مرجباً يابو خالد وانت فخر النا	ألف ألف من الترحيب نصخى به
وللفهد خادم البيتين سجلنا	شكرنا والولا والنصح نسعى به
ولولي العهد وامره تمثلنا	لا دعانا أبو متعب لقى الجابه
عن الوطن والعقيدة ما تخاذلنا	لو دعينا لسوق الموت نلقى به

مصادر ومراجع البحث

- ١- ابن الأثير (مجد الدين المبارك بن محمد): المرصع، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي.
- ٢- أحمد جاد المولى: أيام العرب في الجاهلية.
- ٣- أحمد عادل كمال: القادسية، دار النفائس، بيروت.
- ٤- أحمد بن علي المبارك (السفير) لقاء للمؤلف معه في الباحة ١٤١٧هـ.
- ٥- أحمد عويدي العبادي (الدكتور): العشائر الأردنية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ٦- أحمد العريفي: الألقاب، الجزء الأول ١٤٠٤هـ، رميزان بن غشام التميمي، ١٤١٤هـ.
- ٧- أحمد الطاهر مكي (الدكتور)، امرؤ القيس: حياته وشعره.
- ٨- الأصمعي (عبد الملك بن قريب الباهلي ت ٢١٦)، الأصمعيات، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، ١٩٩٣م.
- ٩- أنور عليان أبو سويلم (الدكتور): الإبل في الشعر الجاهلي، الرياض، ١٤٠٣هـ.
- ١٠- ابن بشر (عثمان بن عبدالله بن بشر ت ١٢٨٨هـ): عنوان المجد في تاريخ نجد.
- ١١- البكري (عبد الله بن عبدالعزيز البكري ت ٤٨٧هـ): معجم ما استعجم؛ تحقيق مصطفى السقا.
- ١٢- الجوهري (إسماعيل بن حماد)، الصحاح؛ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار.
- ١٣- الجاحظ (أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ ت ٢٥٠هـ): العميان؛ تحقيق الدكتور محمد الخولي.
- ١٤- جاكين بيرين: اكتشاف جزيرة العرب.
- ١٥- جرير (جرير بن عطية التميمي) ديوان جرير.
- ١٦- الحازمي (محمد بن موسى الحازمي ت ٥٨٤هـ): الأماكن؛ تحقيق حمد الجاسر، الرياض ١٤١٥هـ.
- ١٧- حسين حسن: أعلام تميم، بيروت، ١٤٠١هـ.
- ١٨- حمد الجاسر - جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، الرياض

- المعجم الجغرافي (شمال المملكة).
- المعجم الجغرافي (شرق المملكة، البحرين قديماً).
- ١٩- حمد ناصر الدخيل (الدكتور) لقاء للمؤلف معه بحائل، ١٤١٧هـ.
- ٢٠- خالد الصالح: آثار منطقة حائل.
- ٢١- خير الدين الزركلي: الأعلام، بيروت، ١٩٨٠م.
- ٢٢- رؤبة بن العجاج التميمي: ديوان رؤبة، تحقيق وليم البروسي.
- ٢٣- الزبيدي: (أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأسلمي): طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية.
- ٢٤- دخيل الناصر: دراسة عن آل مبارك وآل غنام في حائل والإحساء.
- ٢٥- سعد بن جنيدل - المعجم الجغرافي (عالية نجد) الجوف (دومة الجندل).
- ٢٦- سعد الصويان (الدكتور): جمع المأثورات الشعبية.
- ٢٧- سليمان العبيد: ديوان شاعر اللوى.
- ٢٨- صالح المحمود (الفريق) لقاء للمؤلف معه بالرياض.
- ٢٩- ضاري الرشيد: نبذة من تاريخ نجد.
- ٣٠- عبد الحميد المعيني (الدكتور): شعر بني تميم في العصر الجاهلي، بريدة، ١٤٠١هـ.
- ٣١- طه حسين (الدكتور): في الأدب الجاهلي.
- ٣٢- السيد طه أبوسديرة (الدكتور): حائل في عصر صدر الإسلام.
- ٣٣- ابن عبد ربه: العقد الفريد، تحقيق سعيد العريان.
- ٣٤- عبدالرحمن السويدي: رمان (من إصدارات الرئاسة العامة لرعاية الشباب).
- ٣٥- عبدالله بن ردّاس: شاعرات من البادية، الرياض، الطبعة السابعة ١٤١٢هـ.
- ٣٦- عبدالله أبا بطين: روضة سدير (من إصدارات الرئاسة العامة لرعاية الشباب).
- ٣٧- عبدالله نصيف (الدكتور): العلا دراسة في التراث الحضاري والاجتماعي، ١٤١٣هـ.
- ٣٨- عبدالرحمن بن عبدالله القفاري (القاضي): لقاء للمؤلف معه، بالرياض، ١٤١٦هـ.

- ٣٩- عبدالله بن خميس: المعجم الجغرافي (معجم اليمامة) الرياض، ١٣٩٨هـ.
- ٤٠- عبدالله بن صقيه: بنو تميم في بلاد الجبلين، الرياض، ١٤٠٠هـ.
- ٤١- عبدالله العثيمين (الدكتور): نشأة إمارة آل رشيد.
- ٤٢- عبدالعزيز الأزهرى: بنو تميم ومكانتهم في التاريخ والأدب، ١٣٩٧هـ.
- ٤٣- عبدالعزيز الفريح (الدكتور): لقاء للمؤلف معه بحائل، ١٤١٧هـ.
- ٤٤- عبيد بن الأبرص (عبيد بن الأبرص الأسدي): ديوان عبيد، شرح أشرف عدرة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- ٤٥- أبو عبيدة (معمربن المشنى) أيام العرب قبل الإسلام، تحقيق الدكتور عادل البياتي.
- ٤٦- علقمة الفحل (علقمة بن عبده التميمي): ديوان علقمة، شرح الأعلام الشتمري، تحقيق الدكتور حنا الحتي، بيروت، ١٤١٤هـ.
- ٤٧- علي الهندي: زهر الخمائل في علماء حائل، نسخة مصورة من مكتبة الأندلس بحائل.
- ٤٨- ابن عيسى: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد.
- ٤٩- الغرناطي: (عبدالله بن محمد بن جُزَي الكلبى الغرناطى) الخيل، تحقيق محمد العربي الخطابي.
- ٥٠- فالين: صور من شمالي جزيرة العرب، ترجمة سمير شلبي، مراجعة يوسف يزبك.
- ٥١- الفرزدق (همام بن غالب التميمي) ديوان الفرزدق.
- ٥٢- فهد بن عبدالعزيز الخوير، من أهل قفار، لقاء للمؤلف معه.
- ٥٣- فهد العريفي: حائل (من إصدارات الرئاسة العامة لرعاية الشباب سلسلة هذه بلادنا).
- ٥٤- فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، الطبعة الثانية، الرياض، ١٣٨٨هـ.
- ٥٥- لبيد (لبيد بن ربيعة العامري) ديوان لبيد، شرح الطوسي، تقديم الدكتور حنا الحتي.
- ٥٦- مبارك فريح السلامة: بحث عن جيولوجية قفار.
- ٥٧- محمد بن بليهد: صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار.

- ٥٨- محمد الشرعبي: البادية بين عراقا الماضي وأصالة الحاضر.
- ٥٩- محمد بن عمر (أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري)
 - مسائل من تاريخ الجزيرة العربية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٣١٤هـ.
 - أنساب الأسر الحاكمة في الإحساء.
 - آل الجرباء.
- ٦٠- محمد القاضي: روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين.
- ٦١- محمد الحميضي: القصب (من إصدارات الرئاسة العامة لرعاية الشباب، سلسلة هذه بلادنا).
 ٦٢- ابن مشرف: (أحمد بن علي بن مشرف التميمي - ١٢٨٥هـ): ديوان ابن مشرف.
 ٦٣- ممدوح المعاينة: لقاء للمؤلف معه في عمان بالأردن.
 ٦٤- منديل الفهيد: من آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية.
 ٦٥- منصور الفايز: حائل، من إصدارات وزارة الإعلام.
 ٦٦- المفضل الضبي (المفضل بن محمد بن يعلى الضبي - ١٧٨هـ): المفضليات، تحقيق أحمد شاكر، وعبدالسلام هارون، الطبعة الثانية، ١٣٨٣هـ.
 ٦٧- نوري حمودي القيسي (الدكتور): شعراء أمويون، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.
 ٦٨- وفاء السنديوني (الدكتورة): شعراء طيء وأخبارها، ١٤٠٣هـ.
 ٦٩- ياقوت: (ياقوت الحموي): معجم البلدان.
 ٧٠- اليزيدي (أبو عبدالله محمد بن العباس بن المبارك - ٣١٠هـ): الأمل، حيدر آباد، ١٣٩٦هـ.

الدوريات

- ١- مجلة العرب.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم الرئاسة العامة لرعاية الشباب	٥
تقديم الإدارة العامة للنشاطات الثقافية	٧
المقدمة بقلم الشيخ أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري	١١

الفصل الأول: الموقع والطبيعة

١- الموقع (موقع قفار)	٢٣
٢- جبل أجأ	٢٤
٣- وادي حائل	٢٩
٤- قفار والهيماء	٣٣
٥- الأحياء القديمة في قفار والآثار	٣٧
٦- المناخ	٤٥
٧- شهرة قفار التاريخية	٤٥
٨- قفار في اللغة	٥٢
٩- جيولوجية قفار	٥٥

الفصل الثاني: قفار في الدراسات التاريخية والبلدانية

١- قفار في تاريخ ابن لعبون	٦١
٢- الهجرة من قفار	٦٢
٣- قفار في المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية	٦٥

- ٧٨ ٤- أهم الحوادث التاريخية في قفار
- ٨٨ ٥- قفار في بعض المصنفات الحديثة
- ٩٩ ٦- قفار وتَعَشَار

الفصل الثالث: المدن والقرى المتفرعة عن قفار في منطقة حائل

- ١١٣ ١- ضرغط
- ١١٧ ٢- السليمي
- ١١٩ ٣- السبعان
- ١٢٧ ٤- جُفِفاء
- ١٣٠ ٥- الغزالة
- ١٣٢ ٦- قصير غَضُور
- ١٣٢ ٧- المهاش
- ١٣٣ ٨- المستجدة
- ١٣٤ ٩- الروضة
- ١٤١ ١٠- وسيطاء الحفن وسميراء
- ١٥١ ١١- قصر العشراوات

الفصل الرابع: الحياة العلمية والأدبية في قفار ومشاهير أمرائها

- ١٥٧ ١- العلماء والقضاة في قفار
- ١٥٧ (أ) آل ملاحي
- ١٦٠ (ب) الشيخ عثمان بن منصور التميمي
- ١٦٢ (ج) آل يعقوب
- ١٦٤ ٢- الشعر والشعراء في قفار
- ١٦٤ (أ) الخوير التميمي
- ١٧٤ (ب) ابن ماضي والملحمة القفارية
- ١٨٠ (ج) ربحان مولى المفيد

- (د) محمد بن عبدالله آل الشيخ مبارك التميمي ١٨١
- (هـ) بُشَيْر بن نَصَّار التميمي ١٨١
- (و) حسن بن طليحان ١٨٢
- (ز) مزنة التميمية ١٨٣
- (ح) الشيخ أحمد بن مشرف التميمي ١٨٤
- (ط) حُمَيْر بن عيادة التميمي ١٨٧
- (ي) جلعود بن لافي الهمزاني ١٨٨
- (ك) الخشيم ١٨٩
- (ل) ابن صقيه راعي قفار ١٩٠
- ٣- مشاهير أمراء قفار ١٩١

الفصل الخامس: النهضة الحديثة في قفار

- ١- المدارس ٢٠١
- ٢- حلقات التدريس ٢٠٣
- ٣- الجمعية التعاونية ٢٠٣
- ٤- الحاصلون على الشهادة الجامعية فما فوق من أهل قفار ٢٠٤
- ٥- مركز التنمية الاجتماعية ٢٠٥
- ٦- المخطط السكني الحديث ٢١٠
- ٧- مركز الرعاية الصحية ٢١٠
- ٨- نادي قفار الرياضي والثقافي الاجتماعي ٢١٠

الفصل السادس: مظاهر الحياة الاجتماعية والأخبار الشعبية

- ١- ملامح عامة ٢٢٣
- ٢- أسطورة ظلما ٢٢٥
- ٣- حمى قفار ٢٢٦
- ٤- الزراعة والأكلات ٢٢٩

٢٣٥	٥- الفنون الشعبية
٢٣٩	مصادر ومراجع البحث
٢٤٣	الفهرس

راجع الكتاب الدكتور فاضل والي
والأستاذ رشود بن عمر التميمي
وقام بالتصوير الأستاذ أحمد إبراهيم أحمد

الكتب التي صدرت من سلطة (هذه بلادنا)

اسم المؤلف	رقمه	اسم الكتاب
فهد العلي العريفي	١	حائل
د. حسن بن فهد الهويميل	٢	بريدة
د. صالح بن سليمان النصار الوشمي	٣	الجواء
إبراهيم بن عبد الله مفتاح	٤	فرسان
د. محمد بن مسفر حسين الزهراني	٥	بلاد زهران
د. عبد العزيز بن محمد الفيصل	٦	عودة سدير
محمد بن صالح البليهشي	٧	المدينة المنورة
عبد الرحمن بن عبد الله الغانم	٨	المذنب
عبد الرحمن بن عبد الكريم العبيد	٩	الجيليل
محمد بن سعد الدبل	١٠	الحريق
عبد الله بن محمد الرشيد	١١	الرس
عبد الله أحمد الشباط	١٢	الخبر
عبد الرزاق بن أحمد اليوسف	١٣	الزلفي
د. صالح بن عون هاشم عدنان الغامدي	١٤	الباحة
علي بن سليمان الموقشي	١٥	البكيرية
عبد الله بن محمد العبيد	١٦	البدائع
محمد بن إبراهيم بن عبد الله العمار	١٧	شقراء
د. عارف بن مفضي المسعر	١٨	الجوف
إبراهيم بن أحمد حسين كفي	١٩	مكة المكرمة
د. محمد بن علي الهرفي	٢٠	تبوك
د. إبراهيم بن سليمان الأحيدب	٢١	جلاجل
محمد حاسر إبراهيم عريشي	٢٢	أبو عريش

تابع - الكتب التي صدرت من سلسلة (هذه بلادنا)

اسم المؤلف	رقمه	اسم الكتاب
د. محمد بن عبد الله السلطان	٢٣	عنيزة
محمد سعيد المسلم	٢٤	القطيف
د. عبد الله بن ناصر الوليعي	٢٥	الشماسية
معتاد بن عبيد السناني	٢٦	العيص
د. إبراهيم بن صالح راشد الدوسري	٢٧	الأفلاج
صالح بن محسن فهد القعود	٢٨	رأس تنورة
عبد الله بن عبد الكريم المعجل	٢٩	حوطة سدير
محمد بن حمد السميع التيمائي	٣٠	تيماء
عبد الله بن محمد بن عبد الله أبابطين	٣١	روضة سدير
د. يوسف بن علي بن رابع الثقفي	٣٢	بلاد ثقيف
ناصر عبد الله عبد العزيز الحميضي	٣٣	القصب
صالح بن محمد بن جابر آل رميح	٣٤	نجران
سعد بن محمد سعد الطخيس	٣٥	الدوادمي
محمد بن محسن محمد مشاري	٣٦	صيبا
فهد بن عبد العزيز الكليب	٣٧	الرياض
د. محمد عبد العزيز القباني	٣٨	ضرماء
عبد الكريم محمود الخطيب	٣٩	ينبع
سعد بن عبد الرحمن الدريهم	٤٠	الخرج
د. عبد الله بن علي بن ثقفان	٤١	سراة عبيدة
محمد صالح البليهشي	٤٢	بدر
عبد الرحمن بن زيد السويداء	٤٣	رمّان
عبد العزيز بن راشد عبد الكريم السندي	٤٤	الربيعية

تابع - الكتب التي صدرت من سلسلة (هذه بلادنا)

اسم المؤلف	رقمه	اسم الكتاب
د. محمد أحمد الرويثي	٤٥	الوجه
صالح بن علي أبو عراد الشهري	٤٦	تنومة
عبد الله بن سعد الحضيبي السبيعي	٤٧	الخرمة
عبد الله بن محمد عبد الرحمن القرني	٤٨	سبت العاليا
هاشم بن سعيد علي النعيمي	٤٩	أبها
محمد بن زيد بن محمد العسكر	٥٠	الدلم
عبد العزيز بن سلطان الشمري	٥١	موقف
عبد الله بن عبد العزيز الضويحي	٥٢	مرات
سعد بن عبد الله بن جنيدل	٥٣	القويعة
عاشق عيسى الهـزال	٥٤	جبة
سهيل بن سليمان الصبحي	٥٥	أملج
أحمد بن محمد سعد الحسين	٥٦	رغبة
عبد الله بن آدم نصيف	٥٧	العلاء والحجر
صالح بن عبد العزيز الخضير	٥٨	عرعر
فهد بن إبراهيم العسكر	٥٩	الجمعة
عبد الله بن حسن الأسمر	٦٠	بللسمر

الإشراف العام : عبد الرحمن بن محمد الحميد

